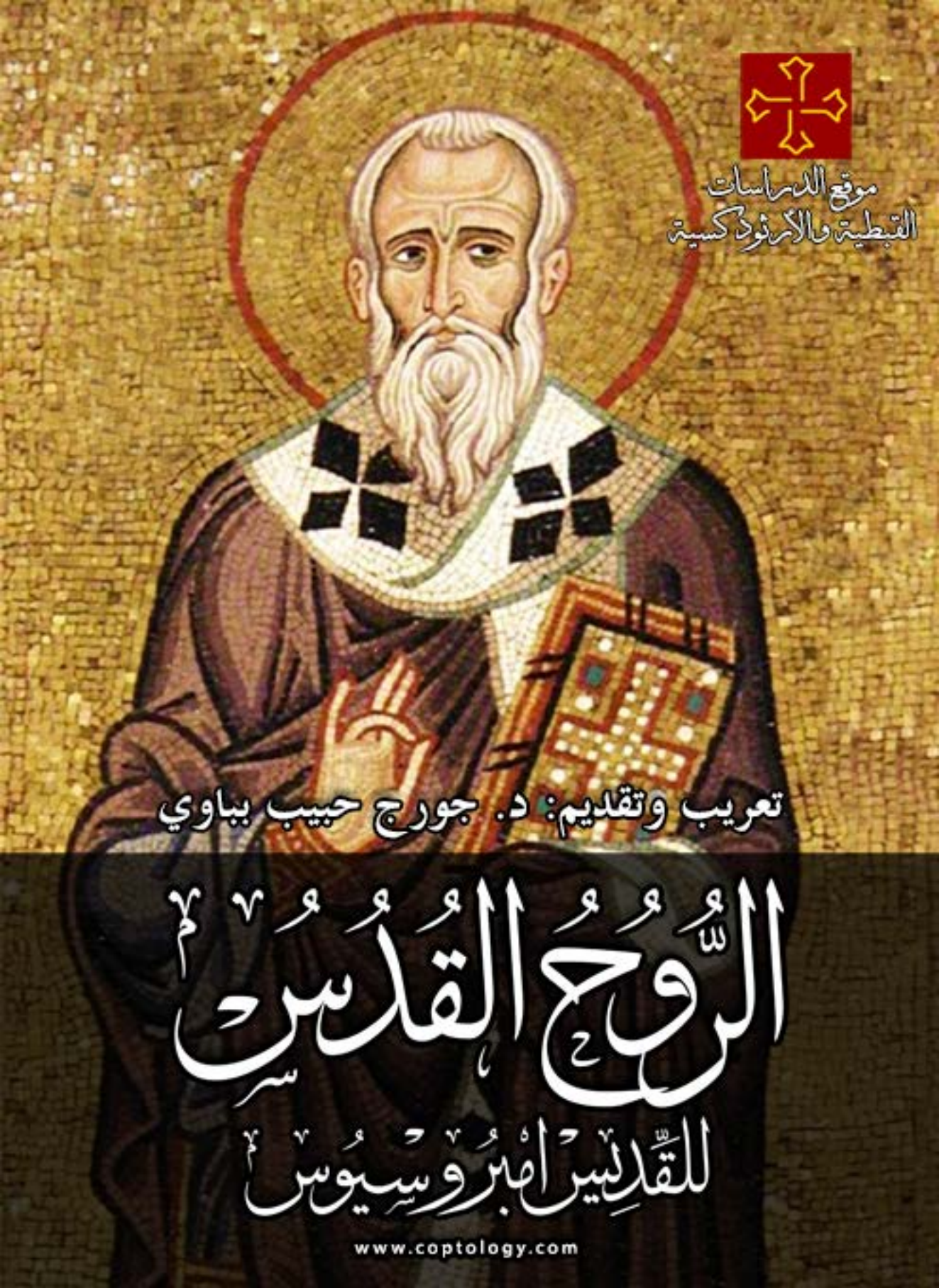
موقع الدراسات
القبطية والأرثوذكسية
تعريب وتقديم: د. جورج حبيب بباوي
الرُّوحُ القُدُسُ
للقِدِّيسِ أمبروسيوس
www.coptology.com

الرُّوحُ القُدُسُ

للقدِّيسِ امبروسيوس

تعريب وتقديم

دكتور جورج حبيب بباوي

٢٠١٧

جدول المحتويات

مَن هو القديس امبروسيوس؟: ١٠
كتاباته: ١١
كتاب الروح القدس، الطبعات والترجمات: ١٢
الترجمة العربية: ١٣
مميزات كتاب الروح القدس: امبروسيوس والآباء الذين كتبوا عن الروح القدس: ١٣
لماذا كتب امبروسيوس عن الروح القدس؟: ١٤
القديس امبروسيوس يجيب على بعض الأسئلة الحائرة اليوم ١٥
حاجتنا إلى الروح القدس ١٥
الروح القدس هو حياتنا الأبدية ١٦
نأخذ الروح القدس من الرب يسوع نفسه ١٦
الرب يسوع نهر الدم الدائم (ك١: ٢) ١٧
فزّاعة تحول الإنسان إلى أُلوهية الروح ١٧
البنية اللاهوتية والدفاع عن أُلوهية الروح القدس: ١٨
وحدة عمل أقانيم الثالوث: ٢٠
الروح القدس والنعمة: ٢٣

الكتاب الأوَّل

الفصل الأول: الروح القدس فوق المخلوقات ٣٦

الفصل الثاني: الروح القدس غير مخلوق ٣٨

الفصل الثالث: الروح القدس واحدٌ مع الآب والابن ٤٠

اسمٌ واحدٌ وقوةٌ واحدة: ٤٠

الروح القدس والمعمودية باسم المسيح: ٤٠

المعمودية باسم المسيح هي بالروح القدس: ٤٢

الروح القدس ليس من الملائكة: ٤٣

الروح القدس شاهدٌ للابن: ٤٣

الروح القدس هو الموزّع لعطاياه: ٤٣

الخلائق السماوية تأخذ قوتها بالروح القدس: ٤٤

التجديف على الروح القدس: ٤٥

الفصل الرابع: الروح القدس روح الآب وروح المسيح ٤٧

الروح القدس هو روح الله: ٤٧

روح الحياة: ٤٨

روح الحق: ٤٨

روح الرب: ٤٨

روح الآب: ٤٩

الفصل الخامس: الروح القدس روحُ التقديس والصلاح ٥٠

الملائكة والبشر ينالون التقديس من الروح: ٥٠

الروح القدس يغيِّر ولا يتغيَّر: ٥١
الروح القدس صالحٌ: ٥١
الروح القدس أُعطيَ لنا: ٥٢
صلاح الروح نابعٌ من ذاته: ٥٢
الروح يُقدِّس ولا يتقدَّس: ٥٣
الفصل السادس: المعمودية بالماء والروح ٥٥
الفرق بين الماء والروح: ٥٥
الشهود الثلاثة: الماء والدم والروح: ٥٥
نحيا بالروح: ٥٥
ختم الروح في قلوبنا: ٥٦
بالروح نصير شركاء الطبيعة الإلهية: ٥٦
الروح القدس مالئ الكل ٥٧
الروحُ حاضرٌ في كل مكان وزمان: ٥٧
الروح القدس يقدِّس البشر والملائكة: ٥٨
انسكاب الروح على كل جسد: ٥٩
الروح يملأ الكل: ٥٩
النعمة الكاملة بإلهام الروح القدس: ٦٠
الفصل السابع: الله هو الذي يسكب الروح القدس ٦١
لا يستطيع الإنسان أن يُعطي الروح: ٦١
سأسكب من روحي على كل بشر: ٦١

المسيح وحده استقر عليه الروح: ٦٢
محبة الله تُسكب بالروح:..... ٦٣
اسم الابن ينسكب أيضاً: ٦٣
نعمة واحدة:..... ٦٤
الفصل التاسع: الروح هو المسحة..... ٦٥
زيت البهجة: ٦٥
المسيح مات بالجسد:..... ٦٧
سر الصليب: ٦٧
الفصل العاشر: الروح القدس لا يخطئ، بل يغفر الخطايا ٦٩
الفصل الحادي عشر: إرسال الروح القدس ٧٠
مجيء الروح: ٧٠
معنى نزول الروح الينا:..... ٧٢
الروح لا ينفصل عن الآب والابن: ٧٢
الفصل الثاني عشر: الروح القدس والنعمة والمحبة والشركة..... ٧٤
النعمة من الروح القدس: ٧٤
المحبة والروح القدس: ٧٤
الروح القدس والشركة: ٧٥
الفصل الثالث عشر: اسم الإله الواحد..... ٧٧
اسم المعزّي: ٧٨
اسم الحق:..... ٧٩

الفصل الرابع عشر: اللهُ نورٌ ٨٠
الروح نورٌ ونار: ٨١
حلول الروح بشكل نار: ٨١
الفصل الخامس عشر: ينبوع الحياة ٨٣
الفصل السادس عشر: الروحُ أنهارُ ماءٍ حي" ٨٥
الروح يفيض علينا من يسوع: ٨٥
الينبوع هو الروح القدس: ٨٦
احفظ المياه من التسرب: ٨٧
أُطلب يسوع وتخلى عن المياه الراكدة: ٨٨

الكتاب الثاني

الفصل الأول: الروح القدس، الربُّ والقوة ٩٥
الفصل الثاني: الروحُ هو القوة ٩٦
الفصل الثالث: الروح القدس والحياة الأبدية ٩٨
الفصل الرابع: الروح القدس يُحيي (يعطي الحياة) ١٠٠
الفصل الخامس: الروح القدس خالق ١٠١
الروح القدس والتجسد: ١٠٣
السجود للروح: ١٠٤
الفصل السادس: الريح والروح في نبوة عاموس ١٠٦
الفصل السابع: الروح والإنسان الجديد ١١١

الفصل الثامن: "في الروح القدس" = "مع الروح القدس" ١١٤
الفصل التاسع: استخدام حروف الجر "منه"، و"به"، و"فيه" ١١٩
الفصل العاشر: عملٌ واحدٌ للآب والابن والروح القدس ١٢٤
الروح القدس يدعو: ١٢٤
الفصل الحادي عشر: معرفةٌ واحدةٌ للثالوث ١٢٩
الفصل الثاني عشر: إعلان الروح القدس هو إعلان الآب والابن..... ١٣٣
الروح يعمل بإرادته كواهب: ١٣٦
الفصل الثالث عشر: مَن هو الروح القدس؟ ١٣٨

الكتاب الثالث

الفصل الأول: حلول الروح القدس على المسيح ١٤٤
الفصل الثاني: الابن والروح القدس كلاهما عطية ١٤٧
الآب أعطى ابنه لنا: ١٤٧
بواسطة الروح القدس: ١٤٧
والابن أعطى ذاته: ١٤٧
وأعطانا الروح القدس أيضاً: ١٤٨
الفصل الثالث: أُصبع الله..... ١٤٩
افصل الرابع: يمين الله – قوة الله – التقديس ١٥٢
الابن يُدعى يد الله اليمنى: ١٥٢
يمين الله = قوة الله: ١٥٢

وحدة جوهر اللاهوت ووحدة في العمل: ١٥٣
عمل الروح القدس: ١٥٣
نشعر بعمل الروح القدس في المعمودية: ١٥٤
الآب يقدِّس: ١٥٤
الابن يقدِّس: ١٥٤
الروح القدس يقدِّس: ١٥٥
الفصل الخامس: الابن والروح القدس كلاهما قوة الله ١٥٦
الفصل السادس: روح التوبيخ – روح القضاء ١٥٨
الفصل السابع: المسيح سيُعَاقِب بالروح القدس ١٦١
الفصل الثامن: وحدة الآب والابن والروح ١٦٢
الفصل التاسع: روح الله هو روح المسيح، وهو الله ١٦٥
الفصل العاشر: الولادة من الروح ١٦٧
الفصل الحادي عشر: العبادة بالروح والحق ١٧٠
الخلق بالابن والتجديد بالابن: ١٧٤
فيه وبه وله كل الاشياء: ١٧٤
الفصل الثاني عشر: الروح يُشرِق في قلوبنا، ويَحلُّ فينا ١٧٦
الفصل الثالث عشر: وحدة جوهر اللاهوت تمنع تعدُّد الآلهة ١٧٨
الفصل الرابع عشر: الروح القدس ربٌّ ١٧٩
الفصل: الخامس عشر: الثالوث ربٌّ واحدٌ، وليس ثلاثة أرباب ١٨٢
الفصل السادس عشر: "قدوس، قدوس، قدوس" ١٨٤

الفصل السابع عشر: في رواق الحكمة ١٨٧
الفصل الثامن عشر: علامات لأُلوهية الروح القدس..... ١٩٢
الفصل التاسع عشر: الروح القدس له كل ما للآب والابن ١٩٦
الفصل العشرون: النهر الخارج من عرش الله ١٩٩
الفصل الحادي والعشرون: الروح القدس ربُّ الجنود..... ٢٠١
الفصل الثاني والعشرون: رؤيةٌ واحدةٌ، وقدرةٌ واحدةٌ، ومجدٌ واحدٌ..... ٢٠٣

تقديم

مَن هو القديس امبروسيوس؟:

من الخطاب رقم ٥٩ إلى ساويروس يقول امبروسيوس: إنه بلغ عامه ٥٣ وإنه يعاني من آثار الحروب التي أثارتها القبائل الجرمانية، وهي حرب عام ٣٩٣، وهذا يعني أنه وُلِدَ عام ٣٤٠. وينحدر امبروسيوس من أسرة نبيلة، فهو ابن حاكم إقليم الغال (فرنسا وسويسرا) وقد مات والده وهو صغير وعادت أمه وعاشت في روما. سبقته أخته مارسلينا في حياة النسك وصارت راهبةً، أما أخيه الأصغر ساتيروس، فقد خدم الإمبراطورية.

درس امبروسيوس الفلسفة والقانون والمنطق، وصار حاكم مقاطعتي ليجوتيا واميليا، ولكنه عاش في ميلان نفسها. كان امبروسيوس موعوظاً فقط، وعاش عدة سنوات يتلقى التعليم المسيحي، وبموت أسقف ميلان الأريوسي أوكسنتيوس وصراع الشعب الأرثوذكسي مع الفئة الأريوسية التي أرادت تنصيب أحد الأريوسيين، تدخَّل امبروسيوس للتهدئة فقط، ولكنه وجد نفسه وقد أُختير من الطرفين مما يؤكد أنه كان رجلاً ذا أخلاق جيدة وسمعة طيبة، ولذلك نال المعمودية وسيم أسقفاً بعد معموديته بأسبوع واحد في ٧ ديسمبر سنة ٣٧٤.

كافح امبروسيوس بكل قوته ضد الأريوسية، وخدم بكل قداسة، وكان مثالاً للخلق الجيد الذي كانت فئات كثيرة من الإكليروس تفتقر إليه بسبب سوء الأداء الروحي الذي لازم الانشقاق الأريوسي وما وصل إليه الطرفان من قسوة وعنف واتهامات مشينة كانت تقال علناً وبلا خجل أو حياء.

وكان امبروسيوس لا يهاب إنساناً، ومع ذلك كان رقيقاً وديعاً، ونلاحظ في

رسائله أنه مثالٌ للمسيحي الذي قرأ الكثير ودرس كل ما وصل إليه، ولكنه أخضع معرفته للإيمان. وقد وصلت به شجاعته إلى صدام مع الامبراطور ثيؤدوسيوس الذي ذبح ٧٠٠٠ من مسيحيي انطاكية بعد أن ثاروا على حكمه، فمنع الأسقفُ الامبراطورَ من دخول الكنيسة حتى يعترف بخطئه علناً ويتوب وتمت المصالحة في ٣٨٢.

سجَّل لنا شماسه لولينوس حياة امبروسيوس بعد إلحاح من الأسقف المشهور أوغسطينوس، وقد ذكر الكثير من معجزاته، وتنيح امبروسيوس في عام ٣٩٧.

كتاباته:

لم يكن لدينا سجل كامل لكل ما كتبه امبروسيوس حتى عام ١٩٦٨، حينما صدرت الطبعة العلمية التي أشرف عليها العالم الالماني Ottfaller وتحتوي كتاباته على عظات تفسيرية لكثير من المقاطع المشهورة للعهدين. ولكن أهم كتبه هي:

١– شرح ١٢ مزمور من مزامير داود مع تفسير مز ١١٨.

٢– كتاب عن الإيمان المسيحي يشرح فيه عقائد المسيحية، مكون من خمسة أجزاء أو كتب موجَّه للإمبراطور[١].

٣– كتاب هام عن التوبة، مكوَّن من جزئين أو قسمين، كُتِبَ أصلاً ضد تعليم نوفاتيان باستحالة المغفرة بعد المعمودية[٢].

---

(١) ترجم هذا الكتاب الدكتور نصحي عبد الشهيد، وقام المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة بنشره على جزئين، اشتمل الجزء الأول على الكتابين الأول والثاني، ونُشِر في سلسلة نصوص آبائية تحت رقم ٨٦ في مارس ٢٠٠٥، واشتمل الجزء الثاني على الكتب الثالث والرابع والخامس، ونُشِر في ذات السلسلة تحت رقم ١٤٤، في نوفمبر ٢٠٠٩.

(٢) ترجم هذا الكتاب الدكتور نصحي عبد الشهيد، وقام المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بنشره في سلسلة نصوص آبائية تحت رقم ١٦٤ في أغسطس ٢٠١١.

٤– تفسير لإنجيل لوقا.

٥– شرح أيام الخليقة الستة في ستة أجزاء أو كتب.

٦– واجبات الإكليروس.

٧– دوام بتولية العذراء القديسة مريم. أصدره جامعة فيينا. وقد تم تصحيح الكثير من الاخطاء اللغوية.

٨– مقالة عن الأسرار[١].

٩– شرح رسائل بولس الرسول تعرف باسم Ambrosiater اعتقد البعض أنه ليس بقلم امبروسيوس.

١٠– مقالة هامة عن سر تجسد ربنا يسوع المسيح.

كتاب الروح القدس، الطبعات والترجمات:

لم تصدر الطبعة المحققة حتى عام ١٩٦٩ في المجلد رقم ٧٩ من سلسلة كتابات الآباء الذين كتبوا باللاتينية والتي تشرف على إصدارها جامعة فيينا. وقد تم تصحيح الكثير من الأخطاء اللغوية في الطبعة القديمة في مجلد ١٦ ليعقوب Migne.

صدرت الترجمة الإنجليزية في سلسلة آباء ما بعد نيقية المجلد ١٢، ثم صدرت ترجمة إنجليزية جديدة في سلسلة آباء الكنيسة التي تصدرها الجامعة الكاثوليكية في واشنطن مجلد ٤٤.

---

(١) قام بيت التكريس لخدمة الكرازة بترجمة مقال امبروسيوس عن "الأسرار" ونشره سنة ١٩٦٥م، وقام المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بنشر طبعة جديدة منه في ديسمبر ١٩٩٦.

الترجمة العربية:

* اعتمدنا على النص اللاتيني الذي صدر في فيينا مع مقارنة دقيقة بالترجمة الإنجليزية التي نشرتها الجامعة الكاثوليكية، وقد احتفظنا بنفس الترقيم الدولي المعروف.

* سوف يلاحظ القارئ أن بعض الفقرات قد سقطت تماماً، وهذا يعود إلى أن النساخ أهملوا تماماً الفقرات التي جمع فيها القديس امبروسيوس نصوص الكتاب المقدس التي تدل على أُلوهية الروح القدس، واكتفوا بما شرحه من نصوص الكتاب المقدس.

* قام ناشر الترجمة العربية هذه، بوضع عنوان عام لكل فصل، وكذلك عناوين جانبية في كل فصل.

مميزات كتاب الروح القدس:

امبروسيوس والآباء الذين كتبوا عن الروح القدس:

من المؤكد أن امبروسيوس درس ما كتبه الآباء الذين سبقوه، لا سيما أثناسيوس وديديموس الضرير وباسيليوس الكبير. ويعتبر بعض أساتذة الآباء أن كتاب امبروسيوس هو شرحٌ موسَّعٌ لكتاب ديديموس الضرير عن الروح القدس مع ضبط المصطلحات اللاهوتية على ما سجَّله أثناسيوس الرسولي.

قَسَّمَ القديس امبروسيوس الكتاب إلى ثلاثة أجزاء أو ثلاثة كتب، وبدأ كل قسم بحادثة من العهد القديم. وانفرد امبروسيوس بتسجيل الكثير من نصوص العهد القديم عن الروح القدس، وإن كان قد تأثَّر كثيراً بما سجَّله القديس باسيليوس عن سوء استخدام قواعد اللغة، لا سيما حروف الجر عند الهراطقة، كمحاولة للنيل من أُلوهية الروح القدس، وهي المشكلة التي ناقشها امبروسيوس في الكتاب الثاني.

ولكن يبدو واضحاً أن ما سجَّله امبروسيوس هو شهادةٌ هامةٌ عن التسليم الرسولي الذي عرفه كل الآباء. هذه النقطة الهامة يجب أن تنال حقها من الدراسة، وهي مقابلة ومقارنة نصوص الآباء: أثناسيوس – باسيليوس – امبروسيوس – ديديموس الضرير عن الروح القدس، ودراسة المصطلحات اللاهوتية، ونصوص الكتاب المقدس، والشرح اللاهوتي، لا سيما ما أخذه الآباء من الأسرار الكنسية والليتورجية. هذه الدراسة سوف تفتح لنا مجالات أصيلة وهامة، وسوف تساعدنا على أن نتكلم بدقة لاهوتية عن الروح القدس.

استفاد امبروسيوس من كتابات الذين سبقوه، ولذلك أجاب على عدة أسئلة بالتفصيل أكثر من أثناسيوس وباسيليوس، وسوف نعرض نماذج من إجاباته المفصَّلة والدقيقة.

لماذا كتب امبروسيوس عن الروح القدس؟:

كانت كتابات آباء الشرق مثل أثناسيوس وباسيليوس معروفةً باليونانية فقط، ولم تكن قد تُرجمت إلى اللغة اللاتينية بعد. وكان مستوى التعليم اللاهوتي في الغرب –في تلك الأيام– أقل بكثير عن الشرق، حتى أن البابا الروماني داماسوس طلب ترجمة كتاب ديديموس الضرير عن الروح القدس من اليونانية، وكان هذا هو الكتاب الوحيد المعروف في الغرب في تلك الأيام. كل هذا دفع امبروسيوس إلى أن يضع كتابه، ويجمع فيه كل ما ذكره الآباء الذين سبقوه، حتى يقدم كتاباً لاتينياً وافياً عن موضوعٍ صار مثار الجدل بين الكنيسة والهراطقة.

وهناك سببٌ آخر يفوق السبب الذي ذكرناه، وهو ضرورة أن يقدم امبروسيوس شهادة كنيسته عن الإيمان الأرثوذكسي، وهذه الشهادة، كانت دائماً مكتوبة. وهذا هو أحد أسباب وضع الكتب اللاهوتية في زمن الآباء. وقد استطاع امبروسيوس أن يقدم كتاباً يُعدُّ أسهل بكثير من كتاب أثناسيوس وواضح كثيراً من كتاب باسيليوس، وذلك

يعود إلى أمرين:

(أ) وضوح وبساطة اسلوب امبروسيوس نفسه.

(ب) اختلاف اللغة اللاتينية عن اليونانية، فهي ليست مثل اليونانية غنية بالمصطلحات والكلمات الضخمة المركبة، وإنما هي أبسط بكثير لأنها لغة شعبية.

وقد افتتح القديس امبروسيوس كتابه الثاني بالحديث عن شمشون، ومواهب الروح القدس في العهد القديم بعد ما أكَّد أهمية رموز العهد القديم عن الروح القدس بشكلٍ خاص في كتابه الأول الذي افتتحه بالشرح الرمزي عن جدعون. وطبعاً هذا اختيار مُتعمَّد لأن أساس التعليم المسيحي الصحيح له جذوره الموجودة في العهد القديم. وظهور عمل أقانيم الثالوث القدوس من خلال العمل السري الذي تعبِّر عنه الأحداث الرمزية في العهد القديم، هو أمر ضروري لفهم الثالوث.

القديس امبروسيوس يجيب على بعض الأسئلة الحائرة اليوم

الروح القدس هو عطية الآب لنا، وقد أُعطيت لنا بالابن الوحيد، ولا يوجد مكان بالمرة لأن نعتبر أن الروح هو مجرد "روح"، أو "قوة"؛ لأن إنكار أقنوم الروح القدس هو إنكارٌ للثالوث (ك ١ ف ٣: ٤٢)، ولأن توزيع العطايا لا يعني انقسام الروح لأن الروح غير منقسم (ك١ ف ٣: ٤٩). وهكذا جاءت أسماء الروح القدس في الفصل الرابع من الكتاب الأول: الروح القدس – روح الحياة – روح الحق – روح الرب (ك ١ ف ٤: ٥٨ – ٥٩)؛ لأن الذي وهِبَ لنا ليس مجر قوة بل الروح القدس نفسه (ك ١ ف٣: ٤٢، ف ١٣: ١٣٧ – ١٤٠، ف ١٤: ١٦٠، ف ١٥: ١٧١).

حاجتنا إلى الروح القدس

بدون الروح القدس نحن أموات "لأننا نُختَم بالروح القدس لكي نتأله ببهائه ...

أننا نُختَم روحياً في قلوبنا بكل تأكيد لكي يرسم الروح القدس فينا مثال الصورة السمائية" (ك ١ ف ٦: ٧٩).

وعندما ننال الصورة السمائية ومثال الله –كما يقول القديس بطرس– نصير شركاء الطبيعة الإلهية (ك ١ ف ٦: ٨٠)، فالروح هو مسحة المسيح نفسه (ك ١ ف ٩: ١٠٣).

بل علينا أن ندرس بدقة ما ورد في الكتاب الثاني عن أن الرب الروح القدس "هو القوة، ووصف الروح القدس بالقوة لا ينتقص من أُلوهيته (ك ٢ ف ١: ١٩)، بل "أن الرب يسوع نفسه سمَّى الروح القدس بالقوة" (أع ١: ٨). (ك ٢ ف ١: ١٩).

الروح القدس هو حياتنا الأبدية

هكذا كتب امبروسيوس: "حيث الروح توجد حياة أبدية" (ك٢ ف ٣: ٢٧)؛ لأن الروح هو الذي يهب الحياة الأبدية (المرجع السابق٩، ولأن معرفة الإله الحق وحده تمنحنا الحياة الأبدية لأن الروح القدس يعطي الحياة (ك ٢ ف ٤: ٢٩).

نأخذ الروح القدس من الرب يسوع نفسه

تجسد الرب وفي تجسده امتلأ بالروح القدس (ك ١: ٤)، وجاء الرب ونزل المطر وجلب معه الندى السماوي الذي منه نشرب الآن وقد كنا عطاشاً من قبل، ومن عطشنا الداخلي نشرب من روح الله" (ك ١: ٨). ويكفي أن نعيد قراءة هذه العبارات:

– "الروح القدس لا يأخذ شيئاً من الطبيعة الإنسانية التي يقدسها" (ك ١ ف ٧: ٨٣).

– "لا يوجد لأحد سلطان على الروح القدس" (ك ١ ف ٨: ٩٠).

– "هذا ليس عمل إنسان ولا عطية إنسان، بل الذي يستدعيه الكاهن، إنما يُستَجاب بواسطة الله ويُعطيَ من قِبَل الله. فالعطية هي عطية الله، أما الخدمة فهي خدمة الكاهن. واذا كان الرسول بولس قد حكم على ذاته بأنه لا يقدر أن يعطي الروح القدس بسلطانه الخاص ... فمَن هو الكفء لأنْ يدَّعي أنه قادرٌ على أن يعطي هذه العطية؟" (ك ١ ف ٨: ٩٠).

الرب يسوع نهر الدم الدائم (ك١: ٢)

صُلِبَ الرب لأجلنا وصار الصليب سفينة النجاة "التي صارت لعبورنا" (ك ١ ف ١٢: ١٢٩)، فالآب حسب كلمات امبروسيوس "لم يقدم ابنه للعقوبة" (المرجع السابق)، بل هو الجمرة "التي رآها أشعياء، وهو النار التي سوف تطهر الإنسانية لأنها النعمة التي أحرقت ذنوبنا" (ك ١ ف ١٠: ١١٣).

وعندما صُلِبَ الرب "فاحت منه رائحة الحياة التي لا تموت فوهب الموتى عطية الحياة" (ك ٢ ف ٥: ٣٩). وهكذا يجب أن نفهم دورة عيد الصليب ووضع الزهور على الصليب والمرور أمام الأيقونات لأن الرب وهب الحياة لكل من نراهم في أيقونات الكنيسة.

وهكذا يجب أن نفهم أن نزول الروح إلينا، إنما لكي "يسكن فينا وينقلنا من الأرض إلى السماء ومن الشقاء إلى المجد ومن العبودية إلى الملكوت" (ك ١ ف ١١: ١٢٢).

فزَّاعة تحول الإنسان إلى أُلوهية الروح

كتب امبروسيوس أنه في تجسد الابن نفسه "لم يتحول الروح القدس إلى عظام ولحم" (ك ٢ ف ٥: ٤٣)، ولذلك فإن نشر هذه الفزَّاعة ليست إلا تخريب الجهل

للإيمان لأن الروح لا يأخذ شيئاً من الطبيعة الإنسانية التي يقدسها" (ك ١ ف ٧: ٨٣).

لغة القرن الرابع بالذات هي القوة والنعمة التي تُهَب من الثالوث من الآب بالابن بالروح القدس لأن "القوة واحدة والاسم واحد" (ك ١ ف ٣: ٤٠).

وفي وصف الروح القدس بأنه نهر الحياة، نجد لمحة رش الماء بعد القداس إشارةً إلى انسكاب الروح علينا (ك ١: ١٦)؛ لأن الروح هو نهر الحياة.

البنية اللاهوتية والدفاع عن أُلوهية الروح القدس:

كيف برهن امبروسيوس أُلوهية الروح القدس؟

كانت الأريوسية والأنومية تؤكدان انفصال الأقانيم بأمرين أساسيين:

(أ) اختلاف طبائع الآب والابن والروح القدس.

(ب) اختلاف العمل الذي يقوم به كل أقنوم نظراً لتدرج المرتبة الإلهية، فالآب يليه الابن ثم الروح القدس بعد الابن مباشرةً.

وكانت طريقة الآباء جميعاً هي الاعتماد على الدعائم الثلاثة التي وصلت من التسليم الرسولي نفسه، هذه الدعائم هي:

أولاً: الإرادة الواحدة للثالوث.

ثانياً: العمل الواحد والقوة الواحدة التي تعمل كل الأشياء.

ثالثاً: النعمة الواحدة للثالوث التي بها يتم خلاص الإنسان.

هذه الدعائم الثلاث نراها في الكتب الأربعة الرئيسية عن الروح القدس التي كتبها الآباء ابتداءً بالقديس أثناسيوس، فالقديس باسيليوس، فالعلامة ديديموس الضرير،

فالقديس امبروسيوس. وهذه الدعائم الثلاثة لا تعني إلا حقيقة عقائدية هامة، وهي وحدة جوهر الثالوث نفسه. إذن، وحدة الجوهر تعني الإرادة الواحدة – الحياة الواحدة – العمل الواحد – القوة الواحدة – النعمة الواحدة. وهكذا تتكرر كلمات الإرادة – الحياة – العمل – القوة – النعمة، وهي ليست إلا الكلمات المناسبة التي تشرح حقيقة وحدانية الذات الإلهية وعدم إمكانية فصل الأقانيم الثلاثة، لا في الجوهر ولا في العمل.

وقد شرح القديس امبروسيوس النقطة الأولى بإفاضة وجعلها المدخل لشرح القوة الواحدة (راجع ك ٢ ف ٢: ٢٠ – ف ١: ١٩ – ٢: ٢٢ – ف ٨: ٧٢ – ف ٥: ٤٢). وبعد ذلك شرح في استطراد النعمة الواحدة للثالوث القدوس (ك ٢ ف ٥: ٢٢ – ف ١٣: ١٤٣، ١٤٧، ١٤٨). هذه النعمة الواحدة هي بذاتها العمل الواحد للثالوث (ك ٢ فص١٢: ١٣٠، ١٣١، ١٣٦).

وهكذا لخَّص امبروسيوس التسليم الرسولي كله في عبارة واحدة: "القوة والقدرة واحدة عندما يكون العمل واحداً، والدينونة واحدة والهيكل واحد، والقوة المحيية واحدة والتقديس واحداً، أليس ملكوت الآب والابن والروح القدس واحداً؟" (ك ٢ ف ٢: ٥٥). وهكذا، إذا استحال فصل الأقانيم بسبب وحدة الجوهر، صار من الواضح أن عمل "الآب والابن والروح القدس في كل الخليقة ليس واحداً فقط، بل إرادة واحدة أيضاً هي التي تخلق وتأمر وتعطي الوصايا، وهي ذات الإرادة الواحدة التي نراها في الأسرار العظيمة المعطية الخلاص في الكنيسة" (ك ٢ ف ١٠: ١٠١). وطبعاً ما يُزعِج الآباء جميعاً، لا سيما الذين كتبوا عن الثالوث وأُلوهية الابن وأُلوهية الروح القدس، هو أن إنكار أي أُقنوم من الأقانيم معناه عدم اشتراك هذا الأُقنوم في الخلق والخلاص وهما القاعدتين الأساسيتين للعمل الإلهي كله كما نعرفه نحن البشر. فالخالق هو الثالوث، والمخلص هو الثالوث، وهذا هو ما يميِّز المسيحية عن غيرها من الديانات الأخرى، فكل شيء انما هو نابع من الاب ويعلن ويعطى بالابن في الروح القدس.

وهو ما يؤكده القديس امبروسيوس في الفصل الثاني عشر كله من الكتاب

الثاني. لاحظ هذه العبارة القوية: "لقد برهنا على أن الله يعلن لنا أموره الخاصة وكذلك الابن وكذلك الروح القدس أيضاً. ومعرفتنا نابعة من الروح الواحد وبواسطة الابن الواحد وتقودنا إلى الآب الواحد". فهو يبدأ من عطية الله لنا، أي الروح القدس الذي يقودنا إلى الابن، ثم الآب. ولكنه عندما يتتبع العطية من مصدرها الإلهي يقول: "ومن الآب الواحد بالابن في الروح الواحد ننال الصلاح والتقديس والحق الملوكي للحياة الأبدية" (ك ٢ ف ١٢: ١٣٠).

وحدة عمل أقانيم الثالوث:

ماذا تعني هذه الوحدة غير وحدة الجوهر واشتراك الأقانيم في عمل واحد؟

أولاً: أن المواهب الروحية ليست مواهب الروح القدس وحده، وأنما هي مواهب الآب والابن أيضاً (ك ٢ ف ١٢: ١٣٩، ١٤٠، وأيضاً ف ١٣: ١٥١، ١٥٢).

ثانياً: استحالة فصل عمل الآب والابن الواحد عن عمل الروح القدس؛ لأنه "لا يوجد فرق بين عمل القوة الإلهية والنعمة؛ لأنه مكتوب "وأنواع عطايا ولكن الروح واحد وأنواع خِدم ولكن الروح واحد وأعمال متنوعة ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل (١كو ١٤: ٤-٦). فالخدمة متنوعة ولكن لا يوجد انقسام أو انفصال في الثالوث (ك ٢ ف ١٢: ١٣٨، راجع أيضاً ف ١٢: ١٣٩).

ثالثاً: كان الأريوسيون قد فصلوا عمل الابن عن عمل الروح القدس، ولذلك كان من الحتمي أن يؤكِّد الآباء جميعاً أنه عملٌ واحد. ويعبِّر امبروسيوس عن هذا الحق بقوله: "إن الله يملك كل الأشياء في الروح القدس وأن قوة الروح القدس هي المصدر الذي منه يأخذ الله نفسه ملكوته، هكذا كتب الذين سبقونا (أثناسيوس وباسيليوس) عن وحدة قوة الآب والابن والروح القدس عندما أكَّدوا مجد المسيح مع الروح القدس، فأعلنوا بذلك وحدة الجوهر بلا انفصال (ك ٢ ف ٨: ٨١). وبعد ذلك يسأل امبروسيوس السؤال الحقيقي لأنه مرتبط بمصير الإنسان: "كيف يمكن أن نفصل الروح القدس عن

الابن؟ .. ومن هو الأحمق الذي يتجاسر ويفصل وحدة الروح القدس والمسيح، ونحن بالروح القدس نصير ورثةً مع المسيح، فهل نصير ورثة بالذي قد فصل عنه؟" (ك ٢ ف ٨: ٨٢).

رابعاً: وما دام عمل الثالوث واحد لا يمكن فصله، فالقديس امبروسيوس يحذِّرُنا من تعليم الهراطقة الذي يؤدي إلى فصل النعمة عن مصدرها؛ لأن إنكار أُلوهية الروح القدس ليس إلا فصل النعمة عن المصدر، ولذلك يسأل امبروسيوس: "وهكذا عندما أدخلنا الروح القدس إلى ملكوته بالتبني في الميلاد المقدس – المعمودية ... وجعلنا ورثة الميلاد من فوق ... فهل نأخذ الميراث ونرفض صاحبه؟ ولكن الميراث لا يمكن أن يبقى إذا طُرِدَ صاحبه خارجاً، فلا صاحب ميراث بلا عطية، ولا عطية بلا صاحبها. إذا نلت النعمة آمن بالقوة. إذا رفضت القوة لا تسأل عن النعمة. الذي ينكر الروح القدس قد أنكر في نفس الوقت النعمة. أما إذا كان صاحب النعمة لا شيء، فكيف تصبح عطاياه ذات قيمة أو ثمينة؟ .. لماذا تنكرون معزِّينا "الروح القدس" (ك ٢ ف ٧: ٦٤).

أخيراً: إن الإيمان بأُلوهية الروح القدس هو مصدر حياتنا الدائمة في الله، وهذا ما يعبِّر عنه شاعر السريان مار يعقوب السروجي بنفس كلمات القديس امبروسيوس عندما شرح معنى نفخة الروح القدس بعد قيامة ربنا يسوع المسيح (يو ٢٠: ٢١-٢٢):

"اقبل منه روح الحياة لئلا إذا رفضته تموت.

سبيلٌ واحدٌ يقود إلى الله، وهو الله نفسه.

سِد آذانك عن سماع تعليم الموت.

مَن يعطيك نعمة من الله إلا الله.

مَن يجعلك شريك ميراث الملكوت إلا الملك.

لا تقبل عطية وترفض صاحبها.

لئلا تتعرى مثل آدم الأول.

آدم الجديد يريد أن يغطي عار آدم القديم.

نفخة الروح هبة حياة عدم الموت.

مَن ينالها يلبس ثياب عدم الموت"[١].

ولكن تبقى نقطة هامة أساسية، وهي أن القديس امبروسيوس يستخدم النصوص الخاصة بالروح القدس من العهدين القديم والجديد. ونصوص العهد القديم ذات دلالة خاصة لأنها تأتي أصلاً من التراث اليهودي السابق على المسيحية، وتمثل ركناً أساسياً في تأكيد أُلوهية الأقنوم الثالث. ومعظم هذه النصوص تأتي من المزامير ومن الأنبياء، ولا تقل في أهيمتها عن نصوص العهد الجديد. ولعل أفضل مثال هو التقليد الذي سجَّله امبروسيوس بأن رؤية أشعياء (٦: ١-٣) في ضوء ما سجله سفر الأعمال (٢٨: ٢٥-٢٦) كانت إعلاناً عن الروح القدس[٢]. ولا يغفل امبروسيوس أن يسجِّل أن يوحنا الإنجيلي (وهذا هو تقليد الإسكندرية) يؤكد أن أشعياء رأى الابن، بينما التقليد الانطاكي والغربي الذي اعتمد على التفسير اليهودي هو أن أشعياء رأى روح النبوة، أي روح الرب، وقد سجل امبروسيوس هذا في (ك ٣ ف ٢٢: ١٦٥) مؤكداً أن وحدة جوهر الأقانيم تؤكد في النهاية أنه سواء رأى أشعياء الابن أم الروح القدس، فغاية الرؤية هي إعلان الثالوث الواحد بالجوهر. ويؤكد ديديموس الضرير أن الكتاب المقدس يمكن أن يستخدم ذات النصوص النبوية مرةً للابن ومرةً أخرى للروح القدس، وأن هذا التبادل يتم

---

(١) القصائد المتنوعة، قصيدة رقم ٤ لمار يعقوب السروجي.

(٢) ويسجل امبروسيوس أيضاً التقليد اليهودي القديم بأن عمود السحاب وعمود النار الذي رافق الشعب هو الروح القدس (ك ٣ ف ٤: ٢١).

بسبب وحدة عمل الأقانيم لأن العمل الواحد (مقالة عن الروح القدس فصل: ١٤). وهكذا اتبع امبروسيوس المنهج السكندري في عهد ديديموس الذي جمع بين التقليد السكندري والانطاكي في وقتٍ كان الآباءُ يدرسون فيه كتابات بعضهم ويأخذون بما استقر في كل كنيسة من تفاسير عقائدية.

الروح القدس والنعمة:

عاد القديس امبروسيوس إلى القاعدة اللاهوتية السكندرية التي سجَّلها أثناسيوس ودافع عنها ديديموس الضرير بحرارة، واستخدمها امبروسيوس في شرح إيمان الكنيسة بالروح القدس. ولعل أهم ما تؤكده هذه القاعدة أن الاسم = الجوهر = العمل = النعمة = القوة؛ لأن الأقانيم لها ذات الطبيعة الإلهية الواحدة. وهنا يجب أن نفهم أنه لا يوجد فرق بالمرة بين كلمة "جوهر" وكلمة "نعمة". ويؤكد امبروسيوس هذه الحقيقة الظاهرة بكل وضوح في كتب الآباء الذين سبقوه في الكتابة عن الروح القدس، وبشكلٍ خاص أثناسيوس وباسيليوس. لكن علينا أن نسجِّل أيضاً أن عدم وجود اختلاف بين كلمة "جوهر"، و"نعمة" قاصرٌ في الكلام على أقانيم الثالوث، ولكن حتماً، عندما نُوهَب نحن النعمة الإلهية، فإننا نحتفظ بالطبيعة المخلوقة الخاصة بنا، وهكذا يسجِّل امبروسيوس (ك ٣ ف ٢٠: ١٥٧). فنحن أبناء الله بالتبني، أما الابن فهو بالطبيعة. نحن ننال النعمة، أما الروح القدس، فهو في الثالوث كواحد له ذات الطبيعة الإلهية. وهكذا يبدو الفرق ظاهراً في عدة أمور ذات دلالة روحية في اللاهوت المسيحي كما عبَّر عنه الآباء جميعاً، نوجزها في النقاط التالية:

أولاً: النعمة هي عمل إلهي لا ينتمي إلى الطبيعة المخلوقة، بل إلى الطبيعة الإلهية الخالقة. ويؤكد امبروسيوس هذا في عدة نصوص أهمها بل أوضحها النصوص الخاصة بمغفرة الخطايا (ك ٣ ف ١٨: ١٣٧ – ١٣٨)، حيث يشرح أن "مغفرة الخطايا هي عمل الله وحده. ولكن إذا كان البشر يمارسون خدمتهم (الأساقفة والكهنة)، فإنهم لا يمارسون قوةً ذاتيةً خاصةً بهم؛ لأنهم لا يغفرون الخطايا باسمهم، ولكن باسم الآب والابن

والروح القدس، هم يطلبون (يصلون) والله يعطي، .."". وهنا، النعمة الواحدة هي نعمة الثالوث القدوس، والسلطان هو سلطان الله، وليس سلطاناً ذاتياً يملكه البشر. ولكن علينا أن ننتبه إلى صياغة امبروسيوس، فالأساقفة أو القساوسة أو الخدام لا يغفرون الخطايا باسمهم، وهنا الاسم = قوة أو عمل، وهي ذات القاعدة اللاهوتية السابقة التي تجعل الجوهر والاسم والقوة والنعمة مترادفات. أما عمل الثالوث فينا فهو يظل العمل الإلهي الذي لا يمكن أن يختلط بالسلطان الإنساني أو القوة الإنسانية، حتى في حالات نعمة التبني ونعمة الحياة الأبدية أو عدم الموت، فمن الواضح أن الشركة في النعمة الإلهية لا تلغي الفروق بين الخالق والمخلوق. وشركة المخلوق في حياة الخالق، هي التي تجعل الإنسان عديم الموت أو حياً إلى الأبد مثل الله، ولكن الحياة الأبدية لا تصبح طبيعة ذاتية في الإنسان، وإنما تظل القوة الدائمة العمل في الطبيعة المخلوقة، التي ترفع الإنسان إلى شركة الطبيعة الإلهية.

ثانياً: ولعل أخطر الفروق بين الخالق والمخلوق هو عجز المخلوق وضعفه وخضوعه للموت. فهذا في الحقيقة هو معنى كلمة "مخلوق". لكن ذلك الضعف والعجز لا يمنع الله من العمل، ولا يحرم الإنسان من القوة الإلهية. وأهمية تجسد ابن الله وحلول الروح القدس هو عبور الفجوة المطلقة التي تفصل بين الله الخالق والإنسان المخلوق. لكن هذا العبور لم يلغِ هذا الفرق الخطير، وإنما حوَّل هذا الفرق إلى وسيلة للتعامل الخاص بين الله والانسان في المسيح وبالروح القدس. فقد حقق اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح إمكانيات هائلة في الإنسان، إذ جعل الإنسان قادراً على الشركة في الله في إطار نعمة التبني، كما فتح للإنسان إمكانيات الشركة في الآب والروح القدس، وكلاهما لم يتجسدا، وإنما صار التعامل معهما من خلال الابن المتجسد الذي هو واحدٌ معهما في الجوهر. وهكذا يمكننا أن نسأل: لماذا حلَّ الروح القدس في يوم الخمسين، ولماذا رافق عمل الروح القدس كل ما عمله ربنا يسوع المسيح لأجلنا؟ والاجابة واضحة، فقد أعطى التجسد إمكانيات الشركة مع الآب وفي الروح القدس من خلال وحدة جوهر الثالوث، ومن خلال التغيير الجذري في الطبيعة الإنسانية التي جدَّدها المسيح فيه هو شخصياً وأعدَّها

لتكون قادرةً على استيعاب نعمة الشركة في الطبيعة الإلهية (٢ بط ١: ٤). لكن هذا الإعداد لم يرفع الإنسان إلى ذات الطبيعة غير المخلوقة، وإنما جعل الطبيعة المخلوقة تنال قوة وثبات الطبيعة غير المخلوقة، أي قوة وثبات عدم الموت، وهو أمرٌ خاصٌّ بالله "الذي وحده له عدم الموت ساكناً في نور لا يدنى منه" (١ تيمو ٦: ١٦). ويعلِّق امبروسيوس على هذا النص بقوله: "كيف لا يكون للابن عدم الموت وهو بذاته الحياة؟ فعدم الموت هو طبيعته، وله عدم الموت كجوهره، وليس له عدم الموت كنعمة أُعطيت في الزمان، وإنما هو يملكها لأن لاهوته أبدي. ولم يحصل على عدم الموت كعطيةٍ تُعطى للعبيد، وإنما عدم الموت هو حقه بسبب ميلاده الأبدي كابنٍ أبديٍّ لله" (شرح الإيمان المسيحي كتاب ٥ فصل ٢: ٣٥). وهنا نلمح بوضوح الفرق بين الابن وبين المؤمنين، فهو فرقٌ بين ما هو ذاتي وخاص بالجوهر الإلهي، وما هو ممنوح وعطية لا تنتمي أصلاً للطبيعة الإنسانية.

ثالثاً: والعطية أو النعمة لا يمكن أن تكون مخلوقة؛ لأن إضافة عطية مخلوقة أو نعمة مخلوقة إلى الطبيعة الإنسانية المخلوقة لا يعطي في النهاية الشركة في الله غير المخلوق. وسوف يظل الفرق الدائم بين المسيحية وغيرها من الديانات الأخرى، وبين الأرثوذكسية والهرطقات هو تعليم المسيحية عن النعمة. وإذا نال الإنسان نعمة الله غير المخلوقة لا يتحول إلى كيانٍ غير مخلوق، أي إلهي، فهذا تعليمٌ غريبٌ عن المسيحية التي تؤكد أن الذي خُلِقَ في الزمان ومن العدم، لا يمكنه أن يتحول إلى الله. ولكن الذي يحدث هو أن حلول اللاهوت في الإنسان وامتلاء الإنسان إلى "ملء الله" حسب تعبير الرسول بولس نفسه، يُنشئ علاقة أبدية بين الخالق والمخلوق، هذه العلاقة يسمِّيها الكتاب المقدس بـ "النعمة". وهنا نرى أن الفرق بين المسيحية والديانات الأخرى هو أن المسيحية ترى أن مصير الإنسان الأبدي هو أن تحفظه عطايا الله في حياة السعادة الأبدية بما يتم في داخله من تغييرات أساسية مثل عطية التبني وعدم الموت، لكن هذه التغيرات هي إضافة إلهية إلى كيانه المخلوق من العدم ليحفظ هذا الكيان في الشركة الإلهية، دون أن يتحول الكيان الإنساني نفسه إلى طبيعة الله أو جوهر الله. وإذا ظلَّت النعمة غير مخلوقة والإنسان مخلوقاً، أمكننا أن نرى في صيغة الآباء عن اتحاد اللاهوت

بالناسوت في ربنا يسوع المسيح أنها صيغة خاصة بنا؛ لأننا نحن بالنعمة نظلُّ كبشرٍ مشتركين في اللاهوت بدون "اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير"، أي تظل حياتنا وطبيعتنا كما هي إنسانية لكنها في أعلا درجات الشركة مع الله.

رابعاً: ويؤكد امبروسيوس بكل وضوح أن النعمة هي الابن ذاته (ك ٣ ف ٢: ٩)، وهي أيضاً الروح القدس (ك ٣ ف ٢: ١٠). فالنعمة ليست محتوى مجرد، أي فكرة عقلية، وإنما النعمة عملٌ إلهي يقوم به الثالوث القدوس.

وهكذا يقول امبروسيوس إن "النعمة أُعلِنت وثبُتَت بالروح القدس" (ك ٣ ف ٣: ١٤). فهي كعملٍ إلهيٍّ لا يمكن فصله عن مصدره، أي الأقنوم الذي يَهَب هذه العطية. ولذلك يرى امبروسيوس أن السجود وعبادة الله الآب بالروح (الروح القدس) والحق (الابن) هو نعمة عبادتنا للثالوث؛ لأن الثالوث أنعم علينا أن نعبده (ك ٣ ف ١١: ٧٣). وهكذا أيضاً القداسة هي نعمة وعطية الروح القدس (ك ٣ ف ١٤: ٩٥). مثل القيامة نعمة الابن ربنا يسوع المسيح لنا (ك ٣ ف ١١: ٧٤).

خامساً: فالنعمة هي أعمال الله المثلث الأقانيم لأجلنا، وهي الأعمال التي تؤكد وحدة الجوهر الإلهي؛ لأن القاعدة اللاهوتية الرسولية الثابتة هي أن تمايُز وتوزيع النعمة لا يعني عدم المساواة في جوهر الثالوث (ك ٣ ف ١٠: ٦٨). وفي نصٍّ يجب قراءته بكل دقة يمكننا أن نرى أن الكلام عن النعمة هو كلامٌ خطيرٌ جداً؛ لأن التعليم المسيحي يؤكد أن الطبيعة الإنسانية لا يمكنها أن تفهم الله أو تعبده أو تتصل به إلا من خلال النعمة، وهذه النعمة هي التي تجعل السمائيات لا يمكن فهمها وإدراكها إلا بالروح القدس (ك ٣ ف ٤: ٢٦).

ليعطنا إلهنا الصالح، الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس نعمته الفائقة، لكي نقرأ وندرس هذه الحقائق الإلهية السامية بروح الصلاة، طالبين النور الإلهي غير المخلوق الروح القدس؛ لكي يعمل فينا بملئه ليتمجد الآب فينا بالابن، ونشترك في حياته غير المائتة حتى نصل إلى ميناء الخلاص الأبدي بكل سلام.

له كل المجد والتسبيح الآن وكل آن وإلى الأبد آمين.

دكتور

جورج حبيب بباوي

الكتاب الأوَّل

مقدمة

١– بينما كان يربعل يدقُّ الحنطةَ تحت شجرة البلوط (قض ٦: ١١)، نال إعلاناً من الله لكي يقود شعب الله من عبوديتهم للغريب إلى الحرية.

ولا عجب في اختياره؛ لأنه أُختير في ظِلِّ الصليب المقدس، وبالحكمة الفائقة التي عيَّنت السر الآتي، أي التجسد. كان يدقُّ الحنطةَ لكي يُخرِج من القشرة السرية الحنطةَ المثمرةَ ويجعلها مرئيةً، أي كمن يفصل القديسين المختارين عن التبن الفارغ الذي بلا قيمة، وهؤلاء المختارون كما لو كانوا قد تدرَّبوا بعصا الحق (الصليب) فتركوا كل ما هو غير ضروري ويخص الإنسان القديم وأعماله، هؤلاء يُجمَعون في الكنيسة مثل جمع النبيذ من المعصرة.

ومعصرة الحكمة الأبدية هي الكنيسة، التي يفيض من آبارها عصير الخمر السمائي.

٢– وتحرَّك يربعل أو جدعون بواسطة هذا الاعلان، خصوصاً وقد عرف أن ربوات الشعب قد فشلت، وان الله سوف يخلِّص خاصته من أعدائهم بواسطةِ رجلٍ واحدٍ (قض ٦: ١٤)، فقدَّم فوراً جدي معز –حسب كلمة الملاك– ووضع اللحم مع الفطير على الصخرة وسكب المرق عليهما، وحالما لمسهما الملاك بطرف عكازه، فاضت النار من الصخرة وأكلت الذبيحة التي قُدِّمت (قض ٦: ١٩–٢١). وهذا واضحٌ، فالصخرة هي جسد المسيح؛ لأنه مكتوبٌ: "وجميعهم شربوا من صخرة تتبعهم، والصخرة كانت المسيح" (١كو ١٠: ٤)، وما قيل واضحٌ، فهو لا يخص أُلوهيته، وإنما جسده الذي روى عطش البشرية بنهر دمه الدائم.

٣- وهكذا في ذلك الزمان، أُعلن في سِرٍّ أن ربنا يسوع المسيح في جسده، عندما يصلب، سوف يحمل خطايا العالم، وليس أعمال الجسد فقط بل شهوات النفس أيضاً. وجسد الجدي يشير إلى خطايا الإرادة، أما المرق فهو يشير إلى إغراء الشهوات كما هو مكتوب: "واشتهى الشعب شهوةً رديئةً وقالوا مَن يعطينا لحماً لنأكل" (عدد ١١: ٤). أما عندما لمس الملاك بعكازه الصخرة، فخرجت منها النار، فهو يوضِّحُ أن جسد الرب قد مُلئ بالروح الإلهي، وأنه سيَحرِق كل خطايا الضعف الإنساني، ولذلك قال الرب: "أتيت لكي أُلقي على الأرض ناراً" (لوقا ١٢: ٤٩).

٤- وعندما تعلم يربعل ما سيأتي، وأنه يشاهد الأسرار السمائية، وحسب الإنذار الذي سمعه، ذبح الثور الذي خصَّصه أبيه للأوثان، وقدَّم لله ثوراً آخر عمره سبع سنوات (قض ٦: ٢٦). وبهذا العمل أعلن بوضوحٍ تام أنه بعد مجيء الرب، سوف تزول كل ذبائح الأمم، وأن ذبيحة آلام الرب سوف تقدَّم لخلاص شعبه. كان هذا الثور مثالاً للمسيح الذي قال عنه أشعياء سوف يحل فيه ملء مواهب الروح القدس السبعة (١١، ٢). وهذا الثور نفسه قدَّمه إبراهيم عندما رأى يوم الرب (تجسُّده) وفرح (يو ٨: ٥٦). وهو الذي قُدِّم في المثال كجدي، ومرةً كحَمَلٍ ومرةً ثالثةً كثورٍ. وجديٌ لأنه ذبيحةُ خطيةٍ، وحملٌ لأنه ضحيةٌ لا تقاوِم، وثورٌ لأنه ذبيحةٌ بلا عيب.

٥- لقد عاين القديس جدعون السِّرَّ قبل أن يحدث، وبعد ذلك اختار ٣٠٠ رجل للحرب لكي يعلن أن العالم سوف يخلُص من عبودية الأعداء القساة، ليس بكثرة العدد، وإنما بسرِّ الصليب، ورغم أنه كان شجاعاً صادقاً، إلا أنه سأل الربَّ عن أدلةٍ ثابتةٍ عن الانتصار الآتي قائلاً: "إن كنت تخلِّص الشعب بيدي كما تكلمت، فها إني أضع جَزةً من الصوف في البيدر، فإن كان طلٌّ على الجزة وحدها وجفافٌ على الأرض، علِمتُ أنك تخلص بيدي الشعب حسب وعدك". وقد تم ذلك، وبعد ذلك سأل علامةً إضافيةً أن يكون طلٌّ على الأرض كلها، وأن يكون الجفاف على الجزة وحدها (قض ٦: ٣٦ – ٤٠).

٦- وربما سأل البعضُ ألم يكن إيمان جدعون ناقصاً لأنه بعد أن نال كل هذه العلامات طلبَ المزيد، ولكن لماذا نأخذ طلب العلامات الإضافية كنقصِ إيمانٍ، وهو الذي كان يتكلم عن الأسرار الآتية؟ إذن، لم يكن يشك، وإنما كان حكيماً لكي لا نشكُّ نحن. وكيف يشكُّ مَن كانت صلاته مستجابةً؟ وكيف بدأ المعركة بلا خوف ما لم يكن قد فهم رسالة الله له؟ كان الطلُّ على الجزة يشير إلى الإيمان الذي كان في اليهود وحدهم، لأن كلمة الله نزلت مثل الندى.

٧- وهكذا، بينما أصاب العالم كله جفافُ خرافات الأمم، نزل ندى الافتقاد السماوي على الجزة. أما عندما ضلَّ الشعب اليهودي مثل الخروف الضال؛ لأن بيت إسرائيل، هو الجزة التي وصفها جدعون، وكانت تخبرنا بما سيأتي بعد أن تاه هؤلاء ورفضوا ينبوع المياه الحية، جفَّت مياه الإيمان في صدور اليهود، وحوَّل ينبوعُ المياه الحيَّةِ مجراه إلى قلوب الأمم. ومنذ ذلك رطَّبَت مياهُ الحياة وندى الإيمان العالمَ كله، وجفَّ في اليهود؛ لأنهم فقدوا أنبيائهم ومشيريهم.

٨- وليس غريباً أنهم عانوا من جفاف عدم الإيمان، فقد أعلن الربُّ عن أمطار النبوة المخصِبة قائلاً: "وأوصي سحابي لكي لا يمطر على الكرمة" (أشعياء ٥: ٦)؛ لأن غيوث أمطار الحياة الواهبة الصحة، النعمة المخلِّصة قال عنها داود: "ينزل مثل المطر على الجزاز ومثل الغيوث الذارفة على الأرض" (مز ٧٢: ٦). وهكذا وعدتنا الأسفار المقدسة بهذا المطر الذي سيهطُل على كل الأرض لكي يروي العالم بندى روح الله عندما يتجسد المخلص.

لقد جاء الربُّ ونزل المطر، تجسَّد الربُّ وجَلَبَ معه الندى السماوي الذي منه نشرب الآن، وقد كُنَّا عطاشاً من قبل، ومِن عطشنا الداخلي، نشرب من روح الله.

٩- رأى القديس جدعون هذا وآمن بأن الأمم سوف تشرب عندما تقبَلُ الإيمان، فأراد أن يفهم أكثر وحَذَرُ القديسين لازمٌ. وهكذا أيضاً كان يشوع بن نون عندما رأى رئيس جند السماء، فسأل: "هل أنت معنا أم مع أعدائنا" (يشوع ٥: ١٣) حتى لا يُخدَع بحيل الشيطان.

١٠- ولم يكن غريباً وبلا سبب أنه لم يضع الجزة لا في حقلٍ، ولا في أرضٍ فضاء، بل في بيدرٍ، حيث كان حصاد الحنطة "فالحصاد وفير والفعلة قليلون" (لوقا ١٠: ٢)، وذلك لأنه بالإيمان بالرب، سيكون حصاد الفضائل وفيراً.

١١- ولم يكن بلا سبب أنه جفَّت جزة اليهود، ووضع الندى الذي كان فيها في وعاء، فقد امتلأت الجزة بالماء، ولكنه لم يستعمل هذا الماء لغسل قدميه؛ لأن هذا الحق الخاص بهذا السر العظيم، يخصُّ آخر سوف يأتي وسينتظره؛ لأنه هو وحده القادر على أن يغسل وساخة الكل.

لم يكن جدعون عظيماً بالقدر الذي يجعله ينسب هذا السر لنفسه، وإنما "ابن الإنسان جاء لا لكي يُخدَم بل ليَخدِم" (متى ٢٢: ٢٨).

علينا أن نتبين في مَن تمَّت هذه الأسرار. لم تكن مع القديس جدعون؛ لأن الأسرار لم تكن قد أُكمِلَت، فالأمم بعيدين عن الله، ولذلك كانوا في الجفاف، أما بعد ذلك، صار الجفاف في إسرائيل، رغم أن الندى ظلَّ في الجزة.

١٢- أما إذا جئنا الآن إلى إنجيل الله. فإنني أجد أن الرب قد خلع ملابسه، وتمنطق بمنطقةٍ ووضع منشفةً حول وسطه، وسكب ماءً في مغسلٍ، وغسل أرجل تلاميذه (يو ١٣: ٤). كان هذا الماء هو الندى السماوي، وقد سبقت الأمثلة وأشارت إلى أن الرب يسوع المسيح سوف يغسل أرجل تلاميذه بهذا الندى السماوي.

يا ليتنا نمُدُّ أقدامَ عقولنا إلى الأمام لأن الرب يسوع يريد أن يغسل أقدامنا، وعندما قال هذه الكلمات، لم يكن يتحدث مع بطرس فقط، وإنما كان يتحدث مع كل مؤمن: "إذا لم أغسل قدميك ليس لك معي نصيب" (يو ١٣: ٨).

١٣- تعال أيها الرب يسوع واخلع ملابسك التي لبستها لأجلي. لقد تجرَّدت أنت لكي تلبسنا نحن بالرحمة. تمنطق بمنشفةٍ لأجلنا لكي تمنطقنا بعطية الخلود. أُسكب ماءً في

المغسل واغسل ليس فقط قدمي، بل رأسي، وليس فقط جسدي، بل أقدام النفس.

إنني أريد أن أغتسل من وساخة انكسارنا حتى أقول أنا أيضاً: "في الليل خلعت ثوبي فكيف ألبسه. قد غسلت رجليَّ، فكيف أوسخهما" (نشيد ٥: ٣).

١٤- ما أبهى جمالك، فأنت مثل عبدٍ تغسل قدمي تلاميذك، ولكنك كإلهٍ تُرسل الندى من السماء. أنت لا تغسل قدميَّ فقط، بل تدعونا أيضاً لأن نجلس مثلك وأن نصبح نتشبَّه بكرامتك؛ لأنك تقول: "أنتم تدعونني سيداً ورباً وحسناً تفعلون لأنني أنا كذلك، فإن كنت أنا الرب والمعلم قد غسلت أقدامكم، فعليكم أن تغسلوا كل واحد قدمي الآخر" (يو ١٣: ١٣ و١٤).

١٥- وأنا بدوري أريد أن أغسل أقدام إخوتي، وبذلك أُتمم وصية ربي، ولن أخجل من غسل الأقدام ولن أحتقر ما فعله هو أولاً.

حسنٌ هو سرُّ الاتضاع، لأنني عندما أغسل دنس الآخرين، أغسل دنسي أنا أيضاً، وإن كان ليس الكلُّ قادراً على استيعاب هذا السر، فإبراهيم كان مستعداً بكل يقين أن يغسل أقدام ضيوفه بسبب كرم الضيافة (تك ١٨: ٤). وجدعون أيضاً كان مستعداً لأن يغسل قدمي ملاك الرب الذي ظهر له، ولكن نيته كانت قاصرة على خدمة واحد هو الملاك. كان جدعون يريد أن يغسل قدمي الملاك عن شعورٍ بضرورة الخدمة، لا كمَن يطلب شركةً مع الملاك. هذا هو السر الذي لم يعرفه أحد. وأخيراً الربُّ قال لبطرس: "ما أنا فاعله لست تعرفه الآن ولكنك ستعرفه فيما بعد" (يو ١٣: ٧). وهذا ما أُسميه بالسر الإلهي، والذين يُغسَلون سوف يسألون: هل هذا ماءٌ بسيط أم هو ماء السر السماوي الذي به نغتسل ونصير شركاء المسيح؟

١٦- يوجد ماءٌ آخر نضعه في وعاء نفوسنا، وهو الحياة التي ظهرت في الجزة في سفر القضاة وسفر المزامير (٢٣: ٢). إنها مياهُ الدعوة السمائية.

***

يا ربي يسوع المسيح، يا ليت هذه المياه تصل إلى نفسي وإلى جسدي، حتى خلال رطوبة هذه الأمطار، تخضَّرُ وديان عقولنا وحقول قلوبنا.

يا ليت قطرات هذه المياه تأتي من عندك وتمنحني النعمة والخلود. يا ليتها تغسل خطوات عقلي، فلا أعود للخطية. اِغسل كعب نفسي (إشارةً إلى كعب آدم الذي لدغته الحية) لكي أمحو اللعنة ولا أشعر بعَضَّةِ الحيَّةِ على قدمي نفسي، بل أسير بثقةٍ مثل أولئك الذين يتبعونك وطلبت منهم أن يدوسوا على الحية والعقارب (لوقا ١٠: ١٣) دون أن تصاب أقدامهم بسوء. لقد خلَّصت العالم كله، خلِّص نفسي، فهي ليست سوى نفسُ خاطئٍ واحدٍ.

١٧- هذا هو بهاء محبتك للبشر، فقد خلَّصت العالم كله واحداً فواحداً. إيليا جاء إلى أرملةٍ واحدة (ملوك الأول ١٧: ٩)، أليشع طهَّر أبرصاً واحداً (ملوك الثاني ٥: ١٤). أما أنت يا رب يسوع المسيح، فقد طهَّرت في هذا اليوم ألفَ إنسانٍ. وكم طهَّرتَ في مدينة روما وفي الإسكندرية وفي انطاكية وفي القسطنطينية. وحتى مدينة القسطنطينية قبلت كلمة الله، ونالت البراهين على دينونتك، لقد احتَضَنت في صدرها سموم الأريوسية وفقدت هدوئها بالحروب التي أحاطت بها، وخصوصاً صدى قرع السلاح الذي تردد في جنباتها. وعندما رفضت الأريوسيين الغرباء على الإيمان، أمسكت بعدوها ملك القوط Atranaricus اثناريكوس قاهر الملوك الذي كانت ترتعد أمامه، وها قد دَفَنَته القسطنطينية، وصار مقبوراً فيها. كم الذين طهَّرت في القسطنطينية أخيراً، وكم الذين طهَّرتهم في العالم كله.

١٨- دماسوس[١] لم يطهِّر، وبطرس لم يطهِّر، وامبروسيوس وغريغوريوس لم يطهِّرا، لنا نحن جميعاً الخدمة، أما الأسرار فهي لك. وليس في طاقة إنسان أن يعطي من لدنه ما هو إلهي، بل هو عملك أنت يا رب، والعطية هي عطيتك أنت والآب، لأنك

(١) اسقف روما المعاصر لامبروسيوس.

تكلَّمت بواسطة الأنبياء قائلاً: "سأسكب روحي على كل جسد، ويتنبأ أبنائهم وبناتهم (يوئيل ٢: ٢٨). هذا هو الندى الحقيقي النازل من السماء، وهو المطر الغزير الذي نقرأ عنه: "مطراً غزيراً أنزلته يا الله وقسَّمته لميراثك" (مز ٦٨: ٩). فالروح القدس لا يخضع لقوة مخلوقة ولا لناموس، فهو مصدر حريته، وهو الذي "يقسِّم كل الأشياء لكل أحد حسب إرادته موزِّعاً إياها بمسرته" حسبما نقرأ (١كور ١٢: ١١).

الفصل الأول

الروح القدس فوق المخلوقات

١٩- لا يُحسَب الروح القدس ضمن الأشياء، بل هو فوق كل الأشياء. ولأنك أيها الامبراطور الرحيم قد تعلمت كل ما يخص ابن الله، وصرت قادراً على أن تعلِّم غيرك، فلن أطيل عليك الكلام، خصوصاً وأنت تريد أن تعلم بكل وضوح ودقة، الأشياء الهامة عن الروح القدس. ولأنك أخيراً قد أظهرت اهتمامك بما قدَّمناه من براهين عن نوعية ممتازة، حتى أنك جعلت الكنيسة تصبح بازليكا Basilica دون أن يحثك أحدٌ على ذلك.

٢٠- وهكذا، نلنا نحن نعمة الإيمان ومكافئتنا التي لا يمكن أن تكون سوى نعمة الروح القدس، التي وإن كان البعض لم يشعر بها، جعَلَتك تعيد إلينا الكنيسة كبازليك. هذه النعمة هي عمل الروح القدس الذي كُنَّا نعظ عنه، وكان يعمل فيك.

٢١- أنا لا أندم على الوقت الذي ضاع، لأن إعادة البازليك كانت مثل ريع رأس المال الذي يأتي فجأةً. لقد أعدت البازليك لكي تقدِّم برهاناً على إيمانك، وبهذا حققت غاية حياتك الروحية، وقدَّمت برهاناً على صحة إيمانك.

٢٢- علينا الآن أن نقدِّم برهاناً على صحة ما ذكرناه. النقطة الأولى هي أن كل الكائنات تخدم خالقها حسبما هو مكتوب: "كلُّ الأشياء تخدمك" (مز ١١٩: ٩١)، وبواسطة النبي قال الروح القدس ذلك، وهو لم يقل: "أخدمك" بل "تخدمك"، مؤكداً أنه هو نفسه، أي الروح القدس لا يَخدِم. وحيث أن كل الكائنات تخدِم، والروح القدس لا يخدِم مثلها، إذن الروح القدس، لا يُحسَب ضمن الأشياء المخلوقة.

٢٣- وإذا قلنا إن الروح القدس يُحسَب ضمن المخلوقات، وإذا قرأنا أن الروح

القدس يفحص كل شيء حتى أعماق الله (١ كور ٢: ١٠)، فبكل يقين يؤدي هذا إلى أن ننكر أن الآب هو فوق كل الأشياء. وبما أن الروح القدس هو روح الله، وروح فمه، فكيف نقول إن الروح القدس يُحسَب ضمن الأشياء المخلوقة، وروحه أيضاً، الذي فيه كل الكمال والقوة المطلقة.

٢٤-٢٥- وحتى لا يظن المعارضون أن الرسول قد أخطأ، فليعرفوا مَن هو الذي يتبعه، ومنه نال السلطة للتعليم الصحيح بالإيمان. لقد قال الربُّ في الإنجيل: "ومتى جاء الباراكليت الذي سأرسله إليكم من عند الآب، روح الحق المنبثق من الآب، فهو يشهد لي" (يو ١٥: ٢٦).

فالروح القدس ينبثق من الآب وأيضاً يشهد للابن، والشاهد الأمين والحق الذي يشهد للآب لا يمكن أن يشهد إلا للجلالة الإلهية، وهي شهادة الحق، وهي في نفس الوقت دليلٌ واضحٌ على وحدة الجوهر والقوة الواحدة للثالوث، طالما أن الروح القدس له ذات المعرفة التي للابن الذي بدوره يشهد للآب، والشريك غير المنفصل له في أسراره الفائقة.

٢٦- والرسول بذلك يؤكد أن الخلائق بكل أعدادها ليست لها شركة في معرفة أسرار الله، ولكنه لا يُنكر معرفة الروح القدس بأسرار الله، وبالتالي ينكر أن الروح القدس في عداد الخليقة. والفقرة التي تقول في الإنجيل: "ليس أحدٌ رأى الله في أي وقت، إلا الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو أعلنه" (يو ١: ١٨)، فهذه الكلمات لا تنفي معرفة الروح القدس بالآب، فكيف يمكن أن يقال إن الروح القدس لم ير الله، وهو نفسه يفحص أعماق الله؟ كيف لم ير الله، وهو يعرف الأشياء التي من الله؟ وكيف لم ير الله، وهو من الله؟ وبما أنه قد ثَبُت أنه ولا واحد قد رأى الله في أي وقت، بينما الروح القدس قد رآه، فالروح القدس ليس من الخليقة. إذن، هو فوق كل الأشياء، وليس ضمن الأشياء.

الفصل الثاني

الروح القدس غير مخلوق

٢٧- ما ذكرناه -أيها الإمبراطور التقي- هو تعبيرٌ دقيق عن مشاعرنا الروحية، أمَّا بالنسبة للذين جحدوا الإيمان، فالأمر مختلف. فالهراطقة يعترفون بأن الروح القدس يُحسَب ضمن الخليقة، لأنه مكتوب عن الله الابن: "كل شيء به كان" (يو ١: ٣).

٢٨- هذا برهانٌ فاسدٌ مضطربٌ بلا منطق، ولا يعبِّر عن الحق، بل يتضمن تناقضاً في مكوناته وعباراته. والتناقض والاضطراب ظاهرٌ في مسألتين، ولولا ذلك لكان لهذا البرهان قيمة. فالمسألة الأولى هي أنهم لم يبرهنوا على أن الروح القدس قد خُلق. والمسألة الثانية هي أنهم لم يبرهنوا أن "كل شيء به كان" تخصُّ الروح القدس، والأسفار تقول إن كلَّ الأشياء خُلِقَت بواسطة الابن، وحيث أننا لم نتعلم أن الروح القدس قد خُلِق، فهو بكل تأكيد لا يمكن أن يكون قد حُسِبَ ضمن الأشياء التي خُلِقَت.

ويمكن أن نبرهن على ذلك بالنقاط التالية:

أولاً: إنه فوق كل الأشياء؛ لأنه لم يُخلق.

ثانياً: ولأنه فوق كل الأشياء، فهو إذن لم يُخلق، ولا يُحسَب ضمن المخلوقات.

٢٩- وإذا كان أيٌّ من الهراطقة بسبب عبارة الإنجيلي يوحنا أن "كل شيء به كان"، أي ما خلقه الكلمة، يريدون أن يحسبوا الروح القدس ضمن المخلوقات، رغم أن الروح القدس روح الله هو الذي تكلم في يوحنا وقال هذه العبارة: "كل شيء به كان"، ولم يقل إنه هو المقصود بهذه العبارة، وقد أكَّد الربُّ نفسه بكل وضوح أن روح الله هو الذي يتكلم في الإنجيليين قائلاً: "وليس أنتم المتكلمين، ولكن روح أبيكم الذي يتكلم فيكم" (متى ١٠: ٢٠).

وإذا كان أحدٌ ما لا يقبل مكانة الروح القدس الإلهية، بل يحسبه ضمن المخلوقات، فهو لم يقبل ابن الله الذي قيل عنه في الفقرة التي يقول فيها الرسول: "لنا إلهٌ واحدٌ الآب الذي منه كل الأشياء ونحن له" (١كور ٨: ٦).

ولكن لكي يعلم أن الابن ليس ضمن المخلوقات، عليه أن يقرأ الكلمات التي تتبع الكلمات السابقة: "وربٌّ واحد يسوع المسيح الذي به كل الأشياء" (١كور ٨: ٦). وبذلك لا يحسب ابن الله ضمن الأشياء، ولا الآب أيضاً.

٣٠- ويعادل هذا الجحود إنكار كرامة الروح القدس المساوية لكرامة الآب والابن. ومَن لا يؤمن بالآب، لا يؤمن بالابن، وكذلك مَن لا يؤمن بابن الله، لا يؤمن بالروح القدس. ولا يقوم الإيمان إلا بقاعدة الحق التي يعلنها قانون الإيمان. وكل مَن يبدأ بإنكار القوة الواحدة للآب والابن والروح القدس، لا يمكنه بعد أن قسَّم الله، أن يكون له إيمانٌ صحيح. إذن، الحياة الروحية الصحيحة هي الإيمان الصحيح، والكفر الكامل هو الإيمان الخطأ.

٣١- وهكذا الذين يظنون أن الروح القدس يجب أن يُحسَب ضمن كل الأشياء، لأنهم يقرأون أن كل الأشياء خلقت بواسطة الابن، فبالضرورة يجب أن يحسبوا الابن ضمن الأشياء لأنهم قرأوا أن كل الأشياء من الله (٢كور ٥: ١٨). وتبعاً لذلك، فهم لا يفرّقون بين الآب وكل الأشياء، إذ حَسِبوا الابن ضمن المخلوقات. ولكن لأن كل الأشياء من الآب، فكل الأشياء بالابن. وقد استعمل الرسول -الذي سبق فرأى مسبقاً بالروح القدس- نفس التعبير؛ حتى لا يخطئ أحدٌ إذا سَمِع الابن يقول: "أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل" (يو ١٠: ١٩)، ويَحسِب أن الابن ضمن المخلوقات.

الفصل الثالث

الروح القدس واحدٌ مع الآب والابن

٣٢- وربما ادعى أحدٌ أنه يوجد سبب لماذا كتب الرسول بأن كل الأشياء من الآب، وكل الأشياء بالابن (١ كور ٨: ٦)، ولم يذكر الروح القدس، ووجد في الصمت عن ذكر الروح القدس أساساً لبرهانٍ ضد الروح القدس. ولكن إذا استمر في مغالطته وتفسيره الملتوي، فكم من فقرةٍ سيجدها في الأسفار الإلهية قد أشارت إلى قوة الروح القدس، دون أن تذكر الآب أو الابن، واكتفت بالكلام عن الروح القدس؛ لأن الكلامَ واضحٌ ومفهوم.

اسمٌ واحدٌ وقوةٌ واحدة:

٤٠- فهل إذا أُعلِنت نعمة الروح القدس، فهل يعني هذا إنكار الله الآب أو الابن الوحيد؟ بكل تأكيد لا، فكما أن الآب في الابن، والابن في الآب أيضاً، قيل: "إن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس الذي أُعطيَ لنا" (رو ٥: ٥). وكما أن مَن يبارَك في المسيح، يبارَك باسم الآب والابن والروح القدس؛ لأن الاسم واحد، والقوة واحدة، هكذا أيضاً أي عمل إلهي، سواء أكان من الآب أو الابن أو الروح القدس، فهو لا يخص الروح القدس وحده، بل يخص الآب والابن أيضاً. وهكذا، إذا أُشير إلى نعمة الابن، فهي خاصةٌ بالآب والروح القدس أيضاً.

الروح القدس والمعمودية باسم المسيح:

٤١- وهكذا أيضاً عندما عمَّد فيلبس باسم المسيح، الخصي وزير ملكة كنداكة، نال كمال السر، أما الذين قالوا إنهم رغم معموديتهم، لم يعرفوا الروح القدس،

فهؤلاء نالوا معمودية يوحنا لمغفرة الخطايا، ولذلك عُمِّدوا بعد ذلك باسم يسوع. وهؤلاء لم يعرفوا الروح القدس؛ لأن صيغة التعميد عند يوحنا المعمدان لم تكن باسم المسيح، لأن يوحنا لم يعمِّد بالروح، رغم أنه بشَّر بالمسيح وبالروح القدس. وعندما سُئل إذا كان هو المسيح، أجاب: "أنا أُعمِّدكم بماء، ولكن الأقوى مني سيأتي، الذي لست مستحقاً أن أحمل حذائه هو سوف يعمِّدكم بالروح القدس ونار" (متى ٣: ٢ – لوقا ٤: ١٦ – يو ١: ٢٦ و٢٧).

والذين عمَّدهم يوحنا لم يعتمدوا باسم المسيح، ولا كان عندهم إيمان بالروح القدس، ولذلك لم ينالوا سر المعمودية.

٤٢- ولذلك اعتمد هؤلاء باسم يسوع المسيح، ولم يكن ذلك إعادة للمعمودية، بل نوال المعمودية؛ لأن المعمودية واحدة ولا تُعاد. وحيث لا يُذكَر الثالوث، لا يمكن أن تُعتَبر المعمودية صحيحة، بل لا توجد معمودية أصلاً. فالمعمودية كاملة إذا اعترف الإنسان بالآب والابن والروح القدس. ومَن ينكر أقنوماً واحداً ينكر الثالوث كله. وكما أنك إذا ذكرت كلمة واحدة، سواء كلمة الآب، أو الابن، أو الروح القدس، وحَسَبَ إيمانك لا تنكر الآب أو الابن أو الروح القدس، فإن سرَّ الإيمان كاملٌ عندك، حتى إن ذكرتَ أقنوماً واحداً مثل الآب. أما إذا اعتبرت أن قوة أقنومٍ أقل من قوة أقنومين، فإن السرَّ عندك فارغٌ. وأخيراً، فإن الذين قالوا: "ولا سمعنا أنه يوجد روح قدس، اعتمدوا بعد ذلك باسم الرب يسوع المسيح" (أع ١٩: ٥)، وكان هذا فيضُ نعمةٍ؛ لأنهم بكرازة بولس، عرفوا الروح القدس.

٤٣- ولا يتعارض ما ذكرناه سابقاً مع ما جاء عن التعميد "باسم الرب يسوع المسيح"؛ لأنه على الرغم من أن الروح القدس لم يُذكَر، إلا أن السرَّ كاملٌ بسبب وحدة الاسم، فالروح القدس لا ينفصل عن المعمودية التي تُعطى باسم المسيح؛ لأن يوحنا عمَّد بالماء، أما المسيح، فهو يعمِّد بالروح القدس.

٤٤- وما يجب أن ننتبه إليه الآن هو هل عمل المعمودية التي تُعطى باسم

المسيح هي سرٌّ كاملٌ؟ وأيضاً إذا ذُكِرَ اسم الروح القدس وحده، فهل ينقص السرُّ شيئاً؟ والبرهان الذي يقوم عليه تعليمنا هو أن مَن يذكر اسمَ واحدٍ من الأقانيم، فقد ذَكَرَ الثالوث. فإذا ذكرتَ اسم المسيح، فأنت ضِمناً تشير إلى الله الآب الذي مَسَح الابن، والابن الذي مُسِحَ، والروح القدس الذي به تمت المِسحة. وهَذا ما هو مكتوب: "يسوع الناصري هذا، الذي مَسَحَه الله بالروح القدس" (أع ١٠: ٣٨). فإذا دعوت باسم الآب، فأنت تذكر الابن ضمناً، وتذكر روح فمه (الروح القدس)، وهذا يتم إذا كان قلبك يعني ذلك. وإذا تكلَّمتَ عن الروح، فأنت تذكر الله الآب الذي منه ينبثق الروح، وتذكر أيضاً الابن؛ لأنه روحُ الابن.

المعمودية باسم المسيح هي بالروح القدس:

٤٥- وسُلطة التعليم تقوم على الكتاب المقدس، وعلى وضوحٍ في الادراك. فالكتاب المقدس يعلن أننا حقاً نعتمد بالروح القدس في قول الرب: "أما أنتم فستتعمدون بالروح القدس" (أع ١: ٥). وفي موضع آخر يقول الرسول: "لأننا جميعاً اعتمدنا إلى جسدٍ واحدٍ بالروح القدس" (١كور ١٢: ١٣). العملُ واحدٌ؛ لأن السرَّ واحدٌ، والمعمودية واحدة؛ لأن الموتَ عن العالم واحدٌ، فالوحدة في عمل الأقانيم، والوحدة في الانضمام إلى الكنيسة لا يمكن فصلها ونسبتها إلى أقنوم دون آخر.

٤٦- ولكننا لا نقدر أن نفصل الروح القدس عن العمل الذي يعمله الآب والابن في الفقرة التي تقول: "كل الأشياء من الله وكل الأشياء بالابن" (١كور ٨: ٦)؛ لأن الرسول يقول في موضع آخر عن المسيح: "الكائنُ على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد" (رو ٩: ٥)، فهل كان الرسول يضع الابن فوق الآب، أم فوق الخليقة؟ حاشا لله أن نقول هذا الكفر؛ لأن الآب لا يُحسب ضمن الأشياء.

الخليقة كلها خاضعة لله، وفوقها أُلوهية الآب والابن والروح القدس. الخليقة تخدم والله يملك، الخليقة تخضع والله يسود، الخليقة هي عمل الله، أما الله فهو الخالق،

الخليقة بدون تمييز تعبد، والله هو الذي تُقدَّم له العبادة من الكل بدون تمييز.

الروح القدس ليس من الملائكة:

٤٧- أخيراً، قيل عن الابن: "ولتسجد له كل ملائكة الله" (عب ١: ٦) ولم يذكر الرسول وليسجد له الروح القدس، وبعد ذلك يقول الرسول: "ولمن مِن الملائكة قال قط، اجلس عن يميني حتى أضع اعدائك موطئاً لقدميك، أليس جميعهم خداماً مرسلين للخدمة للعتيدين أن يرثوا الخلاص" (عب ١: ١٤). وبقوله: "كل"، فهل كان يشير أيضاً إلى الروح القدس؟ بكل تأكيد لا؛ لأن الملائكة وكل القوات السمائية هي مخصصة للخدمة ولطاعة ابن الله.

الروح القدس شاهدٌ للابن:

٤٨- وبكل يقين، الروح القدس ليس خادماً، بل شاهداً للابن، وهو ما يقوله الابن نفسه: "هو يشهد لي" (يو ١٥: ٢٦)، فالروح شاهدٌ للابن. والشاهد يجب أن يعرف كل شيء؛ لأن الله الآب هو أيضاً شاهدٌ، وهذا ما تؤكده الفقرة التالية من العبرانيين: "لأن خلاصنا ثبت لنا بشهادة الله بواسطة العلامات والمعجزات وبالقوات المتنوعة التي يوزِّعها الروح القدس" (عب ٢: ٣، ٤)، ومَن يوزِّع حسب إرادته، هو بكل يقين فوق الكل، ولا يُحسب ضمن الذين يأخذون؛ لأن التوزيع هو في حد ذاته عطية من الموزِّع، وهو لا يجعل الموزِّع واحداً من الخليقة التي تنال منه العطية.

الروح القدس هو الموزِّع لعطاياه:

٤٩- فإذا كان الابن كائناً على الكل وهو الذي فيه تم خلاصنا وبه بُشِّر، فالله الآب أيضاً الذي يشهد ويثبِّت خلاصنا بالآيات والمعجزات، لا يمكن أن يكون ضمن الذين يسود عليهم الابن. وما قلناه عن الآب، نقوله أيضاً عن الروح القدس، فهو الذي

يشهد لخلاصنا بواسطة العطايا المتنوعة، ولا يمكن أن يُحسَب ضمن حشد المخلوقات، بل هو واحدٌ مع الآب والابن. وعندما يوزّع الروح القدس عطاياه، فهو نفسه لا ينقسم ولا يقطع نفسه؛ لأنه غير منقسم ولا ينقص شيئاً عندما يعطي الكل. وكذلك الابن أيضاً. وعندما يملك الآب (١كور ١٥: ٢٤)، فالابن لا ينقص شيئاً، ولا الآب أيضاً الذي عندما يعطي للابن لا ينقص شيئاً.

وهكذا بشهادة الابن نعرف أنه لا يوجد نقصٌ في توزيع العطايا الروحية. لأن الذي "يَهُبُّ أينما شاء" (يو ٣: ٨)، فهو في كل مكانٍ حُرٌّ لا يعاني النقص، وسوف نتكلم بإفاضة عن هذه القوة في الفقرات التالية.

الخلائق السماوية تأخذ قوتها بالروح القدس:

٥٠- أما في الوقت الحالي، وحيث أن قصدنا هو أن نبرهن أن الروح القدس لا يُحسَب ضمن ترتيب ونظام الأشياء المخلوقة، بل هو كائنٌ على الكل، فلنأخذ كلمات الرسول التي يستشهد بها المبتدعون كبرهان على بدعتهم. ما هي "كل الأشياء"، "المنظورة وغير المنظورة"؟ هذا قد أجاب عنه الرسول بقوله: "فيه قد خُلِقَ الكل ما في السموات وما على الأرض" (كو ١: ١٦). وها نرى أن كل الأشياء وُصِفَت بأنها في السماء وعلى الأرض، ففي السماء توجد كائنات مخلوقة وغير مرئية.

٥١- ولكي لا يبقى أحدٌ جاهلاً بهذه الأشياء، أضاف الرسول موضِّحاً ما هي هذه الأشياء غير المرئية: "سواء أكانت عروش أم سيادات أم رؤساء أم قوات، كل الأشياء خُلِقَت فيه وبه، وهو قبل الكل، وفيه كل الأشياء تستمد وجودها" (كو ١: ١٦، ١٧)، فهل يَحسِب الرسولُ هنا الروح القدس ضمن هؤلاء المخلوقات؟ وإذا قال إن ابن الله هو قبل كل الأشياء، فهل يعني بذلك أنه قبل الآب؟ بكل تأكيد لا، ولكن كما يقول هنا إن كل الأشياء في السموات كائنةٌ به، كذلك أيضاً لا يمكن الشك أن كل الأشياء في السموات تنال قوتها بالروح القدس، لأننا نقرأ: "بكلمة الرب تأسست

السموات وكل قواتها بروح فمه" (مز ٣٣: ٦). إذن، الروح القدس فوق الكل، ولا يخدم ضمن القوات السماوية؛ لأن مَن يخدم ليس سيداً حراً، أمَّا السيد الحُرُّ، فله الربوبية.

٥٢- لقد ذكرت هذه البراهين البسيطة أولاً حتى إذا أنكروا هذه الحقائق الأولية البسيطة لا يبقى داع لأن نقدِّم الحقائق العظمى، أما إذا قبلوا ما هو بسيط فإننا نستطيع أن نقدِّم الحقائق العظمى. وهكذا تتحقق الفائدة من ذِكر الحقائق البسيطة حتى يمكننا أن نبني عليها الحقائق العظمى.

التجديف على الروح القدس:

٥٣- إنني أعتقد أيها الإمبراطور الرحيم، أن الذين يقولون إن الروح القدس مخلوقٌ ويُحسَب ضمن الأشياء قد هُزِموا تماماً، وإذا كانت البراهين التي قدَّمناها من الرسل لا تكفي للضغط عليهم، فالبراهين التي نقدِّمها من الرب نفسه تضغط أكثر. كيف يتجاسرون ويحسبون الروح القدس ضمن المخلوقات، والرب نفسه يقول: "مَن يجدِّف على ابن الإنسان له مغفرة، أمَّا مَن يجدِّف على الروح القدس ليس له مغفرة، في هذا الدهر الآتي" (متى ١٢: ٣٢). فكيف يمكن لإنسانٍ أن يتجاسر ويحسب الروح القدس ضمن المخلوقات؟ وكيف يمكن لأحدٍ أن يفقد البصيرة ويعمي نفسه لدرجة أن يظن أنه إذا أساء إلى مخلوق لا ينال المغفرة بالمرة؟ وإذا كان اليهود عندما عبدوا الكائنات السماوية، فقدوا الحماية الإلهية، بينما مَن يعترف ويعبد الروح القدس يقبله الله، أمَّا مَن لا يعترف به يدان كجاحد ولا ينال مغفرةً. فبكل يقين يظهر من هذا أن الروح القدس لا يمكن أن يُحسَب ضمن المخلوقات، بل كائنٌ على الكل، وكل خطية ضده تعاقَب عقوبةً أبدية.

٥٤- ويمكن أن تلاحظ بكل دقة لماذا قال الرب: "مَن يجدِّف على ابن الإنسان يُغفر له، أمَّا مَن يجدِّف على الروح القدس فلا مغفرة له في هذا الدهر وفي الآتي" (متى ١٢: ٣٢)، هل الخطية الموجَّهة للابن مختلفة عن تلك الموجَّهة للروح

القدس؟ وكما أن الكرامة واحدة للأقانيم، هكذا أي خطية موجهة لأيهما. ولكن الرب قال هذه الكلمات لكي إذا ضلَّ أحدٌ بسبب الجسد البشري المنظور، وفكَّر باحتقارٍ عن الرب بسبب جسده –رغم أنه ليس شيئاً قليلاً أو حقيراً؛ لأنه ينبوع العفة وثمرة بتولية العذراء– فهو يخطئ، ولكنه لا يُحرَم من المغفرة التي ينالها بالإيمان. أما إذا أنكر كرامة وعزة وجلالة وأزلية الروح القدس وقوته الإلهية، واعتقد بأن الشياطين تُطرَد ليس بواسطة الروح القدس، بل بواسطة بعلزبول، فلا مغفرة بالمرة؛ لأن هذا هو الكُفر بعينه، **ومَن ينكر الروح ينكر الآب والابن أيضاً، لأن الروح هو روح الله الآب وهو نفسه روح المسيح.**

الفصل الرابع

الروح القدس روح الآب وروح المسيح

٥٥- لا يمكن أن يشك أحدٌ في أن الروح القدس واحدٌ، رغم أن البعض في بعض العصور (الوثنية) أنكر أن الله واحدٌ. وقد ادعى بعض الهراطقة أن إله العهد القديم واحدٌ، وإله العهد الجديد آخر. ولكن التعليم الصحيح هو أنه كما أن الآب الذي تكلم في العهد القديم هو واحدٌ، كما هو مكتوب إنه تكلم مع الآباء بالأنبياء، ومعنا نحن أيضاً في آخر الأيام في ابنه (عب ١: ١ و٢)، هكذا الابن أيضاً هو واحدٌ، وحسب محتوى العهد القديم قد أخطأ إليه آدم (تك ٣: ١٧)، ورآه إبراهيم (تك ١٨: ٢٢ و٢٣)، وسجد له يعقوب (تك ٢٨: ١٧). كذلك أيضاً الروح القدس الذي قوَّى الأنبياء (٢بط ١: ٢١)، ونُفِخَ على وجوه الرسل (يو ٢٠: ٢٢)، وهو واحدٌ مع الآب والابن ويدعى معهما في سر المعمودية (متى ١٩: ٢٨)، ويقول عنه داود: "لا تنزع روحك القدوس مني" (مز ٥١: ١١)، وفي موضعٍ آخر قال عنه: "إلى أين أهرب من روحك" (مز ١٣٨: ٧).

الروح القدس هو روح الله:

٥٦- ولكي تعلم أن روح الله هو بذاته الروح القدس، فهذا ظاهرٌ مما نقرأه عند الرسول بولس: "وليس أحدٌ وهو يتكلم بروح الله يقول يسوع أناثيما ولا يستطيع أحد أن يقول يسوع هو الرب إلا بالروح القدس" (١كو ١٢: ٣). فالرسول يسمِّي الروح القدس روح الله. ودعاه أيضاً روح المسيح حسبما نقرأ: "وأنتم لستم في الجسد بل في الروح إذا كان روح الله ساكناً فيكم. ولكن إن كان أحدٌ ليس له روح المسيح فذلك ليس له" (رو ٨: ٩)، وبعد ذلك أضاف: "ولكن إذا كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم .." (رو ٨: ١١). إذن، هو نفسه روح الله، وهو روح المسيح.

روح الحياة:

٥٧- وهو نفسه روح الحياة، كما يقول الرسول: "لأن شريعة روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقتني من ناموس الخطية والموت" (رو ٨: ٢).

٥٨- فالذي سمَّاه الرسول روح الحياة، سمَّاه الرب في الإنجيل: الباراكليت روح الحق حسبما نجد: "وأنا أطلب من الآب وهو سيعطيكم باركليت آخر (معزّي) ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه" (يو ١٤: ١٦ و١٧).

روح الحق:

وها أنت ترى أن الباركليت الروح يُدعى روح الحق وهو غير منظور. فكيف يمكن لأي إنسان أن يظن أن الابن كإلهٍ منظور، بينما لا يمكن للعالم أن يرى الروح؟

٥٩- اِقبل الآن قول الرب إن الروح القدس هو روح الحق؛ لأننا نقرأ في نهاية الإنجيل: "اقبلوا الروح القدس" (يو ٢٠: ٢٢).

روح الرب:

وبطرس يعلم أن الروح القدس هو روح الرب عندما قال: "يا حنانيا لماذا ظننت أنه صوابٌ أن تمتحن وأن تكذب على الروح القدس" (أع ٥: ٣). وبعدها مباشرةً يقول لزوجة حنانيا: "لماذا ظننتِ أنه صوابٌ أن تمتحني روح الرب" (أع ٥: ٩).

وعندما وجَّه الحديث إليها، فقد أعلن أنه كان يتكلم عن نفس الروح الذي كان يتكلم عنه لحنانيا. إذن، هو نفسه روح الرب، أي الروح القدس.

روح الآب:

٦٠- وأوضح لنا الرب أن الروح القدس هو نفسه روح الآب حسبما قال في متى أن لا نهتم بما يجب أن نقوله في زمان الاضطهاد؛ "لأنه لستم أنتم المتكلمين، بل روح أبيكم هو الذي يتكلم بكم" (متى ١٠: ٢٠). وأيضاً يقول في لوقا: "فلا تهتموا بما تجاوبون أو تتكلمون لأن روح الله سوف يعلِّمكم في تلك الساعة ما يجب أن تقولوه" (لوقا ١٢: ١١ و١٢). وبالرغم من أن كائنات كثيرة دُعيت أرواحٌ مثلما قيل: "الصانع ملائكته أرواحاً" (عب ١: ٢٧)، إلا أن روح الله هو الروح الواحد.

الفصل الخامس

الروح القدس روحُ التقديس والصلاح

٦٢- الروح القدس ليس من الكائنات التي لها جوهر محسوس؛ لأنه يرسل النعمة غير المحسوسة للكائنات المحسوسة، وهو ليس من الكائنات غير المرئية التي لها جوهر غير مرئي، فكل هذه الكائنات تنال منه التقديس، وبواسطته تسمو خدمتها على خدمة غيرها من المخلوقات الأخرى في العالم.

الملائكة والبشر ينالون التقديس من الروح:

وهذا ينطبق على الملائكة والرئاسات والقوات السماوية، فكل المخلوقات تنتظر نعمة الروح القدس. وحتى نحن أيضاً نصير أبناء الله بالروح لأن الله "أرسل روح ابنه إلى قلوبنا صارخاً أبَّا أيها الآب، إذا لست بعد عبداً بل ابناً" (غلا ٤: ٤-٥). ولذلك كل خليقة الله تنتظر استعلان أولاد الله الذين صاروا بنعمة الروح القدس أبناء الله. وهذا يعني أن كل الخليقة سوف تتغير باستعلان نعمة الروح القدس: "وسوف تُعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله" (رو ٨: ١٩ و٢١).

٦٣- كلُّ مخلوقٍ خاضعٌ للتغيُّر، ليس بالضرورة التغيُّر الذي تحدثه الخطية أو التغيير الخارجي في الشكل، بل قابلية كل الطبائع المخلوقة للفساد بسبب ضعفها، ولكنها تستطيع أن تبتعد عن الفساد، إذا تمسَّكت بالفضيلة. وكما شرحنا في الكتاب السابق (شرح الإيمان المسيحي ٣: ٣) أنه كما أن طبيعة الملائكة أنهم قابلون للتغيير، فهذا يعني أن كل الطبائع الأخرى بدورها قابلة للتغيير إلا إذا تمسَّكت بالفضيلة.

الروح القدس يغيِّر ولا يتغيَّر:

٦٤- وإذا كان كل مخلوق قابل للتغيير، إلا أن الروح القدس صالحٌ وغير قابل للتغيير، ولا يمكن أن تخضع طبيعته للتغيُّر الصادر عن الضعف أو الخطية؛ لأنه هو الذي يغفر الضعفات كلها، ويمحو كل الخطايا. وكيف يكون خاضعاً للتغيُّر وهو الذي بالتقديس يعمل في المخلوقات ويغيِّرها بالنعمة دون أن يتغيَّر هو نفسه؟

الروح القدس صالحٌ:

٦٥- كيف يكون قابلاً للتغيير وهو الصالح دائماً؟ فالروح القدس الذي بواسطته ننال الخيرات التي تُعطى لنا ليس شريراً بالمرة، هذا نراه من فقرتين سجَّلهما الإنجيليان متى ولوقا بطريقتين مختلفتين؛ لأننا نقرأ في متى: "فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا صالحة، فكم بالحري أبوكم الذي في السموات يعطي خيرات للذين يسألونه" (متى ٧: ١١). أما حسب لوقا، فنفس العبارة تجدها مكتوبة: "فكم بالحري أبوكم الذي في السموات يَهَب الروح القدس للذين يسألونه" (لوقا ١١: ١٣)؟ وهكذا يظهر لنا أن الروح القدس خَيِّر وصالح حسب قرار الرب فيما سجَّله الإنجيليان من شهادة؛ لأن متى وضع كلمة "خيرات"، فإذا كان الروح القدس هو ذلك الخَير، فكيف لا يوصف بأنه خيرٌ وصلاح؟!

٦٦- ولا يخفي علينا أن بعض النسخ تعطى لنا قراءة مختلفة لنص إنجيل لوقا: "فكم بالحري أبوكم الذي في السموات يعطي عطايا صالحة للذين يسألونه"، وهذه العطايا الصالحة هي نعمة الروح القدس التي أفاضها الرب يسوع من السموات بعدما عُلِّق على خشبة الصليب وقام منتصراً وسبى الموت وقضى على قوته، حسبما نقرأ: "صعد إلى العلاء وسبى سبياً وأعطى عطايا صالحة للبشر" (مز ٦٨: ١٨). وحسناً قيل عطايا؛ لأنه كابنٍ أُعطيَ لنا وعنه كُتِب: "يولد لنا ولد ونُعطى ابناً" (أشعياء ٩: ٦)، وهكذا أيضاً عطية الروح القدس.

الروح القدس أُعطيَ لنا:

ولكن هل أتردد في أن أقول إن الروح القدس قد أُعطيَ لنا طالما أنه مكتوب: "لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس الذي أُعطى لنا" (رو ٥: ٥)؟ وعندما كانت القلوب الأسيرة غير قادرة على أن تقبله، جاء الرب يسوع وسبى سبياً لكي تتحرر عواطفنا، فيسكب هبة العطية الإلهية.

٦٧- وحسناً قال: "وسبى سبياً"؛ لأن انتصار المسيح هو انتصار الحرية الذي كسب النعمة للكل، دون أن يصيب أحداً بالضرر. وهكذا بتحرير الأسرى لم يتم استعباد أحدٍ آخر في المقابل. وقد تم هذا في آلام المسيح، حيث لم يلحق الضرر أحدٌ ما، ولم يلعب الشر أي دور، بل أن الذين ساد عليهم الشر وأسرهم قد أُعيدوا بأسرهم من جديد ليس لبليعال، بل للمسيح الذي خدمته حرية: "لأن مَن دُعيَ للرب وهو عبدٌ صار عتيق الرب" (١كو ٧: ٢٢).

٦٨- وإذا عُدنا إلى النقطة الأساسية، فإننا نجد أنه مكتوب: "الجميع زاغوا وفسدوا ليس من يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد" (مز ١٤: ٣)، الكل لا يعمل صلاحاً إلا بالروح القدس الذي يعمل الصلاح دائماً، فإذا لم يقبل الهراطقة ذلك وحسبوه من ضمن الكل (المخلوقات)، فإنهم بهذا يضعونه مع الذين زاغوا وفسدوا.

صلاح الروح نابعٌ من ذاته:

٦٩- وعلينا الآن أن نبرهن هل للروح القدس صلاحٌ نابعٌ من ذاته؛ لأنه حقيقةً، هو ينبوع ومصدر كل الصلاح، وكما أن الآبَ صالحٌ في ذاته، كذلك الابن أيضاً، وكذلك الروح القدس صالحٌ أيضاً في ذاته. وهذا ما علَّم به الرسول عندما قال: "وأما ثمر الروح فهو سلام، محبة، فرح، صبر، صلاح .." (غلا ٥: ٢٢). فكيف يمكن لأحدٍ أن يشكَّ في أنه صالحٌ ما دامت ثماره صالحة؟ لأنه قيل: "الشجرة الصالحة تثمر صلاحاً" (متى ٧: ١٧).

٧٠- وهكذا، إذا كان الله صالحاً، فكيف لا يكون مَن هو روح فمه ليس صالحاً وهو الذي يفحص أعماق الله؟ هل يمكن أن تدخل عدوى الشر في أعماق الله؟

ومِن هذا بالذات، يظهر لنا غباوة الذين ينكرون أن ابن الله صالحٌ عندما ينكرون أن روح المسيح صالحٌ، وهو الذي قال عنه ابن الله: "هو يأخذ مني" (يو ١٦: ١٥).

٧١- فإذا كان الروح القدس ليس صالحاً، فكيف يجعل الشرير البشر صالحين، وكيف يمحو الخطية ويبيد الشر، ويزيل الذنوب ويفيض بالعطايا الصالحة ويحوِّل المضطَهِدين إلى رسل والخطاة إلى كهنة؟ لقد قيل عن هذا كله: "وأنتم الذين كنتم قبلاً ظلمة صرتم نوراً في الرب" (أف ٥: ٨).

٧٢- لماذا نجاملهم، إذا سألوا عن برهانٍ عما نقوله؟ وطالما أنهم لا ينكرون الحقائق، فليسمعوا لماذا الروح القدس صالحٌ؛ لأن داود يسجِّل هذا بوضوح: "ليهدني روحك الصالح في طريق مستقيم" (مز ١٤٣: ١٠). أليس الروح مملوءاً من الصلاح؟ الذي بسبب طبيعته لا يمكن إدراكه، ولكن بسبب صلاحه يمكننا قبوله، وهو يملأ كل الأشياء بقوته، ولكن لا يشترك فيه إلا الأبرار. هو بسيطٌ في جوهره، غنيٌّ بفضائله، حاضرٌ في الكل، يوزِّع مما عنده لكل واحد، وهو تامٌ في كل مكان.

٧٣- ولسببٍ قويٍّ قال ابن الله: "اذهبوا وعمِّدوا جميع الأمم باسم الاب والابن والروح القدس" (متى ١٩: ٢٨)، دون أن يحتقر ذِكر الروح القدس مع الآب والابن. فكيف يعارض البعض ويعتبرونه خطأً والرب نفسه لم يحتقر ذِكره في سر المعمودية، بل ذكره كواحدٍ مع الآب والابن وكمَن يُعبَد معهما؟

الروح يُقدِّس ولا يتقدَّس:

٧٤- إذن، الروح القدس صالحٌ، لا كمَن يسعى لينال الصلاح، ولكن كمَن

يَهَب الصلاح. فالروح القدس لا يأخذ من الخليقة، بل تأخذه الخليقة. وكذلك هو لا يتقدَّس وإنما يُقدِّس، لأن كل مخلوق يتقدَّس، أما الروح فهو الذي يقدِّس. ورغم أن كلمة روح يمكن أن تُطلَق على عدة كائنات، إلا أن طبيعة الروح القدس مختلفة تماماً عن كل الكائنات التي تُدعى أرواحاً. وكما أن الإنسان الذي يأخذ العطية، والله الذي يعطي ويقدِّس، كلاهما يدعى مقدَّساً، كما هو مكتوب: "كونوا مقدَّسين لأنني أنا مقدَّس" (لاويين ١٩: ٢)، إلا أن نبع التقديس لا يمكن أن تكون له ذات الطبيعة المخلوقة الفاسدة، ولذلك، فعطية الروح القدس والمخلوقات لا يمكن أن تكون من ذات الجوهر.

٧٥- وكما أن الخليقة غير المنظورة التي نعتقد صواباً أنها عاقلة وبلا أجسام ما عدا الثالوث، لا تعطى أي عطية، بل تنال عطية الروح القدس، ولا تشترك في تقديمها، بل تشترك فيها، وبالتالي فكل ما هو عام ومشترك في كل الطبائع المخلوقة، يجب فصله وتمييزه عن الروح القدس. وعلى الهراطقة أن يؤمنوا بأن الروح القدس ليس مخلوقاً، وإذا ظنُّوا أنه مخلوق، فكيف يجعلونه واحداً مع الآب؟ وإذا ظنُّوا أنه مخلوق، فكيف يجعلونه واحداً مع ابن الله؟ ولكن إذا اعتقدوا بأنه لا يجب فصله عن الآب والابن، فلماذا يعتبرونه مخلوقاً؟ وما دام التقديس واحدٌ، فالطبيعة التي تقدِّس هي واحدة أيضاً.

الفصل السادس

المعمودية بالماء والروح

الفرق بين الماء والروح:

٧٦- وبعد ما ذكرناه يجب علينا أن نناقش فكرة البعض الذين عندما اعتمدوا بالماء والروح يظنون أنه لا يوجد فرق بين فاعلية الماء وفاعلية الروح، وأنهما لا يختلفان في الطبيعة. وهؤلاء لا يلاحظون أننا نُدفن في الماء لكي نقوم مرةً ثانيةً متجددون بالروح القدس. فالماء يمثل الموت، وفي الروح عربون الحياة لكي يموت جسد الخطية بالماء الذي يحيط بالجسد كما لو كان قبراً، لكي نتجدد بقوة الروح من موت الخطية ونولد ثانيةً في الله.

الشهود الثلاثة: الماء والدم والروح:

٧٧- هل نحيا بالماء أم بالروح؟ ولكن هؤلاء الشهود واحد كما قال يوحنا الماء والدم والروح (١ يو ٥: ٨). ومع أن السر واحد، إلا أن العناصر الثلاثة ليست من طبيعة واحدة. فالماء شهادة الدفن، والدم شهادة الموت، والروح شهادة الحياة. فإذا كان في الماء نعمة، فهذه النعمة ليست من طبيعة الماء، ولكنها من حضور الروح القدس.

نحيا بالروح:

٧٨- هل نحيا بالماء أم بالروح؟ هل نُختَم بالماء أم بالروح؟ إننا بالروح نعيش، فهو عربون ميراثنا كما قال الرسول في رسالته إلى أفسس: "الذي إذ آمنتم به خُتمتم بروح الموعد القدوس الذي هو عربون ميراثنا" (أف ١: ١٣ و١٤). وهكذا خُتِمنا بالروح

القدس، وهو ليس عمل الطبيعة، بل عمل الله كما هو مكتوب: "والذي مسحنا هو الله وختمنا وأعطانا عربون الروح في قلوبنا" (٢كو ١: ٢٢).

ختم الروح في قلوبنا:

٧٩- إذن نحن خُتِمنا بالروح القدس بواسطة الله. وكما نموت في المسيح لكي نُولد من جديد، هكذا نُختَم بالروح القدس لكي ننال بهائه والصورة والنعمة التي هي بدون شك خَتمَنا الروحي. وعلى الرغم من أننا نُختَم بشكلٍ منظورٍ على أجسادنا، إلا أننا نُختَم روحياً في قلوبنا بكل تأكيد لكي يرسم الروح القدس فينا مثال الصورة السماوية.

بالروح نصير شركاء الطبيعة الإلهية:

٨٠- ومَن الذي يتجاسر ويقول إن الروح القدس منفصلٌ عن الآب والابن، وهو الذي به نصل إلى نوال صورة ومثال الله، والذي به -كما يقول الرسول بطرس- نصير شركاء الطبيعة الإلهية (٢بط ١: ٤). وفيه بكل يقين، ليس ميراث وخلافة جسدانية، ولكن صلتنا الروحية بنعمة التبني. ولكي نعلم أن هذا الختم هو على قلوبنا وليس على أجسادنا يقول النبي: "اختمنا بنور وجهك يا رب واجعل فرحاً في قلبي" (مز ٤٥: ٦ و٧).

الفصل السابع

الروح القدس مالئ الكل

الروحُ حاضرٌ في كل مكان وزمان:

٨١- وحيث أن كل مخلوق محدود بطبيعته، ولا يمكن أن يتجاوز هذه الحدود، وحتى القوات السماوية غير المنظورة أيضاً. أما عن أعمال الروح القدس، فهي لا يمكن حصرها في زمان، بل هي أعمال غير منظورة وفائقة، فكيف يمكن أن يقال إن الروح القدس مخلوقٌ وهو يعمل في كل مكان وزمان ولا حدود لقوته، بل هو حاضرٌ في كل الأشياء وكل مكان، وهذه هي صفات الأُلوهية والربوبية لأنه مكتوب: "للرب الأرض وملؤها" (مز ٢٤: ١)؟ وهكذا، عندما أقام الربُّ خدامه الرسل، ولكي نفهم أن المخلوق مختلف عن نعمة الروح القدس، أقامهم للكرازة في أماكن متفرقة، ولا واحد منهم كان يمكنه أن يوجد في كل مكان في وقت واحد. ولكنه أعطاهم جميعاً الروح القدس، فسكب على كل رسول النعمة غير المنظورة وهم في أماكنهم المتفرقة. الأشخاص إذن مختلفون وفي أماكن مختلفة، ولكن إتمام العمل كان واحداً بالنسبة للجميع؛ لأن الروح القدس واحدٌ في الجميع، ولذلك قيل عنه: "ستنالون قوة من الأعالي متى حلَّ الروح القدس عليكم، وتكونون شهوداً لي في أورشليم وكل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض".

٨٢- إذن، الروح القدس غير محدود في مكان، بل هو حاضرٌ في كل مكان، وروحٌ مطلقٌ. لقد سكب ذاته في عقول التلاميذ، رغم وجودهم في أقاليم مختلفة وأماكن بعيدة وأصقاع نائية في المسكونة، ولا يمكن لشيء أن يهرب منه أو يخدعه. وعن هذا يقول المرنم: "أين أذهب من روحك ومن وجهك أين أهرب" (مز ١٣٩: ٧).

وعن أي ملاكٍ قيل هذا الكلام في الأسفار المقدسة؟ وهل قيل هذا عن القوات والرئاسات؟ وأيُّ ملاكٍ يمكنه أن يسكب من قوته في أماكن متفرقة في وقتٍ واحدٍ؟ لقد أرسل الملائكة لقليلين من البشر، أما الروح القدس فقد سُكِبَ على شعوبٍ كاملة. ومَن يمكنه أن يشك في أن الذي يُسكَب على عدة أشخاص في وقت واحد هو أُقنوم إلهي؛ لأنه يُسكَب في وقتٍ واحدٍ ولا يُرى؟ أما ما هو محسوس، فهو يُرى ويعاينه الأفراد الذين يتعاملون معه.

الروح القدس يقدِّس البشر والملائكة:

٨٣- وبنفس الفهم نقول إن الروح القدس يقدِّس الرسل دون أن يأخذ شيئاً من الطبيعة الإنسانية التي يقدِّسها. وهكذا أيضاً هو يقدِّس الملائكة والعروش والقوات دون أن يكون له شركة مع المخلوقات. وإذا ظنَّ أحدٌ ما أن قداسة الملائكة ليست قداسةً روحيةً آتيةً من الروح القدس، بل هي صفة ذاتية نابعة من طبيعتهم، فهو بهذا الاعتقاد يحكم بأن الملائكة أقلُ مرتبةٍ من البشر.

ولأن الهراطقة لا يمكنهم أن ينكروا أن الروح القدس سُكِبَ على البشر، أي أن البشر صاروا بهذه النعمة أفضل من الملائكة. ولكننا نرى أن الملائكة ينزلون من السماء لمساعدة البشر، وهذا يحتم علينا أن نفهم أن طبيعة الملائكة أسمى من طبيعة البشر الذين يساعدونهم، وهذا يعني أنهم نالوا نعمةً أوفر من الروح القدس وأكثر غنى من النعمة التي نالها البشر. ولكن في كلتا الحالتين مصدر النعمة واحدٌ.

٨٤- وما أعظم النعمة التي تجعل أصحاب الطبيعة الأرضية، أي البشر، ينالون نعمةً مساويةً للعطايا التي نالها الملائكة؛ لأن الرب نفسه وعد قائلاً: "تكونون مثل ملائكة الله في السموات"، وهذا ليس صعباً لأن الذي رَفَعَ الملائكة بنعمة الروح القدس، سوف يرفع البشر بنفس النعمة ليصيروا مثل الملائكة.

انسكاب الروح على كل جسد:

٨٥- وعن أي طبيعة ينطبق القول الذي يؤكد بأنها تملأ كل مكان، وهو ما كُتِبَ عن الروح القدس: "سأسكب من روحي على كل جسد" (يوئيل ٢: ٢٨). هذا لا يمكن أن يقال عن ملاك. ويكفي أن نرى أن جبرائيل نفسه عندما أُرسِل للعذراء مريم قال: "السلام لكي يا ممتلئة نعمة" (لوقا ١: ٢٨) مُعلِناً بذلك عن نعمة الروح القدس التي فيها؛ لأن الروح القدس حلَّ عليها، وكانت أحشائها تستعد لأن تقبل ملء نعمة اللوغوس السماوي.

الروح يملأ الكل:

٨٦- الرب وحده هو الذي يملأ كل مكان وكل الأشياء، وهو وحده الذي يقول: "أنا مالئ السموات والأرض" (أرميا ٢٣: ٢٤). فإذا كان الربُّ هو الذي يملأ السموات والأرض، فمن يمكنه أن ينكر أن الروح القدس ليس له صفات السيادة والقوة الإلهية، لأنه يملأ العالم كله، بل ما هو أبعد من العالم؛ لأنه ملأ يسوع مخلص العالم كله؟ وهذا ما كُتِب: "أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس" (لوقا ٤: ١). ومَن الذي يمكنه أن يملأ ذاك الذي يملأ كل مكان إلا الذي له ذات الملء.

٨٧- ولئلا يعترض أحدٌ أن هذا قيل عنه عندما كان في الجسد، ورغم ذلك، فهو وحده الذي من جسده نبع الشفاء للكل وكان أعظم من الكل، إلا أننا يجب أن نتذكر أن الرب هو الذي يملأ كل الأشياء، وهو ما نقرأه أيضاً عن الروح: "روح الرب ملأ كل المسكونة" (حكمة ١: ٧). والذين عاشروا الرسل وجدوا أن الرسل "امتلأوا من الروح القدس وتكلموا بكلمة الرب بكل شجاعة" (أع ٤: ٣١). ومن ذلك ترى أن الروح القدس يعطي الملء والشجاعة، وهو ما جعل رئيس الملائكة يبشِّر مريم بما سيعمله فيها "الروح القدس يحل عليك" (لوقا ١: ٣٥).

٨٨- وتقرأ أيضاً في الإنجيل أن ملاك الرب كان ينزل في البِركة في وقتٍ محددٍ ويحرّك الماء، ومَن ينزل أولاً في البِركة كان يبرأ (يو ٥: ٤). ألم يكن نزول الملاك مثالاً لنزول الروح القدس، وهو ما يتحقق في أيامنا عندما نقدّس المياه باستدعاء الروح القدس بصلوات الكاهن؟ كان هذا الملاك مبشّراً بالروح القدس؛ لأنه بواسطة نعمة الروح القدس نلنا الدواء الشافي لأمراض نفوسنا وعقولنا. فالروح القدس له ذات عطايا الله الآب والرب يسوع المسيح. هو يملأ كل الأشياء وهو يعمل في الكل مثل الآب والابن.

النعمة الكاملة بإلهام الروح القدس:

٨٩- وما هو أكثر أُلوهةً من عمل الروح القدس؛ لأن الله نفسه يشهد أن الروح القدس يدبّر كل بركةٍ قائلاً: "أسكب روحي على نسلك وبركتي على ذريتك" (أشعياء ٤٤: ٣). ولا توجد نعمة كاملة إلا بالهام الروح القدس. والرسول نفسه لم يجد شيئاً أفضل يتمناه لنا أكثر من هذا الذي يقوله: "لم نكُف عن الصلاة والطلبة لأجلكم لكي تمتلئوا من معرفة مشيئته في كل حكمة وفهم روحي لتسلكوا كمن يستحقون الله" (كول ١: ٩). لقد عَلِمَ بأن هذه هي مشيئة الله، بالدوام على الأعمال الصالحة والكلمات المقدسة والمحبة، سوف نمتلئ من معرفة إرادة الله الذي وضَعَ روحه القدوس في قلوبنا. ولذلك فإن كان من له الروح القدس يمتلئ من إرادة الله، فلا يوجد فرق بين إرادة الآب والابن والروح القدس.

الفصل الثامن

اللّه هو الذي يسكب الروح القدس

لا يستطيع الإنسان أن يُعطي الروح:

٩٠- لاحِظ أنه في نفس الوقت يُعطي الله الروح القدس. هذا ليس عمل إنسان ولا عطية إنسان، بل **الذي يستدعيه الكاهن، إنما يُستَجاب بواسطة الله ويُعطيَ من قِبَل الله. فالعطية هي عطية الله، أما الخدمة فهي خدمة الكاهن.** واذا كان الرسول بولس قد حكم على ذاته بأنه لا يقدر أن يعطي الروح القدس بسلطانه الخاص، واعتبر نفسه غير أهلٍ لهذا العمل، حتى أنه يتمنى لنا أن نمتلئ من الله بالروح القدس (أف ٥: ١٨)، فمَن هو الكفء لأنْ يدَّعي أنه قادرٌ على أن يعطي هذه العطية؟ ولذلك عبَّر الرسولُ عن رغبته هذه بالصلاة، ولم يدَّع الحق ولا السلطان لذاته، وهكذا تمنى أن ننال الروح دون أن يأمر الروحَ. وبطرس نفسه يقول إنه غير قادر على أن يُرغِم أو يمنع الروح القدس، وهكذا تكلم: "فإذا كان الله قد منحهم نفس النعمة التي مُنِحَت لنا، فمن أنا حتى أمنع الله".

٩١- ولكن لئلا يعجزوا عن أن يتعلموا من الرسل كمثال، ولذلك علينا أن نستخدم الأقوال الإلهية لإقناعهم لأنه مكتوب: "هوذا عبدي الذي أعضده إسرائيل مختاري الذي سُرَّت به نفسي وضَعتُ روحي عليه" (أشعياء ٤٢: ١)، وقال الربُّ أيضاً بواسطة أشعياء: "روحُ الربِّ عليَّ لأنه مسحني" (٦١: ١).

سأسكب من روحي على كل بشر:

٩٢- مَن الذي يمكنه أن يتجاسر ويقول إن جوهر الروح القدس هو جوهرٌ

مخلوقٌ، وهو الذي عندما يُشرِق في قلوبنا، نعاين جمال الحق الإلهي؟ وما أعظم الفرق بين المخلوق والخالق واختلاف الصنعة عن صانعها! وعن أيّ مخلوقٍ تكلم الله قائلاً: "سأسكب من روحي على كل بشر" (يوئيل ٢: ٢٨)، وهو لم يقل سأسكب روحاً، بل "من روحي"؟ ونحن لا نستطيع أن نقبل الملء للروح القدس، ولكننا نقبل ما يمكننا أن نأخذه من الرب موزَّعاً علينا من ذاته وحسب إرادته[١] (فيلبي ٢: ٦). وكما أن ابن الله لم يحسب مساواته لله اختلاساً، بل أخلى ذاته، ليس لأنه فَقَدَ ملئه، وإنما لأنني لا أستطيع أن أحتَمِل ملئه؛ لذلك أخلى ذاته حتى يستطيع أن يبث ذاته فيَّ حسب احتمالي. وبنفس الأسلوب أيضاً يقول الآب إنه يسكب روحه على كل جسد، وهو لم يسكب الروح كله، وإنما ما سكبه يكفي احتياج الكل.

المسيح وحده استقر عليه الروح:

٩٣- لقد سَكَبَ علينا الروح القدس، أما على الرب يسوع الذي عندما كان في صورة إنسان، فقد سكن أو استقر الروح كما هو مكتوب: "الذي ترى الروح نازلاً من السماء ومستقراً عليه هو الذي سيُعمِّد بالروح القدس" (يو ١: ٣٣). وهكذا أحاطنا المعطي بحريةٍ، بكفاية ما نحتاجه. أما فيه هو وحده، فقد استقر إلى الأبد ملء الروح القدس. وهكذا سَكَبَ علينا ما قرر أنه كافٍ لنا، وما سكبه لا ينفصل ولا ينقسم، وإنما ذاك الذي له وحده ملء اللاهوت، ويضيء عيون قلوبنا حسب احتمال قدرتنا. وأخيراً نحن ننال على قدر تقدُّم عقولنا، وملء نعمة الروح بلا انقسام، ولكننا جميعاً نشترك فيه كلٌّ حسب احتمال طبيعته.

---

(١) يوجد فرق بين الملء وبين الامتلاء، لأن ملء الروح هو الروح القدس كله، أما الامتلاء من الروح القدس، فهو استعلان قوة وعمل الروح القدس إلى الدرجة التي لا يتم فيها توحيد الجهد الإنساني بقوة وعمل الروح القدس. أما حلول الروح القدس فهو تنازُل الروح القدس ليسكن فينا، أما سُكناه فينا فهي الوجود الدائم للروح القدس فينا.

محبة الله تُسكب بالروح:

٩٤- الله يسكب الروح، ومحبة الله تُسكَب بغنى على الكلِّ بالروح. وهذه النقطة بالذات تتطلب منا **أن نعترف بوحدة العمل والنعمة**. وكما أن الله يسكب الروح القدس، هكذا أيضاً "محبة الله قد سُكِبَت في قلوبنا بالروح القدس"؛ لكي نفهم أن الروح القدس ليس مصنوعاً؛ لأنه الموزّع لنبع المحبة الإلهية الفياض.

اسم الابن ينسكب أيضاً:

٩٥- ولكي تؤمن بأن الذي سُكِبَ بغنىً ليس شيئاً شائعاً تملكه المخلوقات، وإنما خاصاً باللاهوت فقط. وحتى اسم الابن سُكِبَ أيضاً، كما هو مكتوب: "اسمك دهنٌ مسكوب" (نشيد ١: ٣)، وهو قولٌ يفوق كل قدرة؛ لأن الدُّهن أو المسحة يجب أن توضع في إناءٍ مُغلَقٍ، حتى يمكن أن تحتفظ برائحتها، إذا ظلَّت في مساحة الإناء الضيق، وبالتالي لا تصل رائحتها لكثيرين. ومع ذلك، طالما أنها في الإناء، تحتفظ بقوة رائحتها. أما إذا سُكِبَت المسحةُ من الإناء، تنتشر في مكانٍ أوسع من الإناء، هكذا أيضاً اسم المسيح، قبل تجسده ومجيئه من شعب العهد القديم، كان اسمه مُغلَقاً عليه في عقولهم وحدهم، كما لو كان مسحةً في إناءٍ مُغلَقٍ، حسبما هو مكتوب: "الله معروفٌ في يهوذا، واسمه عظيمٌ في إسرائيل" (مز ٧٦: ١)، أي الاسم الذي وُضِعَ في إناء اليهود، وظلَّ مغلقاً عليه في حدودهم الضيقة.

٩٦- ورغم ذلك، فالاسمُ حقاً عظيمٌ، مع أنه ظلَّ في حدود الضعفاء والأقلية؛ لأنه لم يكن قد سَكَبَ عظمته في قلوب الأمم وحتى أقصاء المسكونة. **أما بعد مجيئه في الجسد، فقد أشرق في العالم كله، ونَشَرَ غنى اسمه الإلهي في كل المخلوقات، ولم يمتلئ بشيءٍ أُضيفَ إليه؛ لأن الملء لا يسمح بزيادة، بل ملأ كل فراغٍ حتى يصبح اسمه عجيباً في كل العالم. وانسكاب اسمه يدل على العطايا الفضلى وفيض الخيرات السماوية، لأن ما ينسكب، إنما يفيض من الملء.**

٩٧- وكما أن الحكمة التي تصدر من فم الله لا يمكن أن يقال إنها مخلوقة، فكذلك الكلمة الذي يصدر من قلبه وأيضاً القوة التي فيها ملء العزة الأزلية. وهكذا أيضاً الروح الذي يفيض من فم الله، لا يمكن أن يكون مخلوقاً؛ لأن الله نفسه أعلن وحدة جوهره حتى أنه عندما يتكلم عن انسكاب الروح، يصف هذا الروح بأنه روحه.

نعمة واحدة:

ومِن كلِّ هذا نفهم أن نعمة الله الآب هي بذاتها نعمة الروح القدس، وأن هذه النعمة الواحدة دون نقصٍ أو تقسيم، توزَّع على كل قلب. وهكذا أيضاً كل ما ينسكب من الروح القدس، لا ينفصل ولا يُدرَك بالحواس ولا ينقسم.

٩٨- وكيف يمكن أن نصدِّق أن الروح يمكن توزيعه إلى أقسام؟ لأن يوحنا يقول: "من هذا نعرف أنه فينا من الروح الذي أعطاه لنا" (١يو ٣: ٢٤).

وما يسكن فينا دائماً بكل يقين لا يتغير، وما لا يتغير فهو أزلي. وهكذا الروح القدس أزلي، أما المخلوق فهو قابل للخطأ، وبالتالي خاضعٌ للتغيير. ولكن ما هو قابلٌ للتغيير ليس أزلياً، وهذا يعني أنه لا يوجد شيءٌ مشتركٌ بين المخلوقات والروح القدس؛ لأن الروح القدس أزلي، أما كل المخلوقات فهي زمنية.

الفصل التاسع

الروح هو المسحة

١٠٠- وحسناً يفكّر البعضُ في أن الروح القدس هو مِسحة المسيح؛ لأنه فعلاً يُدعى زيت البهجة الذي يجمع كل النِّعم ويُعطي الرائحة الزكية. ولكن الله الآب ضابط الكل مسحه رئيسَ كهنةٍ. وهو ليس مثل البعض مُسِحَ رمزياً حسب ظلال الشريعة القديمة، وإنما حسب الشريعة الجديدة مَسَحَ جسده، وحقاً كان مملوءاً بفضائل الروح القدس من الآب الذي هو أسمى من الشريعة.

زيت البهجة:

١٠١- وعن زيت البهجة يقول النبي: "مَسَحَكَ اللهُ إلهك بزيت البهجة أكثر من رفقائك" (مز ٤٥: ٨). ويكفي أن نقرأ ما يقوله بطرس إن يسوع مُسِحَ بالروح القدس كما هو مكتوب: "أنتم تعلمون الكلمة التي انتشرت في كل اليهودية، ابتداءً من الجليل بعد المعمودية التي بشَّر بها يوحنا، يسوع الناصري الذي مَسَحَه الله بالروح القدس" (أع ١٠: ٣٧ و٣٨). إذن، الروح القدس هو زيت البهجة.

١٠٢- وحسناً وُصِفَ الروح القدس بزيت البهجة، حتى لا يظن أحدٌ أن الاسم يتضمن إشارةً إلى أنه مخلوق، فطبيعة هذا الزيت لا تسمح له بأن يختلط بأي عنصر آخر، لا سيما الماء. والبهجةُ أيضاً لا تمسح الجسد، وإنما تضيء القلب الداخلي كما قال النبي: "جعلتَ بهجةً في قلبي" (مز ٤: ٧). وهكذا، مَن يمزج الزيت بالماء أو السوائل الأخرى، فإنه يجد أن السوائل تنفصل عن الزيت، وأن الزيت يطفو والسوائل الأخرى تترسب.

وكيف يظن الهراطقةُ تُجَّار الكلام التعساء أن زيت البهجة يمكن أن يختلط

بالمخلوقات؛ لأن الكائنات المحسوسة لا يمكنها يقيناً أن تمتزج بالكائنات غير المحسوسة، ولا المخلوق بالخالق. وحسناً مُسِحَ المسيحُ بمِسحة زيت البهجة، فالزيت العادي لا يصلح لمثل هذه المِسحة. ولم يُستخدَم في مسحته الزيت الطبيعي الذي يُستَعمَل للجروح أو لتخفيف آلام الحمى، **فقد كان خلاص العالم يتطلب ما هو أكثر من جروح جسده، وهو لم يأخذ هذه المسحة لكي يعالج ذاته بما أصابه من آلام.**

١٠٣- وليس غريباً أنه أخذ زيت البهجة، لأنه جعل الذين يواجهون الموت يفرحون وينزعون عنهم أحزان هذا العالم؛ لأن رائحة زيت البهجة أبادت رائحة أحزان الموت.

وهكذا قال الرسول: "لأننا رائحة المسيح الذكية لله" (٢ كور ٢: ١٥)، وقطعاً كان يتكلم عن المِسحة الروحية. ولكن عندما يقول ابن الله نفسه: "روحُ الربِّ عليَّ لأنه مسحني" (لوقا ٤: ١٨)، فقد كان يعني مِسحة الروح، فالروح هو مِسحة المسيح.

١٠٤- وأما أن اسم يسوع هو المسحة التي سُكِبَت، ويشاء هؤلاء أن يفهموا أن المقصود بالمِسحة، المسيح يسوع نفسه، وليس روح المسيح تحت اسم المِسحة، فالواضح هو ما ذكره الرسول بطرس أن الرب يسوع المسيح مُسِحَ بالروح القدس، وبدون شك المعنى المقصود هو أن الروح أيضاً يُدعى المِسحة.

١٠٥- وأيُّ غرابةٍ في ذلك؟ ألا يُدعى الآب والابن كلاهما روح؟ وهو ما سوف نشرحه بالتفصيل عندما نشرح وحدة أقانيم الثالوث في الاسم الواحد، ولكن حيث أن المجال هنا مناسبٌ لنا لأن نشير إلى هذا، وأن نصل إلى الخلاصة، ويأليتهم يقرأون أن الآب يُدعى روح كما قال الرب في الإنجيل: "الله روح" (يو ٤: ٢٤) والمسيح يُدعى روح كما يقول أرميا "الروح أمام وجوهنا هو المسيح الرب" (مراثي ٤: ٢٠).

١٠٦- وهكذا، الآبُ روحٌ والمسيحُ روحٌ؛ لأن كل ما هو ليس جسداً مخلوقاً هو روحٌ. وتسمية الآب روح، والمسيح روح، لا يعني أن الروح القدس ذاب فيهما، بل هو

متمايزٌ عن الآب والابن. ورغم أنه مِسحة الابن، إلا أن موت المسيح على الصليب، لا يعني أن الروح القدس مات أيضاً، فالروح لم يمت لأنه لم يتجسد، كما أن اللاهوت الأزلي لا يموت، أمَّا المسيح فقد مات حسب الجسد.

المسيح مات بالجسد:

١٠٧- وحقاً، لقد مات بالجسد الذي أخذه من العذراء، وليس بأُقنومه الذي من الآب؛ لأن المسيح مات بالطبيعة التي صُلِبَت ودُقَّت فيها المسامير (أي بالجسد). أما الروح القدس، فلا يمكن صلبه؛ لأنه لم يتجسد، وليس له عظام ولحم. أما ابن الله فقد صُلِبَ؛ لأن له عظام ولحم، وصُلِبَ على الصليب بعظامه ولحمه، لكي تموت أهواء أجسادنا. لقد أخذ ما ليس له، أي الجسد؛ لكي يخفي ما له، أي اللاهوت، **وأخفى الذي له لكي يجرَّب في جسده، الذي هو أصلاً ليس من طبيعته الإلهية لكي يفديه، ولكي يدعونا إليه بذاك الذي ليس له إلى ذلك الذي له**[١].

سر الصليب:

١٠٨- يا لِسرِّ الصليب الإلهي الذي عُلِّقَت عليه الضعفات، ولكن القوة الحقيقية، رغم المسامير، كانت حُرَّةً. الخطايا صُلِبَت، وأقام غلبة الانتصار. هذا السر الذي قال عنه واحدٌ من القديسين: "سَمِّر خوفك في لحمي" (مز ١١٩: ١٢٠)، ولم يكن يشير إلى المسامير الحديد، وإنما مسامير الخوف والإيمان؛ لأن رباطات الفضائل أقوى من رباطات العقاب. وأخيراً، إن إيمانه رَبَطَ بطرس حتى أنه تَبِعَ الربَّ إلى بهو رئيس الكهنة، رغم أن أحداً لم يكن يقوده، والعقوبةُ لم تَفُكُّه من رباطات الإيمان. أما عندما رَبَطَه اليهودُ، فقد فَكَّت رباطاته الصلوات، أما العقوبة فلم تقدر أن تَفُكَّه من أسر المسيح؛ لأنه لم يرتد عن المسيح.

---

(١) في الأصل اللاتيني يوجد نوع من السجع والايقاع اللغوي، ما ليس له هو الجسد، ما له هو اللاهوت. أخذ ما ليس له أي أخذ الجسد ودعانا به إلى ما له أي اللاهوت. وهي تشبه "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له".

١٠٩- لذلك، عليك أن تصلُبَ أنت أيضاً الخطية، لكي تموت عن الخطية، ومَن يموت عن الخطية، يحيا لله الذي لم يشفق على ابنه وصَلَبَ في جسده أهوائنا. لقد مات المسيح عنا لكي نحيا بجسده القائم من الموت. ولذلك، ليست حياتنا التي تموت، بل ذنوبنا التي ماتت فيه، ولذلك قيل: "لأنه هو حمل خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر الذي بجراح جلدته شفيتم" (١بط ٢: ٢٤).

١١٠- أمَّا خشبة الصليب، فقد صارت مثل سفينة النجاة، صارت عبورنا، وليس عقوبتنا، وليس لنا خلاص آخر إلا بالصليب، وإنما عبورٌ إلى خلاصٍ أبدي. ورغم أنني أتوقع الموت، إلا أنني لا أشعر به. ورغم أنني أُفكِّر قليلاً في الدينونة، إلا أنني لا أعاني منها، ولا أهتم بالخوف، لأنني لا أعرفه.

١١١- ومَن الذي بجرح جلدته شُفينا سوى المسيح الرب؟ وعمَّن تنبأ أشعياء بأننا بجلداته شُفينا (٥٣: ٣)؟ وعمَّن كتب الرسول بولس في رسالته: "الذي لم يعرف خطية ولكنه صار خطية لأجلنا" (٢كو ٥: ٢١)؟ وعدم الخطية هو الجانب الإلهي فيه، ولذلك لم يُخطئ بالجسد. وما هو العجب إذا لم يُخطئ اللاهوت، وهو ليس فيه ميل للخطية؟ وإذا كان الله وحده بلا خطية، فكل مخلوق يمكن أن يكون بالطبيعة -كما قلنا- قابلاً لأن يُخطئ.

الفصل العاشر

الروح القدس لا يخطئ، بل يغفر الخطايا

١١٢- أخبروني، مَن أنتم، يا مَن تنكرون ربوبية الروح القدس؟ الروح القدس لا يمكنه أن يُخطئ، بل هو بالحري يغفر الخطايا. هل يغفر الملاكُ الخطايا؟ هل يغفر رئيس الملائكة؟ بكل تأكيد لا، وإنما الذي يغفر الآب، والابن والروح القدس فقط، ولا يستطيع أحدٌ أن يطلب المغفرة إلا مِن الذي يستطيع أن يغفر، وهو الله وحده.

١١٣- وربما قال واحدٌ إن أحد السيرافيم قال لأشعياء: "إن هذه قد مسَّت شفتيك فانتُزِع أثمك وكُفِّر عن خطيتك" (٦: ٧)، ولم يقل له أنا قد نزعت أثمك، وإنما النار التي على مذبح الله التي أخذ منها الجمرة، أي نعمة الروح القدس. **وما هو المعنى الروحي السليم لمذبح الله إلا نعمة الروح القدس؟** وحقاً، ليس خشب الغابات، ولا دخان الغمام هو الذي يغفر، وإلا كيف يمكن أن نفهم هذا السر الذي أُعلِن لأشعياء سوى أن كل البشر سوف يتطهَّرون بآلام المسيح، الذي هو جمرةٌ مشتعلةٌ أحرقت ذنوبنا، كما نقرأ في زكريا: "أفليس هذا شعلةٌ مُنتشلةٌ من النار، وكان يهوشع لابساً ثياباً قذرة..".

١١٤- وأخيراً، ولكي نعلم أن هذا هو السرُّ الخاص بالفداء، والذي أُعلِن بكل وضوح بواسطة الأنبياء، علينا أن نقرأ بقية ما قيل في زكريا: "قد نُزِعَت عنك خطاياك" (٣: ٤)؛ لأن المسيح أزال خطاياه، وهو الذي لم يعرف خطية، وإنما في جسد المسيح نالت البشرية كلها التحرر من خطاياها.

١١٥- وحتى لو فرضنا أن أحد السيرافيم قد نزع خطية أشعياء، فإننا لا يمكن أن نقول أكثر من إنه خادمٌ من خدام الله عيَّنه الله لكي يخدم هذا السر. وهكذا قال أشعياء: "واحدٌ من السيرافيم الذي أُرسل لي" (٦: ٦).

الفصل الحادي عشر

إرسال الروح القدس

١١٦- لقد قِيل إن الروح القدس أُرسِل، وإن سيرافيم أُرسِل، ولكن الفرقَ ضخمٌ. لقد أُرسِل الروح القدس للكل، وأما واحدٌ من السيرافيم فقد أُرسِل لواحدٍ فقط. أُرسِل أحد السيرافيم كخادم، أما الروح فقد أُرسِل لكي يعمل الأسرار. السيرافيم يعمل ما يؤمر به، أما الروح فيوزّع ما يشاء. **السيرافيم ينتقل من مكان لمكان، لأنه لا يملأ كل الأشياء، بل هو بذاته يمتلئ من الروح القدس.** السيرافيم ينزل من السماء ويظهر بشكلٍ مرئي، وهذه هي طبيعته، ولكننا لا نستطيع أن نقول ذلك عن الروح القدس، فهو عندما يجيء يقول عنه ابن الله: "ومتى جاء البارقليت روح الحق الذي أُرسله إليكم، والذي ينبثق من الآب" (يو ١٥: ٢٦).

مجيء الروح:

١١٧- ولو فرضنا أن الروح القدس يتحرك من مكانٍ لآخر، فإن هذا يعني أنه هو والآب الذي منه ينبثق يتحرَّكان من مكان لآخر، بل ويكون الآب نفسه محدوداً بمكان، وهكذا أيضاً الابن. وإذا تحرَّك الروح من مكان لآخر، وكان الآب والابن هما اللذان يرسلانه، فهذا يعني أنه ينتقل من مسافةٍ إلى أخرى، وأنه يصبح حاضراً في المكان الذي يحضر فيه وغائباً عن المكان الذي لا يكون فيه، وهذا التفكير الكُفري يعني أن الآب والابن أيضاً لهما جسداً مادياً يتحركان به.

١١٨- أنا أقول ذلك مشيراً إلى الذين يقولون إن الروح يتحرَّك إلى أسفل منتقلاً من مكانٍ لآخر. ولكن، لا الروح، ولا الآب الذي هو فوق كل الأشياء، ليس فقط فوق كل الطبائع المحسوسة، بل أيضاً المخلوقات غير المنظورة، وبالتالي لا يمكن حصره في أي

مكان، ولا الابن الذي هو صانع كل المخلوقات، وهو فوق كل خليقة، يمكن أن يحتويه مكان أو زمان، أو أيٌّ من المخلوقات التي خلقها. وكذلك أيضاً روح الحق، الذي هو روح الله، غيرُ محصورٍ في حدود منظورة. وهو غير محسوس، وفوق كل الخليقة العاقلة، والذي بملء أُلوهيته الفائقة له القوة على أن يَهُب حيث يشاء (يو ٣: ٨)، وأن يُلهم مَن يشاء.

١١٩- لا يُرسَل الروح من مكان إلى آخر، ولا ينبثق من مكان إلى مكان، وإنما عندما يرسله الابنُ، فهو يؤكد أنه ينبثق من الآب مثل الابن نفسه الذي يقول: "خرجت من عند الآب وأتيت إلى العالم" (يو ١٦: ٢٨)، فقضى بذلك على كل التصورات الفاسدة، التي يمكن أن تصوره آتياً من مكان وذاهباً إلى مكان.

وعلى هذا الأساس نفسه، عندما تقرأ أن اللهَ حاضرٌ، أو بعيد، فإننا بكل يقين لا نحصر الله في مكان حضوره، ولا نفصله عن أي كائن من الكائنات، بل نَزِن هذه الأمور بالأسلوب الروحي غير الحسي الذي لا يُنطق به، والذي يجعلنا ندرك الطبيعة الإلهية الخفية.

١٢٠- وأخيراً، يقول الحكمة إنه صادرٌ من فم الله العلي، فهو ليس غريباً عن الآب، وإنما من الآب؛ لأن "الكلمة كان عند الآب" (يو ١: ١). ولم يكن فقط عند الآب، بل في الآب: "أنا في الآب والآب فيَّ" (يو ١٤: ١٠). وإذا خرج من الآب، فهذا لا يعني أنه استقر في مكانٍ، ولا يعني هذا أيضاً أنه انفصل كجسدٍ من جسدٍ آخر. **وهكذا الروح القدس أيضاً، الذي عندما ينبثق من الآب ويرسله الابنُ، لا ينفصل عن الآب ولا ينفصل عن الابن.** وكيف يمكن أن ينفصل عن الآب وهو روح فمه؟ وهذا دليلٌ على أزليته، وتعبيرٌ عن وحدته مع جوهر اللاهوت.

معنى نزول الروح الينا:

١٢١- الروحُ كائنٌ دائماً، وحاضرٌ دائماً؛ لأنه روح فم الله، وهو ينزل إلينا عندما نقبله يسكن فينا، حتى لا نكون غرباء عن نعمته. **ويبدو لنا فقط أنه نزل من السماء، ليس لأنه فعلاً نزل، وإنما لأن عقولنا هي التي تصعد إليه**، وهو ما أشرنا إليه سابقاً وشرحناه بالتفصيل في المقالة السابقة (شرح الإيمان المسيحي ٥: ٧). وفي هذا الموضع ذكرنا أن الآب قال: "لننزل ونبلبل ألسنتهم" (تك ١١: ٧)، والابن قال: "الذي يحبني يحفظ وصاياي، وأبي يحبه وأنا والآب نأتي وعنده نصنع منزلاً" (يو ١٤: ٢٣).

١٢٢- **وهكذا أيضاً يأتي الروح كما يأتي الآب، لأنه حيثما الآب يوجد الابن، وحيثما الابن يوجد الروح القدس. فالروح القدس لا يأتي وحده منفصلاً عن الآب والابن، ولا يأتي من مكان إلى مكان، وإنما يأتي حسب تدبير الفداء، وحسب تدرج النعمة، فهو يأتي من النعمة الواهبة الحياة للتقديس لكي ينقلنا من الأرض إلى السماء، ومن الشقاء إلى المجد، ومن العبودية إلى الملكوت.**

١٢٣- الروح يأتي مثل الآب، وكما قال الابن: "أنا والآب نأتي وعنده نصنع منزلاً" (يو ١٤: ٢٣)، فهل يأتي الآب في شكل جسداني؟ لا، **وهكذا أيضاً يأتي الروح في الحضور الكامل للآب والابن.**

الروح لا ينفصل عن الآب والابن:

١٢٤- ولكن مَن يمكنه أن يفصل الروح عن الآب والابن، طالما أننا لا نستطيع أن نذكر اسم الآب والابن بدون الروح؟ ولا يستطيع أحدٌ أن يقول يسوع هو الرب إلا بالروح القدس" (١كو ١٢: ٣). فإذا كنا لا نستطيع أن ندعو يسوع الرب إلا بالروح القدس، فإننا لا نستطيع أن نبشِّر به بدون الروح، وإذا كانت الملائكة تبشِّر بيسوع كربٍّ بالروح القدس، ولا يستطيع أحدٌ أن يبشِّر إلا بالروح، إذن يعمل الروح القدس في

الملائكة أيضاً ويقوم بعمله فيهم شهادةً ليسوع كرب.

١٢٥- لقد برهنَّا على أن حضور ونعمة الآب والابن والروح القدس هي نعمة واحدة، سماوية وإلهية، وهو ما جعل الابن يشكر الآب قائلاً: "أشكرك أيها الآب رب السموات والأرض، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء، وأعلنتها للأطفال" (متى ١١: ٢٥).

الفصل الثاني عشر

الروح القدس والنعمة والمحبة والشركة

النعمة من الروح القدس:

١٢٦- وحيث أن دعوتنا واحدة، هكذا النعمة واحدة. وأخيراً، لقد كتب: "نعمةٌ لكم وسلامٌ من الله الآب ومن الرب يسوع المسيح" (رو ١: ٧). وها أنت ترى أننا أُخبِرنا أن النعمة من الآب والابن هي نعمةٌ واحدة، وأن السلام من الآب والابن هو سلامٌ واحد، ولكن النعمة والسلام هما ثمرة من ثمار الروح القدس، كما علَّم الرسول نفسه قائلاً: "وأما ثمار الروح فهي، محبة، فرح، سلام، صبر" (غلا ٥: ٢٢). والسلام عطيةٌ صالحةٌ وضروريةٌ لكي لا يضطرب ولا يرتبك أحدٌ بالمجادلات التي تقود للشك، ولا يتزعزع بعاصفة الأهواء الجسدية، وإنما تظل عواطفه هادئة متوجِّهة نحو عبادة الله، ببساطة وإيمان وهدوء عقل.

١٢٧- وإذا كنا قد أثبتنا النقطة الخاصة بالسلام، تبقى النقطة الخاصة بالنعمة، وهي التي يقول عنها النبي زكريا إن الله وَعَدَ بأن يسكب على أُورشليم روح النعمة والرحمة (١٢: ١٠). وهو ما جعل الرسول بطرس يقول في يوم الخمسين: "توبوا واعتمدوا كل واحد منكم على اسم الرب يسوع المسيح لمغفرة الخطايا فتنالوا نعمة الروح القدس" (أع ٢: ٣٨). وهكذا تأتي النعمة من الروح القدس كما تأتي من الآب والابن. وكيف يمكن أن تُوهَب نعمة بدون الروح القدس، لأن كل النعم الإلهية هي في الروح القدس؟

المحبة والروح القدس:

١٢٨- ونحن لا نقرأ فقط عن السلام والنعمة من الآب والابن والروح القدس،

وإنما أيضاً المحبة والشركة. وعن المحبة قد قيل: "نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله" (٢كو ١٣: ١٤). وما قرأناه عن محبة الآب، هو نفسه الذي نقرأه عن محبة الابن، لأنه هو نفسه يقول: "الذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه" (يو ١٤: ٢١). وما هي محبة الابن إلا أنه قدَّم ذاته عنا وفدانا بدمه الخاص به (أف ٥: ٢)؟ ولكن هذه المحبة عينها هي محبة الآب لأنه مكتوب: "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد" (يو ٣: ١٦).

١٢٩- هكذا قدَّم الآب ابنه، وبذل الابن ذاته عنا. وهذه هي المحبة الصحيحة حيث يوجد الرأي الواحد في البذل. **فقد قدَّم الآب ابنه الذي ارتضى ذلك، وقدَّم مَن بذل ذاته، ولم يقدِّم الآب ابنه للعقوبة، بل للنعمة.**

وعندما تسأل عن استحقاق الفداء، تأمل أيضاً في وحدة المحبة. فالفداء مثل آنية واحدة تجمع المحبة الإلهية؛ لأن الآب قدَّم ابنه، والابن بذل ذاته. وقد قيل عن الآب: "لم يبخل علينا بابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين" (رو ٨: ٣٢). وعن الابن يقول الرسول بولس: "الذي أسلم نفسه لأجلي" (غلا ٢: ٢٠). فإذا كان هذا هو عمل النعمة، فما هو اعتراضي؟ وإذا كان قد تألم لأجل الخطاة، فإن ديني عظيم.

١٣٠- ونفس ما ذكرناه سابقاً يظهر أيضاً بكل وضوح، فكما أن الآب قدَّم الابن، كذلك قدَّم الابنُ ذاته، وهكذا أيضاً قدَّم الروحُ الابنَ لأنه مكتوب: "وقاد الروح يسوع إلى البرية لكي يجرَّب من إبليس" (متى ٤: ١). فروح المحبة قدَّم ابن الله، وكما أن محبة الآب والابن هي واحدة، أيضاً أثبتنا أن هذه المحبة قد سُكِبَت بالروح القدس، وهي ثمرة الروح القدس لأن "ثمار الروح، محبة، فرح، سلام، صبر" (غلا ٥: ٢٢).

الروح القدس والشركة:

١٣١- والشركة بين الآب والابن ظاهرةٌ بوضوح لأنه مكتوب: "أما شركتنا فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح" (١يو ١: ٣). وفي موضع آخر: "شركة الروح تكون معكم" (٢كو ١٣: ١٤). فإذا كان سلام الآب والابن والروح القدس واحدٌ، وكذلك

النعمة واحدة، والمحبة واحدة، والشركة واحدة، فالعمل أيضاً بكل تأكيد واحد. وحيث أن العمل واحدٌ، فبكل تأكيد القوة واحدة، ولا يمكن أن تنقسم؛ لأن الجوهر واحد، ولا يمكن أن ينفصل. وإذا كان هذا صحيحاً، فكيف لا تكون نعمة الثالوث هي نعمة واحدة صادرة من الأقانيم الثلاثة؟

الفصل الثالث عشر

اسم الإله الواحد

١٣٢- مَن يمكنه أن ينكر أن الاسم واحدٌ، وهو يرى أن العملَ واحدٌ؟ ولِمَا أُثبت أن الاسم واحد بالبراهين، وتوجد شهادة الصوت الإلهي التي تؤكد أن اسم الآب والابن والروح القدس هو اسمٌ واحدٌ؟ أليس مكتوباً: "اذهبوا وعمِّدوا كل الأمم باسم الآب والابن والروح القدس" (متى ١٩: ٢٨)؟ وقد قال: "باسم"، وليس "بأسماء"؛ لأن اسم الآب الواحد ليس هو آخر غير اسم الابن والروح القدس؛ لأن الله واحدٌ، والأسماء ليست أكثر من اسم واحد؛ لأنه لا يوجد إلهين أو ثلاثة، بل اسمٌ واحدٌ.

١٣٣- ولكي يظهر لنا أن اللاهوت واحد والعزة واحدة؛ لأن اسم الآب والابن والروح القدس هو واحد، فالابن لم يأتِ باسمٍ مختلفٍ، والروح باسمٍ آخر، بل أن الرب نفسه قال: "أنا أتيت باسم أبي، ولم تقبلوني، إذا أتى آخر باسم نفسه فذاك تقبلونه" (يو ٥: ٤٣).

١٣٤- وتؤكد الاسفار أن اسم الآب هو ذاته اسم الابن؛ لأن الرب قال في سفر الخروج: "أسير أمامك باسمي وأُنادي باسم الرب قدامك" (٣٣: ١٩). وهكذا يقول الرب إنه سوف ينادي باسم الرب. فالرب إذن هو اسمُ الآب والابن.

١٣٥- ولكن إذا كان اسم الآب والابن واحداً، صار من الواجب أن تعلم أنه هو ذات الاسم الواحد للروح القدس؛ لأن الروح القدس جاء باسم الابن كما هو مكتوب: "أما الباركليت الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء" (يو ١٤: ٢٦). ومَن يجيء باسم الابن يجيئ بكل يقين باسم الآب؛ لأن اسم الآب والابن واحد. وهكذا يظهر أن اسم الآب والابن هو اسم الروح القدس، "لأنه لا يوجد اسمٌ آخر تحت السماء به يجب أن نخلص" (أع ٤: ١٢).

١٣٦- وفي نفس الوقت الذي ظهرت فيه وحدة الاسم الإلهي، لا يجب أن يفكر أحد في أنه يوجد اختلافٌ بين أقانيم الثالوث. فالمسيح جاء بهذا الاسم الواحد، أما المسيح الدجال، فسوف يأتي باسمه الخاص كما هو مكتوب: "أنا قد أتيت باسم إبي ولستم تقبولني، إن أتى آخر باسم نفسه فذاك تقبلونه" (يو ٤: ٤٣).

اسم المعزّي:

١٣٧- وما هو ظاهرٌ بكل وضوح في هذه الفقرات أنه لا يوجد فرق بين الآب والابن والروح القدس؛ لأن الاسم واحدٌ للأقانيم الثلاثة، بل إن اسم المعزّي البارکليت الخاص بالروح القدس، يُطلَق على الابن أيضاً، ولذلك يقول الرب يسوع في الإنجيل: "وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزّياً آخر يمكث معكم إلى الأبد روح الحق" (يو ١٤: ١٦). وحسناً قال: "معزّياً آخر"؛ لكي لا يظن أحدٌ أن الابن هو نفسه الروح، لأن وحدة الاسم لا تعني بالمرة فوضى سابليوس الذي لم يميّز بين الابن والروح.

١٣٨- هكذا، الابنُ بارکليت، والروح القدس بارکليت آخر، ويوحنا سمَّى الابن بالبارکليت كما هو مكتوب: "إن أخطأ أحدٌ، فلنا بارکليت عند الآب يسوع المسيح" (١يو ٢: ١). وكما أنه يوجد وحدة في الاسم، يوجد وحدة في القوة، وحيثما يكون البارکليت الروح القدس، يكون البارکليت الابن أيضاً.

١٣٩- وكما أن الرب يقول في هذا الموضع إن الروح القدس سيكون مع المؤمنين إلى الأبد، فهو بذاته يقول في موضع آخر إنه هو نفسه سيكون مع الرسل ومع المؤمنين إلى الأبد: "وها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر آمين" (متى ٢٨: ٢٠). لذلك، الابن والروح واحدٌ؛ لأن الثالوث واحدٌ، له حضورٌ واحدٌ لا يمكن أن ينقسم.

اسم الحق:

١٤٠- وكما أثبتنا من الأسفار أن الابن يدعى الباركليت، هكذا أيضاً سنوضح أن الروح يُدعى "الحق"، مثلما دعي الابن "الحق"، فالمسيح دُعيَ الحق، والروح دُعيَ روح الحق، وفي رسالة يوحنا: "لأن الروح حق" (١ يو ٥: ٧) والروح لم يدعَ روح الحق، بل الحق تماماً مثل إعلان الابن أنه الحق: "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤: ٦).

الفصل الرابع عشر

اللّهُ نورٌ

١٦٠- لماذا أريد أن أثبت أن الآب نورٌ، وكذلك الابن نورٌ والروح القدس نور؟ لأن هذا بكل يقين يثبت أن قوة الله واحدة، فالله نور كما يقول يوحنا: "الله نور وليس فيه ظلمة" (١يو ١: ٥).

١٦١- والابن أيضاً نورٌ "فيه كانت الحياة والحياة نور الناس" (يو ١: ٤). ولكي يؤكد الإنجيلي أنه كان يتحدث عن ابن الله، يقول عن يوحنا المعمدان: "لم يكن هو النور بل ليشهد للنور. كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم" (يو ١: ٨-٩). ولأن الله الاب هو النور، كذلك ابن الله هو النور الحقيقي، وبدون شك ابن الله هو إلهٌ حقيقيٌّ.

١٦٢- وفي موضعٍ آخر تجد أن ابن الله هو النور: "الشعب الجالس في الظلمة أبصر نوراً عظيماً" (أشعياء ٩: ٢). ولكن ما هو أكثر وضوحاً ما قيل: "عندك ينبوع الحياة وبنورك نعاين النور" (مز ٣٦: ٩). وهذا يعني: أيها الآب ضابط الكل يا مَن أنت ينبوع الحياة، عندك ابنك الوحيد الذي فيه النور الذي به نرى النور، أي نور الروح القدس، كما قال الرب نفسه معلِناً: "اقبلوا الروح القدس" (يو ٢٠: ٢٢)، وفي موضع آخر قيل فيه عن الروح القدس: "وكانت قوة تخرج منه (يسوع)" (لوقا ٦: ١٩).

١٦٣- ومن يجرؤ على الشك في أن الآب هو النور، وهو يقرأ أن ابنه هو "بهاء مجده، نوره الأزلي" (عب ١: ٣). ومن أين يأتي بهاء الابن إلا من الآب؛ لأنه دائماً مع الآب يشع ببهاء مجد الآب وليس ببهاء مجد آخر. وإذا كان الابن يشع ببهاء مجد الآب، فهو يشع ببهاء مجده.

الروح نورٌ ونار:

١٦٤- وأشعياء يعلن أن الروح القدس ليس فقط النور، بل النار أيضاً: "ويصير نور إسرائيل ناراً والقدوس لهيباً" (١٠: ٧). ولذلك يدعوه الأنبياء ناراً متقدة، لأننا في هذه المظاهر الثلاثة النور، والنار والقداسة، تظهر العِزَّةُ الإلهية، لأن التقديس هو من اللاهوت، والاستنارة من صفات النار والنور، والظهور الإلهي يتم دائماً بشكل نار: "إلهنا نارٌ آكلة" كما أعلن موسى (تثنية ٤: ٢٤).

١٦٥- ورأى موسى النار في العليقة وسمع الله يتكلم من وسط اللهيب قائلاً: "أنا الرب إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب" (خر ٣: ٦). وكان الصوت يأتي من النار ومن العليقة دون أن تحترق العليقة: وبهذا "السر" أعلن لنا الرب أنه جاء لكي يسكب النور والنار على أشواك، وأنه لن يحرق الخطاة، بل ينير الخطاة، وأنه سوف يعمِّد بالروح القدس ونار (متى ٣: ١١)، فيعطينا نعمةً ويحرق خطايانا فقط. وفي المعنى الرمزي للنار، أبقى الله على قصده.

حلول الروح بشكل نار:

١٦٦- وبعد ذلك ظهر قصد الله في سفر الأعمال، عندما نزل الروح القدس بشكل نار كما نقرأ: "وفجأة جاء صوتٌ من السماء مثل هبوب ريح عاصف وملأ كل البيت الذي كانوا مجتمعين فيه وظهرت لهم ألسنة منقسمة كما لو كانت من نار" (٢: ٢-٣).

١٦٧- ولنفس السبب عندما كان جدعون يستعد لهزيمة المديانيين، أمر ٣٠٠ رجل فأخذوا جراراً في داخلها مشاعل منيرة وأبواقاً في أياديهم اليمنى" (قض ٧: ١٦). وقد حفظ لنا الآباء الذين عاشوا قبلنا تفسير هذه الحادثة الذي استلموه من الرسل. وهذا التفسير هو: أجسادنا هي الجرار المصنوعة من الطين، وهي لا تخاف إذا وُضِعَت

فيها النار، لأنها سوف تشتعل بحرارة نعمة الروح، وتشهد بآلام ربنا يسوع المسيح باعترافٍ أوضح من صوت البوق.

١٦٨- مَن الذي يجسر على أن يشك في أُلوهية الروح القدس؟ لأنه حيث نعمة الروح القدس، يظهر اللاهوت. ومن الأدلة السابقة لم نرَ تعارض واختلاف القوة الإلهية، بل وحدتها. وكيف تنقسم القوة، وفاعلية وعمل هذه القوة في الكل هو واحد؟

١٦٩- ما هي هذه النار؟ بكل تأكيد إنها ليست لهب نار مشتعلة في مواد تحترق، ولا تزمجر بحريق مثل حريق العشب أو الأشجار في الغابات. ولكنها نارٌ مثل النار الهادئة التي تمحِّص الذهب وتنقيه، فتجعل كل الأعمال الصالحة نقيةً، وتحرق الخطايا مثل حريق الغث. هذه النار بكل تأكيد هي الروح القدس الذي يُدعى نار ونور الوجه الإلهي. ويُدعى نور كما قلنا سابقاً: "أشرق علينا نور وجهك يا رب" (مز ٤: ٣). وبهذا النور الذي يشرق علينا، نُختَم، وأيُّ ختم هذا؟ هو ختم الروح القدس الذي عندما نؤمن به "نختم بروح الموعد القدوس" (أف ١: ١٣).

١٧٠- وكما يوجد نور الوجه الإلهي، يوجد أيضاً نار الوجه الإلهي الذي يشرق من الله، كما هو مكتوب: "نارٌ قدامه تأكل" (مز ٥: ٣). لأن نعمة يوم المجازاة تشرق من الآن، والمغفرة تتبع خدمة القديسين. يا لعمق غنى وكمال الأسفار المقدسة الملهمة بالروح القدس والتي لا يستطيع أحدٌ أن يدركها بفهمه، فكل ما في الأسفار يشرح وحدة جوهر الثالوث ويا لهذه البراهين العظيمة التي تحتويها هذه الكلمات في النصين السابقين.

الفصل الخامس عشر

ينبوع الحياة

١٧١- قلنا إن الاب هو النور والابن هو النور والروح القدس هو النور. ويجب أن نتعلم أن الآب هو الحياة والابن هو الحياة والروح القدس هو الحياة، لأن يوحنا يقول: "الذي كان من البدء الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا الذي لمسناه بأيدينا من جهة كلمة الحياة. لأن الحياة أُظهِرت ونحن قد رأينا وشهدنا لكم عن الحياة الأبدية التي كانت عند الآب" (١ يو ١: ١-٢). وهنا استخدم "كلمة الحياة"، و"الحياة"؛ لكي يدلنا على أن الآب والابن حياة. ومَن هو "كلمة الحياة" إلا كلمة الله؟ ومِن هذين التعبيرين يظهر أن الله وكلمة الله هما حياة. وما قيل عن كلمة الله، يقال أيضاً عن الروح، فهو حياة، ولذلك كما أن كلمة الحياة هو حياة، كذلك "روح الحياة" هو أيضاً حياة.

١٧٢- وتعلم الآن، كما أن الآب هو ينبوع، كذلك أيضاً شهد أن الابن هو ينبوع الحياة. كما قال: "عندك ينبوع الحياة يا الله الآب أي ابنك" (راجع مز ٣٦: ٩). والروح أيضاً ينبوع الحياة، كما قال الرب: "الكلمات التي أُكلمكم بها هي روح وحياة" (يو ٦: ٢٤) وحيث الحياة هناك الروح، وحيث الروح هناك أيضاً الروح القدس.

١٧٣- وكثيرٌ من الناس يظنون أن الآب وحده هو المقصود بعبارة "ينبوع الحياة". ولكن على هؤلاء أن يلاحظوا أن النص يقول بكل وضوح: "عندك ينبوع الحياة" أي الابن الذي هو عند الآب، لأنه مكتوب أن الكلمة عند الله، وأنه كان في البدء وكان الله.

١٧٤- وفي هذا النص سواء فهمنا أن الآب أو الابن هو ينبوع الحياة، فإننا بكل يقين لا نفهم أن ينبوع الحياة أو ينبوع المياه هو مثل الينابيع الأرضية المخلوقة، وإنما ينبوع النعمة الإلهية أي الروح القدس، لأنه هو المياه الحية، ولذلك قال الرب: "لو كنتِ

تعلَمين عطية الله ومَن هو الذي يقول لك اعطيني لأشرب، كنتِ أنتِ طلبتِ منه لكي يعطيك مياهاً حية" (يو ٤: ١٠).

١٧٥- هذه هي المياه التي اشتاقت إليها نفس داود؛ لأن الأيِّل يشتاق إلى ينبوع هذه المياه، ولا يعطش لسم الحيات. ومياه نعمة الروح القدس هي مياه حية، تطهِّر خفايا العقل، وتغسل كل خطية من النفس، وتطهِّر من التعدي الصادر من النية الخفية.

الفصل السادس عشر

الروحُ أنهارُ ماءٍ حي"

١٧٦- مَن يقدر ويتجاسر على القول بأن المياه المتدفقة هي جزءٌ محدودٌ انفصل عن الينبوع الذي ينبع منه؟ أو يتجاسر على الادعاء بأنه يوجد فرقٌ في العظمة بين المياه والينبوع. وفي الحقيقة إن المخلوقات لا تناسب ولا يمكن أن تشرح شيئاً خاصاً باللاهوت، ومَن يستنتج أي أمر بالمقارنة بين الخليقة والله يضر نفسه. ولذلك علينا أن نتذكر أن الروح القدس لا يُدعى مياه حية فقط، بل أنهار ماء حي كما نقرأ: "من جوفه تخرج أنهار ماء حي. قال هذا عن الروح القدس الذي سيأخذه كل الذين آمنوا به" (يو ٧: ٣٨-٣٩).

الروح يفيض علينا من يسوع:

١٧٧- فالروح القدس ليس نهراً فقط، بل نهراً فياضاً نَبَعَ من يسوع، ونزل على كل الأرض، وقبلناه نحن حسب نبوة أشعياء: "ها أنذا أُدير عليها سلاماً كنهرٍ وكسيلٍ جارفٍ سيكون مجد الأمم الذي منه سترضعون" (٦٦: ١٢). هذا النهر العظيم الذي يتدفق دائماً ولا ينقطع تدفقه، وهو لا يندفع في رفق فقط، بل أحياناً يندفع مثل السيل الجارف، وهو ما يقول عنه داود: "أنهار الله تفرّح مدينة الله" (مز ٤٦: ٤).

١٧٨- ومدينة الله أورشليم السماوية لا ترتوي من قناة مياه أو من نهر أرضي، وإنما من الروح القدس النابع من ينبوع الحياة، والذي تكفي قطرة منه لكي تفي باحتياجاتنا، ولكنه يفيض أكثر على العروش السماوية، والسيادات والقوات والملائكة ورؤساء الملائكة متدفقاً بكل قوته بالمواهب الروحية السبعة للروح القدس. وإذا كان النهر يمتلئ ويفيض ويغمر شطآنه، فكم بالحري الروح القدس الذي يفيض ويغمر كل الخليقة

والأراضي الواطئة، أي عقولنا، ويفرّح الطبائع السماوية بتقديسه لهم بحيوية وخصوبة وافرة.

١٧٩- ولا تضطرب إذا قرأت هنا أن الروح القدس دُعيَ "أنهار"، أو في موضع آخر "أرواح الله السبعة" (يو ٧: ٣٨ – رؤيا ٥: ٦)، لأن مثل هذه التعبيرات رمزية، ورقم سبعة يدلنا على كمال تقديس الروح القدس، كما قال أشعياء: "روح الحكمة، روح الفهم، روح القوة، روح المشورة، روح المعرفة، روح التقوى، روح مخافة الرب" (أشعياء ١١: ٢). فالنهر واحد، ولكن القنوات التي تخرج منه، أي عطايا الروح القدس متعددة. وهذا هو النهر الذي يتدفق من ينبوع الحياة.

١٨٠- لا يَمِل قلبك إلى الأمور الأرضية، لأنه في الواقع المادي يوجد فرق بين الينبوع والنهر، ولكن ما قدمه الكتاب المقدس من أمثلة وتشبيهات متعددة ومختلفة، فلكي لا يتعب الإدراك الإنساني من ضعف اللغة الإنسانية وارتباطها بأصلها الترابي. تصوَّر في عقلك أي نهر تشاء، إنه ينبع من ينبوع، ولكنه يحمل ذات مياه الينبوع التي لها طبيعة واحدة من الينبوع، وفي النهر بهاءٌ واحدٌ، وجمالٌ واحدٌ. وحسناً تدرك أن الروح القدس جوهرٌ واحد، بهاءٌ ومجدٌ واحد مع ابن الله ومع الله الآب.

الينبوع هو الروح القدس:

وسوف أُلخِّص الإيمان كله بكلمة واحدة، وهي أن كل الصفات الإلهية هي واحدة في أقانيم الثالوث، بدون أن أخاف من سؤال عن الفرق بين عظمة الأقانيم. فالتشبيه الموجود في الأسفار والذي يقول فيه ابن الله نفسه: "مَن يشرب مِن الماء الذي أنا أُعطيه فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذي أُعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" (يو ٤: ١٤). هذا الينبوع هو بكل وضوح هو نعمة الروح القدس، والنهر النابع من ينبوع الحياة الأبدية.

١٨١- ولاحِظ من كلمات الرب أن وحدة عظمة الثالوث ظاهرة في النص، ولا يمكن أن ينكر أحد حتى الهراطقة، أن المسيح هو ينبوع الحياة؛ لأن الروح يُدعى ينبوع الحياة. وكما أن الروح يُدعى نهراً كذلك دُعيَ الآب (أشعياء ٦٦: ١٢). ومَن يمكنه أن يشك أن ابن الله هو نهر الحياة، وهو الذي منه نبعت أنهار ماء الحياة الأبدية؟

احفظ المياه من التسرب:

١٨٢- صالحةٌ هي هذه المياه، فهي عطية الروح. ومَن يستطيع أن يجعلها تتدفق في صدري؟ يا ليتها تتدفق فيَّ، يا ليت الذي يَهَب الحياة الأبدية يفيض عليَّ. يا ليته يفيض علينا ولا يتركنا، لأن الحكمة يقول: "أشرب مياهاً من وعائك ومياهاً جارية من بئرك. ولا تجعل مياه بئرك تفيض في شوارعك" (أمثال ٥: ١٥-١٦). كيف أحفظ هذه المياه لكي لا تتسرب ولا تختفي؟ كيف أحفظ وعائي سليماً حتى لا تنفذ مياه الحياة الأبدية من الشقوق التي تصنعها الخطية؟ علِّمنا يا رب كل هذا، كما علَّمت تلاميذك وقلت لهم: "لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يأكلها الصدأ والسوس وينقب اللصوص ليسرقوها" (متى ٦: ١٩).

١٨٣- والرب يشير إلى السارق واللص، أي الروح النجس، الذي لا يجد منفذاً يدخل منه في الذين يسيرون في نور الأعمال الصالحة. أما إذا أمسك بواحدٍ في ظلمة الشهوات الأرضية، وأثناء التمتع بالشهوات الزائلة، فإنه يسرق منه زهرة النعمة الأبدية. لذلك قال الرب: "اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يؤثر عليها الصدأ والسوس ولا يملك اللصوص أن ينقبوا ليسرقوا لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً" (متى ٥: ٢٠-٢١).

١٨٤- والصدأ والسوس، هما الفجور والشهوات وحياة الترف وكل ما يعتِّم بهاء عقلنا بأدناس الرذيلة. والسوس أيضاً هو أريوس، وفوتينوس وكلاهما بكفرهم مزَّقوا ثوب الكنيسة واشتهوا أن يقسِّموا الوحدة غير المنظورة للقوة الإلهية. ويحاولون أن يقرضوا

بأسنان الكفر حجاب الإيمان. الماء ينسكب إذا أنشب أريوس أسنانه فينا، ويضيع إذا غرس فوتينوس سُم حمته فينا. نحن كلنا لسنا سوى طين يميل بسرعة إلى الرذائل. ولكن لا يملك أحد أن يقول للخزاف: "لماذا صنعتني هكذا" (رو ٩: ٢)، لأنه وإن كنا آنية وضيعة، لكن يمكن أن يكون واحد للكرامة وآخر للهوان. لا تترك بئرك لكل عابثٍ، ولا تحفره بالرذائل والجرائم، حتى لا يقول أحدٌ عنك: "حفر بئراً وسقط في الحفرة التي حفرها" (مز ٧: ١٥).

أُطلب يسوع وتخلى عن المياه الراكدة:

١٨٥- إذا كنت تطلب يسوع، تخلَّ عن الخزانات المشقوقة، لأن المسيح لن يجلس عند خزانات بل عند البئر. وهناك وجدته المرأة السامرية، وآمنت به وهي التي طلبت منه "الماء الحي" (يو ٤: ٦). ورغم أنه كان يجب أن تأتي مبكراً في الصباح الباكر، إلا أنك حتى إن جئت متأخراً ولو في الساعة السادسة، فسوف تجد يسوع في انتظارك متعَبَاً من الرحلة. هو متعَبٌ وأنت السبب في ذلك، لأنه كان يفتِّش عنك منذ زمن وعدم إيمانك أتعبه طويلاً إلا أنه لن يغضب إذا جئت الآن، بل سيطلب منك أن يشرب وهو الذي يعطي أكثر مما نفتكر. وهو سيشرب ليس من نهر تجري مياهه هنا على الأرض، وإنما يريد أن يشرب خلاصك، ومِن تصرفاتك الحسنة. لقد شرب الكأس، أي الآلام التي بها فداك من خطاياك، حتى عندما تشرب من دمه المقدس تطفئ عطشك لهذا العالم.

١٨٦- لقد نال إبراهيم خيراتٍ من الله بعد أن حفر البئر (تك ٢١: ٣٠). وبينما كان اسحق يسير عند البئر تقابل مع زوجته (تك ٢٤: ٦٢) وجاءت إليه كمثال للكنيسة التي خطبها الرب عند المياه الحية. المؤمن دائماً عند المياه الحية، أما غير المؤمن فعند المياه الراكدة. وأخيراً رفقة -كما نقرأ- وجدت مَن كان يبحث عنها عند البئر.

الكتاب الثاني

مقدمة

١- وإذا قرأنا كتب العهد القديم، وجدنا في سفر القضاة أن مواهب الروح القدس السبعة ظهرت في حياة القضاة أنفسهم، وأن أسرار الطقوس السماوية قد أُعلِنَت بالروح القدس، وحتى موسى لم يكن يجهلها كلها، بل حتى في بداية العالم، بل قبل أن يتكون العالم، فهو الروح الأزلي. وإذا قرأ أحدٌ سفرَ التكوين بدقة، فسوف يجد الآب والابن والروح القدس. وعن الآب قِيل: "في البدء خلق الله السموات والأرض" (تك ١: ١). وعن الروح قِيل: "وروح الرب يرفُّ على وجه المياه" (تك ١: ٤). وحسناً جداً أن نجد في بداية الخلق مثال المعمودية، التي بها يتطهَّر المخلوق. وعن الابن نقرأ أنه هو الذي فَصَلَ بين النور والظلمة؛ لأنه يوجد إلهٌ واحد: الآب الذي يتكلم، وإلهٌ واحد الابن الذي يعمل.

٢- وأيضاً لكي تدرك أنه لا توجد أي إشارة إلى أمر أصدره الآب إلى الابن كأقل منه في المرتبة، بل أن الآب يعلن أن الابن مساوي له، وهو يعمل معه في الخلق في قوله: "لنخلق الإنسان على صورتنا كشبهنا" (تك ١: ٢٦)، وهذا يعني أن الآب والابن والروح القدس لهم جوهر واحد؛ لأن "صورتنا وشبهنا" تعني وحدة القوة الإلهية للثالوث.

٣- ولكي ندرك هذه المساواة مرةً أخرى، فكما أن الآب نفسه "ابي يعمل حتى الآن" (يو ٥: ١٧). وأما عن الابن فقد قِيل له: "قل كلمة فيبرأ غلامي" (متى ٨: ٨). والابن يقول للآب: "أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي" (يو ١٧: ٢٤)، وقد فعل الآب ما قاله الابن.

٤- ولم يكن إبراهيم يجهل "الروح القدس"، لقد رأى ثلاثة وسَجَدَ للواحد؛ لأنه إلهٌ واحد وربٌّ واحد وروحٌ واحد. والوحدة في الكرامة؛ لأن الوحدة أيضاً في القوة الإلهية.

٥- ولماذا أتكلم عن أنبياء وقديسي العهد القديم واحداً بعد الآخر، شمشون وُلِدَ

بقوة الوعد الإلهي، وكان الروح يرافقه. لأننا قرأنا: "وباركه الرب، وابتدأ روح الرب يحرِّكه في محلة دان.." (قض ١٣: ٢٤ – ٢٥). وهكذا كان شمشون ظِلّاً للسر الآتي عندما طلب زوجةً أجنبيةً، وكما كُتِبَ لم يكن أبيه ولا أمه يعرفانها، ولكن كان الأمر من الرب (قض ١٤: ٤٠). وحقاً كان أقوى من الكل؛ لأن روح الرب كان يحرِّكه وبمشورة الروح وقوته استطاع أن يُخيف الأجانب ويرعبهم حتى أنهم هربوا. ومرةً ثانيةً لم تقوى عليه أسنان الأسد، بل شقَّه بيديه. ولو كان حذراً وصاحياً لاحتفظ بالنعمة، وقوى على العدو الشرير، أي الأسد الذي يزأر.

٦- ولم يكن شمشون مثالاً للشجاعة والإقدام فقط، وإنما كان أيضاً مثالاً لسرِّ الحكمة. ونُطقاً نبوياً عما هو آت. ولم يكن بلا سبب أنه عندما كان ذاهباً لزواجه أن قابله أسدٌ يزأر فمزَّقه بيديه. وبعد ذلك عندما بدأت استعدادات زفافه وجد في داخل جثة الأسد خلية نحل، فأخذ عسلاً من فم الأسد، وأعطى أبيه وأمه ليأكلا. وهكذا شعوب المسيح التي آمنت، ذاقت العسل. والمتوحشون صاروا شعب المسيح الوديع.

٧- ولم يكن اللغز إلا جانباً من السر الذي أعلنه لرفقائه: "من الآكل خرج أُكلٌ ومن الجافي خرجت حلاوة" (قض ١٤: ١٤). وكان مطلوباً منهم حل اللغز في ثلاثة أيام وعبثاً حاولوا ولم يفلحوا. وهذا اللغز لا يمكن حلَّه إلا بإيمان الكنيسة. فحتى اليوم السابع كان كمال الناموس الذي أتمَّه الرب بآلامه. وحتى الرسل أنفسهم لم يفهموا "لأن يسوع لم يكن قد مُجِّدَ بعد" (يو ٧: ٣٩).

٨- وبعد ذلك قال رجال المدينة لشمشون: "أيُّ شيءٍ أحلى من العسل، وأيُّ شيءٍ أقوى من الأسد" (قض ١٤: ١٨)، فقال لهم شمشون: "لو لم تحرثوا على عجلتي ما حللتم لغزي" (قض ١٤: ١٨). يا للسر العظيم والطقس الذي ظهر معناه!! لقد هربنا من القاتل والمهلِك وغلبنا القويَّ. وها هو خبز الحياة أمامنا. وقبل ذلك كان جوعٌ وشقاءُ الموتِ، تحوَّل الخطرُ إلى سلامةٍ، والمرارةُ إلى عذوبةٍ. **النعمةُ عَبَرَت إلينا من الجريمة، القوةُ من الضعف، والحياة من الموت.**

٩- والبعض يظن أن خِدر الزوجية لم يتم بناؤه إلا بعد أن ذُبِحَ أسد يهوذا، وهكذا صار في جسده، أي الكنيسة، النحلُ الذي خزَّن فيها عسلَ الحكمة، وبعد آلام الرب وقيامته آمن الرسل وصاروا كاملين. لقد قتل شمشون اليهودي الأسد، ووجد فيه بعد ذلك عسلاً، فصار هذا مثالاً للميراث الذي سوف يُفتدى، لكي تخلص البقية الباقية حسب اختيار النعمة (رو ١١: ٥).

١٠- وبعد ذلك قيل: "وحلَّ عليه روح الرب، فنزل إلى أشقلون وقتل منهم ثلاثين رجلاً" (قض ١٤: ١٩)، وهذا يعني أنه لم يفشل في الانتصار بعد أن عاين الأسرار. وهكذا، ففي الأثواب[1]، نال الذين حلُّوا أُحجية شمشون مكافأة الحكمة، أي علامة الشركة.

١١- وسِرٌّ آخر يظهر، وهو: لقد صارت امرأته لصاحبه وأُخِذَت منه، وبسبب ذلك أشعلت الثعالبُ النارَ في حصاد وكروم الأمم (قض ١٥: ٤-٦)، ومكرهم قادر على أن يخدع الذين لا يعرفون الأسرار الإلهية، ولذلك قيل في النشيد: "خذوا لنا الثعالب الصغار الثعالب المفسدة الكروم لأن كرومنا قد أقلعت" (نش ٢: ١٥). وحسناً قال "الثعالب الصغار"؛ لأن الثعالب الكبيرة لا يمكنها أن تفسد الكروم، والشياطين ليست إلا كائنات ضعيفة.

١٢- ولكي نلخِّص معاني القصة كلها حيث أن شرحها كله سوف يُعطى في المناسبة الطقسية الخاصة بها. لقد ظلَّ شمشون منتصراً طالما احتفظ بنعمة الروح حسب شريعة شعب الله، أي شريعة الذين اختارهم الله ليكونوا "نذيرين". كان شمشون لا يمكن هزيمته، إذ كان قوياً بالنعمة حتى أنه ضرب ألفَ رجلٍ بفك حمار (قض ١٥: ١٥). كان مملوءاً بالنعمة السماوية حتى أنه عندما عَطِشَ وجد ماءً في فك الحمار. وسواء اعتبرتَ

(١) الأثواب كانت هي الثمن المتفق عليه في حل أحجية شمشون، وهي هنا تشير إلى الطبيعة البشرية التي أخذها المسيح الكلمة.

هذه معجزةً أم سراً، فإن شعب الأمم في تواضعه، سوف يجد في شريعة المسيح الراحة والانتصار ويتم المكتوب: "مَن ضربك على خدك الأيمن حوِّل له الآخر أيضاً" (متى ٥: ٣٩). وباحتمال الإهانات التي يعلِّمنا إياهُ سِرُّ المعمودية، ننتصر على شوكة الغضب؛ لأننا عَبَرنا بالموت إلى راحة القيامة.

١٣- ألم يستطع شمشون بقوته وحده أن يقطع الحبال الجديدة الطرية، وصارت مثل فتيل المشاقة[١] إذا شَمَّ النار (قض ١٦: ٨)؟ ألم يشعر شمشون بشعره وهو يدق في الأرض مع وتد، لأن نعمة الروح القدس كانت معه؟ نعم هو بذاته، ولكنه تغيَّر بعد أن فارقه روح الرب، فأوثقوه بسلاسل الأمم، عندما سقط من عظمته على ركبتي امرأة بعدما رَبَتت بيدها عليه وخدعته وحلقت له رأسه" (قض ١٦: ١٨).

١٤- فهل كان شعر رأسه هاماً لهذا الحد، وطالما احتفظ به كانت قوته فيه دون أن تُغلب، وبعد أن حلقت رأسه، يفقد الرجل قوته تماماً؟ ليست القوة في الشَّعرِ، وإنما الشَّعرُ هو تاجُ الإيمان الذي يوضع على رأس النذير حسب الناموس الكامل. فالنذيرُ مكرَّسٌ بالابتعاد عن الشهوات. وهذه العفة هي مثل الكنيسة التي سكبت الطيب على قدمي الرب، أي قدمي الكلمة السماوي، لأنها رأت المسيح حسب الجسد. والشَّعرُ هو الذي قيل عنه: "شَعرك مثل قطيع معز" (نشيد ٤: ٢١)، وهو ينمو على رأس المسيح الذي قيل عنه: "رأس الرجل هو المسيح" (١كو ١١: ٣)، وفي موضعٍ آخر: "رأسه ذهب إبريز قُصَصه مسترسلة مثل شجر الصنوبر الأسود" (نشيد ٥: ١١).

١٥- وأيضاً في الإنجيل يشير ربنا إلى أن بعض شَعر الرأس ظاهرٌ ومعروف، لقوله: "وحتى شعور رؤوسكم محصاة" (متى ١٠: ٣٠)، ويعني بذلك الأعمال الصالحة الروحية، لأن الله لا يهتم بشَعرنا. وليس خطأً أن نعتقد بأن المعنى الحرفي لقول الرب هو صوابٌ؛ لأن قوته الإلهية وجلاله لا يجعل شيئاً يخفي عليه.

---

(١) أي الفتائل الرفيعة الضعيفة التي تتساقط بعد مشق القطن أو الكتان بالمشقة.

١٦- ولكن ماذا أربح إذا كان الله يعرف مقدار شَعري؟ وإنما يفيدني إن كان يراقب أعمالي الصالحة ويجازيني في النهاية بعطية الحياة الأبدية. وحسناً قال شمشون إن شَعره ليس له قيمة مقدسة بقوله: "إن حلقت تفارقني قوتي" (قض ١٦: ١٧). وعن هذا السِّرِ يوجد لدينا شرحٌ كثير مما يجعلنا نبدأ بترتيب ما لدينا من نصوصٍ خاصةٍ به.

الفصل الأول

الروح القدس، الربُّ والقوة

١٧- لقد قرأت في الفقرة السابقة أن "الرب باركه وابتدأ روح الرب يحرِّكه" (قض ١٣: ٢٥). وبعدها يقول: "إن حلقت تفارقني قوتي" (قض ١٦: ١٧). وبعد أن حلق له شَعره، لاحظ ماذا يقول الكتاب: "وفارقه الرب" (قض ١٦: ٢٠).

١٨- ولاحظ أن الذي باركه وكان معه، هو بذاته الذي فارقه، هو بذاته أيضاً الرب الذي هو أيضاً الروح أو روح الرب، والذي يُدعى أيضاً: "روح الله"، كما يقول الرسول أيضاً: "والرب هو الروح، وحيث روح الرب فهناك حرية" (٢كو ٣: ١٧). **وهكذا تجد أن الروح القدس يُدعى الربُّ، وذلك لأن الروح القدس والابن ليسا أُقنوماً واحداً، بل جوهراً واحداً.**

١٩- وإذا استخدم الكتاب المقدس كلمة "القوة"، وأشار إلى الروح القدس، فهذا لا يُنقِص من أُلوهية الروح القدس؛ **لأن الآب يوصف أيضاً بالقوة وكذلك الابن، وهذا ما يجعل وصف الروح القدس بالقوة مؤكَّداً.** وكمثالٍ لما نقول: فقد كُتِب عن الابن: "المسيح هو قوة الله وحكمة الله" (١كو ١: ٢٤). وعن الآب أيضاً نقرأ أنه القوة كما هو مكتوب: "ترون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله" (متى ٢٦: ٦٤). وهنا بكل يقين يُسمَّى الآبُ بالقوة؛ لأن الابن يجلس عن يمين الآب كما هو مكتوب: "قال الرب لربي اجلس عن يميني" (مز ١١٠: ١)، والرب نفسه سَمَّى الروح القدس بالقوة حينما قال: "ستنالون قوةً متى حلَّ الروح القدس عليكم" (أع ١: ٨).

الفصل الثاني

الروحُ هو القوة

٢٠- والروح هو القوة كما نقرأ: "ويحل عليه روح الرب روح الحكمة المشورة والفهم" (أشعياء ١١: ٢). والابن هو رسول (ملاك) المشورة العظمى، والروح هو روح المشورة العظمى لكي ندرك أن المشورة للآب والابن والروح القدس هي مشورةٌ واحدة. والمشورة ليست التشاور حولَ أمورٍ غير معروفة، **ولكنها المشورة الأزلية التي عَرِفَت كل شيء وحددت كل الأمور**.

٢١- ولكن الروح هو حكم المشورة الإلهية، وهذا يمكنك أن تعرفه مما سنذكره. وعندما ذكرنا سابقاً أن الروح القدس هو رب المعمودية وأن المعمودية هي مشورة الله حسبما نقرأ: "أما الفريسيون فقد رفضوا مشورة الله ولم يعتمدوا" (لوقا ٧: ٣٠)، وكما هو واضحٌ أنه لا يمكن أن توجد معمودية بدون الروح القدس، كذلك لا توجد مشورة إلهية بدون الروح القدس.

٢٢- ولكي نعرف بالكامل أن الروح هو القوة، علينا أن نعرف أنه قد وُعِدَ لنا عندما قال الرب: "سأسكب روحي على كل جسد" (يوئيل ٢: ٢٨)، فالذي وُعِدنَا به هو بذاته القوة؛ لأن ابن الله نفسه في الإنجيل يعلن قائلاً: "سأرسل موعد الآب لكم فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تُلبَسوا قوةً من الأعالي" (لوقا ٢٤: ٤٩).

٢٣- وقد أشار الإنجيلي بأن الروح هو القوة، لأن لوقا ذكر أنه نزل بقوةٍ عظيمةٍ عندما سجَّل: "وفجأة صار من السماء صوتٌ، كما لو كان الروح القدس قد حلَّ بقوةٍ عظيمة" (أع ٢: ٢).

٢٤- ولكن حتى لا تظن أن هذه الأمور خاصة بأشياء أرضية خاضعة

للحواس، عليك أن تدرك أن الروح نزل مثل نزول المسيح الذي وُصِفَ بأنه "سترون ابن الإنسان آتياً على السحاب بقوةٍ ومجدٍ عظيم" (متى ٢٤: ٣٠).

٢٥- فكيف بعد كل هذا يبقى مجالٌ للشك في أن **القوة والقدرة واحدة، عندما يكون العملُ واحداً، والدينونة واحدةً، والهيكل واحداً، والقوة المحيية واحدةً، والتقديس واحداً. أوليس ملكوت الآب والابن والروح القدس واحداً؟**

الفصل الثالث

الروح القدس والحياة الأبدية

٢٦- ياليتهم يخبروننا كيف اعتقدوا بأنه يوجد اختلاف في الفعل الإلهي. وحيث أن معرفة الاب والابن حياةٌ، حسبما أعلن الرب نفسه: "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يو ١٧: ٣)، هكذا أيضاً معرفة الروح القدس هي أيضاً حياة؛ لأن الرب قال: "إذا كنتم تحبونني احفظوا وصاياي وأنا أسأل الآب وهو يعطيكم معزِّياً آخر يكون معكم إلى الأبد روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه، أما أنتم فتعرفونه لأنه معكم ويكون فيكم" (يو ١٤: ١٥-١٧).

٢٧- وهكذا، لم يكن للعالم حياةٌ أبديةٌ؛ لأنه لم يقبل الروح، وحيث الروح القدس توجد الحياة الأبدية؛ **لأن الروح نفسه هو الذي يَهَب الحياة الأبدية**. ولذلك أنا أتعجَّب من الجدل الذي أثاره الأريوسيين حول عبارة الإله الحقيقي وحده، فإذا كانت الحياة الأبدية هي أن نعرف الإله الحقيقي وحده، **هكذا أيضاً حياةٌ أبديةٌ أن نعرف يسوع المسيح، وأيضاً حياةٌ أبديةٌ أن نعرف الروح القدس**، وهو مثل الآب لا يراه العالم، ومثل الابن لا يعرفه العالم. ولكن كل مَن هو ليس من هذا العالم له حياة أبدية، لأن نور الحياة، أي الروح القدس يمكث فيه إلى الأبد.

٢٨- وإذا كانت معرفتنا بالإله الحق وحده تمنحنا الحياة الأبدية، وهذه بذاتها هي العطية التي ننالها بمعرفتنا بالابن وبالروح القدس، فكيف يجوز لهؤلاء أن يفصلوا الابن والروح القدس عن كرامة وجوهر الإله الحق؟ وأنتم لا تفصلونه حينما يُعطي هذه العطية الواحدة. وبالضرورة عليكم أن تؤمنوا أن هذه هي العطية العظمى التي يهبها الإله الحق وحده، وإذا اعترفنا بأن الأُلوهية الحق هي من الآب، وبالتالي هي أيضاً للابن والروح

القدس. أما إذا قلتم بأن مَن هو ليس الإله الحق وأنه يستطيع أن يعطي الحياة الأبدية، فأنتم بذلك تنزعون هذه العطية من الآب ذاته، ولا تعتبرونه بأنه قادرٌ أن يعمل كإله، بل يعمل كمخلوق مادام في قدرة المخلوق أن يَهَب الحياة الأبدية.

الفصل الرابع

الروح القدس يُحيي (يعطي الحياة)

٢٩- وما هو الغريب إذا وَهَبَ الروح القدس الحياة، وهو الذي يحيي مثل الآب والابن؟ ومَن يمكنه أن ينكر أن هبة الحياة هو عمل العزة الأزلية؟ مكتوبٌ: "أحيي عبدك" (مز ١١٠: ١٧)، فالعبد يحيا لأنه كإنسان كان بلا حياة، وإنما نال الحياة كعطية.

٣٠- علينا أن نرى إن كان الروح يحيي (يعطي الحياة)، أم يحيا (ينال الحياة)؟ مكتوبٌ: "الحرف يقتل ولكن الروح يحيي" (رو ٨: ١١)، إذن الروح يحيي.

٣١- ولكي تعرف أن عطية الحياة هي عمل الآب والابن والروح القدس، وأن الحياة ليست عملاً منفصلاً يقوم به كل أقنوم مستقلاً عن الآخر، اقرأ الأسفار، فتجد أن هبة الحياة هي هبة واحدة؛ لأن الله نفسه يُحيي بالروح القدس، وهو ما جعل بولس يقول: "والذي أقام يسوع من الأموات سوف يُحيي أجسادكم المائتة بسبب روحه القدوس الساكن فيك" (رو ٨: ١١).

الفصل الخامس

الروح القدس خالق

٣٢- ومَن يمكنه أن يشك في أن الروح القدس هو الذي يعطي حياةً لكل الأشياء، لأنه هو والآب والابن خالق كل الأشياء. والله الآب ضابط الكل لا يعمل شيئاً بدون الروح القدس، وحتى منذ بداية الخليقة كان الروح يرف على وجه المياه.

٣٣- وهكذا، عندما كان الروح يرف على وجه المياه، كانت الخليقة بلا نعمة، ولكن بعد أن خُلِقَ الكون، خَضَعَ لعمل الروح القدس، فنال جمال تلك النعمة التي استنار بها العالم. ولكن النعمة التي نالتها الخليقة لا تدوم بدون الروح القدس. وهذا ما أعلنه النبي بقوله: "تنزع روحك فترتاع وتعود إلى التراب، ترسل روحك فيُخلَقون وتجدِّد وجه الأرض" (مز ١٠٤: ٢٩ - ٣٠)، **وهو لا يُعلِّم فقط بأن أي مخلوق ليست لديه فرصة الحياة بدون الروح القدس، بل أيضاً الروح القدس هو خالق كل الخليقة.**

٣٤- ومَن يقدر أن ينكر أن خلق الأرض هو عمل الروح القدس، وهو العمل الذي يتجدد بالروح القدس؟ فإذا شاءوا أن ينكروا أن الروح القدس هو خالق الأرض، إذ أنه لا يمكنهم أن ينكروا أن الأرض تتجدد بالروح القدس، والنتيجة المنطقية هي أن الذين يظنون أنهم يفصلون الأقانيم سوف يصلون في النهاية إلى الاعتقاد بأن عمل الروح القدس أعظم من عمل الآب والابن، وبالتالي هو أسمى منهما، وطبعاً هذا ضد الحق، ولكن هذا ما يصل إليه هؤلاء؛ لأنه لا يوجد شك في أن التجديد أسمى من الخلق؛ **لأن تجديد الأرض إعادتها إلى وضع أفضل مما كانت عليه.**

وإن كان في البدء خلق الآب والابن كل الأشياء بدون الروح القدس، ثم أضيف عمل الروح القدس بعد ذلك، فهذا يعني أنه كانت توجد حاجة إلى عمله، وأن هذه الاضافة كانت ضرورة. ولكن هذا ليس تعليماً سليماً، بل هو تعليم المانويين

Manicheus الذي يقول بأن الخلق اقتضى تغيُّراً في الخالق نفسه.

٣٥- ولكن، هل يفترض البعض أن جوهر الأرض جاء إلى الوجود من العدم بدون تدخل الروح القدس، وهو الذي بدونه لا يمكن للسماء أن تستمر في البقاء، لأنه مكتوب: "بكلمة الرب خُلقت السموات، وكل قواتها بروح فمه" (مز ٣٣: ٦)؟

ولاحظ ما يقوله المزمور إن كل قوة السموات تثبُت بالروح القدس. وكيف يستريح من العمل ذاك الذي كان يرف على وجه الأرض عندما كانت تخلق؟!!

٣٦- والمؤلفون من الأمم الذين يتبعون إيماننا مثل تبعية الظل للجسم، وهم لا يمكنهم إخفاء الحق الخاص بالروح القدس، قد أشار بعضهم في أشعارهم إلى أن الروح القدس يغذِّي الأرض والسماء، وأنه هو الذي يجعل دوران القمر وحركة النجوم تلمع بضياء (فيرجيل AEN VI 724)، وهم لا ينكرون أن قوة الكائنات تدوم بالروح القدس، فكيف ننكرها نحن الذين نقرأ عن هذا في الكتاب المقدس؟ وإذا افترض البعضُ أن الروح الذي يتكلم عنه بعض هؤلاء هو الريح، ولكن إذا اعلنوا أن هذا الروح هو خالق الريح وخالق كل الأشياء، فهل ننكر نحن أن روح الله هو خالق كل الأشياء؟

٣٧- ولكنني إذا تأخَّرت في البرهنة على هذا الأمر، فالسبب سوف يظهر بعد قليل. **فالبرهان الواضح هو أنه لا يوجد شيء خلقه الروح القدس، ويقدر على البقاء محتفظاً بكيانه بدون عمله أو فعله**، ونحن نعني بذلك الملائكة، رؤساء الملائكة، العروش، الرئاسات؛ لأن الرب نفسه الذي تعبده الملائكة قد وُلِدَ جسدياً بالروح القدس من العذراء حسبما قال الملاك في إنجيل متى ليوسف: "يا يوسف ابن داود لا تخف من أن تأخذ زوجتك مريم لأن الذي سوف يولد منها هو من الروح القدس" (متى ١: ٢٠). وحسب لوقا قال الملاك: "الروح القدس يحل عليك" (لوقا ١: ٣٥).

الروح القدس والتجسد:

٣٨- الميلاد من العذراء كان عمل الروح القدس، وثمرة بطن البتول هو عمل الروح القدس حسب المكتوب: "مباركة أنت في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك" (لوقا ١: ٤٢). والثمرة أو الزهرة جاءت من الجذر، وكلاهما من عمل الروح القدس. وعن هذه الزهرة جاءت النبوة: "ويخرج قضيبٌ من جذر يسى وتنبت زهرةٌ من أصوله" (أشعياء ١١: ١). ومن جذر يسى البطريرك من عشيرة اليهود، جاءت مريم، فهي الجذر الذي منه الزهرة -المسيح- الذي سوف تظهر منه الرائحة العطرة للإيمان في كل العالم بعد أن أينعت من بطن البتول كما قال هو نفسه: "أنا نرجس وسوسنة الوادي" (نشيد ٢: ١).

٣٩- وعندما تُقطَع الزهرة، فإن رائحتها تبقى، وعندما تُعصَر تزداد رائحتها انتشاراً، وحتى إذا مُزِّقَت لا تفقد رائحتها، **وهكذا أيضاً الرب يسوع على خشبة الصليب لم يرتعب عندما سُمِّر بالمسامير، ولا أُغمى عليه، وعندما مُزِّق بطعنة الرمح صار أجمل بالدم الذي سال منه، بل ظهر هادئاً مثل هدوء الزهرة، ومنه فاحت رائحة الحياة التي لا تموت، فوَهَبَ الموتى عطية الحياة الأبدية**. وعلى هذه الزهرة من الجذر الملوكي استقر الروح القدس واستراح.

٤٠- الجذر الصالح حسب اعتقادنا هو جسد الرب الذي قام من تراب الأرض، ونما إلى السماء، وحمل للعالم كله رائحة الإيمان العطرة وأسرار الميلاد الإلهي، وسَكَبَ من السماء النعمة على المذابح السماوية.

٤١- **وهكذا لا يمكن أن نشك في أن الروح القدس هو خالق؛ لأنه هو الذي كوَّن جسد الرب في تجسده**. ومَن يمكنه أن يشك في هذا وهو مدون في بداية الإنجيل أن ولادة يسوع المسيح كانت هكذا: "عندما كانت مريم مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا حبلت بالروح القدس" (متى ١: ١٨).

٤٢- ورغم أن كل النسخ اللاتينية تقرأ: "من الروح القدس - De Spirtu"

إلا أن النص اليوناني الذي عنه تُرجِم النص اللاتيني "ek pneumatos agiou" أي "ex spiritu sancto"؛ لأن "مِن" تعني إما من الجوهر أو من القوة. وعن الجوهر قال الابنُ: "خرجت من عند العلي" (حكمة سليمان ٢٤: ٣)، أي مثل الروح القدس "الذي من عند الآب ينبثق" (يو ١٥: ٢٦). وعنه قال الابن: "ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي" (يو ١٦: ١٤)، ولكن القوة واحدة لأنه مكتوب: "إله واحد الآب الذي منه كل الأشياء" (١كو ٨: ٦).

٤٣- كيف حبلت مريم بطفلٍ بالروح القدس؟ هل تحوَّل الروح القدس إلى عظام ولحم؟ بكل تأكيد لا. ولكن إذا كانت العذراء قد حبلت بعمل وقوة الروح القدس، فمَن يقدر أن ينكر أن الروح القدس خالق؟

٤٤- كيف أعلن أيوب أن الروح القدس هو خالقه. "روح الرب جبلني" (أيوب ٣٣: ٤)، وهكذا بكلمات قليلة أعلن لنا أنه إلهٌ وخالقٌ. فإذا كان الروح القدس هو خالقٌ، فهو بكل تأكيد ليس مخلوقاً؛ لأن الرسول فَصَلَ بين الخالق والمخلوق بقوله: "عبدوا المخلوق دون الخالق" (رو ١: ٢٥).

السجود للروح:

٤٥- فالرسول يعلِّم بأن السجود هو للخالق فقط بإدانته الذين يعبدون المخلوق، ونحن نعبد الخالق وحده. ولأن الرسول عرف بأن الروح القدس هو الخالق علَّمنا بأننا يجب أن نسجد له قائلاً: "احترسوا من الكلاب، احترسوا من فعلة الشر، احترسوا من الذين هم من الختان، لأننا نحن الختان الذين نعبد الله بالروح ونفتخر بالمسيح يسوع .." (فيلبي ٣: ٢و٣).

٤٦- وإذا ثار جدلٌ بيننا بسبب اختلاف الترجمات اللاتينية التي اخترع بعضها الهراطقة أنفسهم، فعليهم بالرجوع إلى الأصول اليونانية حيث كتب " oi pneumati theon Latrenontes" وترجمة هذا هي: "نخدم (نعبد) روح الله".

٤٧- فإذا قال الرسول نفسه إننا **يجب أن نعبد الروح، وهو نفسه الذي يحذِّر من عبادة المخلوق دون الخالق، فبدون شك، يعلن أن الروح القدس هو الخالق، وأنه يُعبَد ويُكرَّم بالكرامة اللائقة للاهوت الأزلي**، لأنه مكتوب: "للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" (متى ٤: ١٠).

الفصل السادس

الريح والروح في نبوة عاموس

٤٨- وطبعاً لم أنسَ أن بعض الهراطقة الذين لا يؤمنون بأُلوهية الروح القدس ويحاولون الادعاء بأنه مخلوقٌ، ويسند أغلبهم هذا الرأي الكافر بفقرة وردت في نبوة عاموس، حيث يتكلم النبي عن هبوب الريح، وهو المعنى الظاهر بوضوح في كلمات النبي. ويمكنك أن تقرأ هذه الكلمات: "هوذا أنا الرب الذي يؤسِّس الرعود، ويخلق الريح، ويعلن للإنسان مسيحه، واضع النور والضباب، وأصعد إلى المرتفعات، الرب الإله ضابط الكل اسمه" (٤: ١٣ الفولجاتا).

٤٩- وإذا احتجوا بهذا البرهان وقالوا إن الريح الذي خُلِق هو الروح القدس، فإن سفر عزرا يعلِّمنا أن الريح خُلِق، ويقول في الكتاب الرابع: "وفي اليوم الثاني خَلَقتُ روحَ الجلد" (٤ عزرا ٦: ٤١)، وطبعاً يقصد عزرا "الريح"، أما في نبوة عاموس فإنه لا يقصد مطلقاً أن يشرح ترتيب أيام الخليقة، فالنصُّ لا يُظهِر هذا بالمرة.

٥٠- يبدأ النص بقوله: "هوذا أنا الرب الذي يؤسَّس الرعود ويخلق الريح"، وترتيب الكلمات يعلِّمنا ما يلي: لو كان يريد أن يتكلم عن الروح القدس لَمَا بدأ بالكلام عن الرعود أولاً؛ لأن الرعود ليست أقدم من الروح القدس، ومهما زاد كفر الهراطقة، فإنهم لا يمكنهم الادعاء بأن الرعود أقدم من الروح القدس. وإذا قرأنا بقية النص عن النور والضباب، ألا نتأكد من أن ما قيل هو عن خلق هذا الكون؟ ونحن نعلم من مشاهدتنا اليومية أنه عندما تأتي العواصف، فإن الرعود تبدأ أولاً، وبعد ذلك الريح الشديد، وبعدها تَسوَّدُ السماء وتُظلِم بالضباب وتظهر البروق في الظلمة. وأحياناً الرياح الشديدة تُسمَّى بالأرواح كما هو مكتوب في المزمور: "يمطر على الأشرار فخاخاً ناراً وكبريتاً وروح العواصف" (١١: ٦).

٥١- ولكي تعرف وتتأكد من أنه يقصد الريح بالروح يقول النبي: "يؤسِّس الرعود ويخلق الريح"، وهذه تُخلَق عندما تثور العواصف. لكن الروح القدس هو الروح الأزلي. وإذا تجاسر أحدٌ وقال إنه مخلوق، فلا يمكن لأحدٍ أن يدعى بأنه يُخلَق في كل يوم مثل العواصف والريح الشديد. **وهكذا أيضاً تقول الحكمة عن سر التجسد: "الرب خلقني" (أمثال ٨: ٢٢)، ومع أن هذا نبوةً عما سيأتي، ولكن لأن مجيء الرب كان مقرراً سابقاً، لذلك لم يُوصَف بأنه "يُخلَق، بل خلقني"**، لكن يؤمن الناس أن جسد يسوع وُلِدَ من العذراء مريم مرةً واحدةً، وفي زمانٍ محددٍ، وليس عدة مرات متعاقبة.

٥٢- فإذا كان ما يعلنه النبي هو ما يحدث فعلاً كل يوم كعملٍ من أعمال الله، أي أنه يخلق الرعد والريح، فإنه مِن الكفر أن نتصوَّر أو نفهم هذا عن الروح القدس، الذي لا يستطيع الجاحدون أنفسهم أن ينكروا أنه كائنٌ قبل خلق الكون نفسه. وهكذا بتقوى خاشعة نشهد أن الروح كائن دائماً وإلى الأبد. **ومن المستحيل أن نتصوَّر أن مَن كان يرف على وجه المياه قبل خلق الكون، صار بعد ذلك منظوراً مثل الريح الشديدة بعد خلق الكون**، وإلا تصوَّرنا أنه توجد عدة أرواحٍ مقدسةٍ تُخلَق في كل يوم حينما تهب العواصف. يا ليت كل عاقل لا يدنس نفسه بهذا الكفر ويدَّعى بأن الروح القدس يُخلَق في كل يوم عندما تهب عاصفةٌ. وأنا لا أفهم كيف يمكن أن يُخلَق الروح القدس في كل يوم، إلا إذا كان هؤلاء يؤمنون بأنه يموت، ولذلك يُخلَق في كل يوم. ولكن كيف يمكن أن يموت روح الحياة؟ فإذا كان لا يموت، فلا يوجد سبب يدعونا إلى أن نعتقد بأنه خُلِق على الاطلاق.

٥٣- أما الذين يعتقدون عكس الإيمان السليم يسقطون في الكفر لأنهم لا يميّزون بين الروح القدس والمخلوقات. وبعضهم لا يميّز الروح القدس كما لا يميّزون الكلمة. الذين يظنون أن الله يرسل الكلمة ويعود إليه، والروح الذي ينبثق منه يتصوَّر الهراطقة أنه يذوب في الله، وهكذا يُرسَل إلينا ثم يذوب[١]. وهكذا يتغيَّر إلى عدة صور

(١) هذا تعليم جماعة صغيرة في داخل الهرطقة من أتباع سابليوس الذين يقولون إن المسيح كان واحداً مع الآب وصدر

وأشكال. **أما الإيمان السليم فيقوم على التمايُز الدائم بين الآب والابن والروح القدس، وعلى أساس التمايُز تقوم وحدة الجوهر بلا تغيير، بل دائماً لها قوة واحدة.**

٥٤- وإذا ظنَّ أحدٌ أن كلمات عاموس النبي هي عن الروح القدس لأن بقية النص تقول: "ويعلن للإنسان مسيحه"، فإننا سوف نشرحها بدون صعوبة من خلال فهمنا لتجسد الرب نفسه. وإذا كانت عبارة النبي تزعجك: "مؤسِّس الرعد وخالق الروح"، وأن هذه العبارة لا يمكن شرحها بواسطة سر اتحاده بالطبيعة الإنسانية، فما عليك إلا أن تقرأ بقية الأسفار المقدسة لتعلم أن كل الفقرات التي سببت مشاكل للهراطقة هي في الحقيقة تعلن سر المسيح الفائق وأنه هو، أي المسيح هو الذي أسَّس الرعد عندما تجسد، أي قوة وصوت الأسفار الإلهية، وهو ما جعل عقولنا ترتعب من الدهشة حتى نتعلم كيف نخاف وأن نحترم الأقوال السماوية.

٥٥- وأخيراً، إن أخوة الرب في الأناجيل قد دُعُوا "أبناء الرعد"، بل عندما تكلم الآب قائلاً: "مجَّدت وسوف أُمجد ايضاً" (يو ١٢: ٢٨)، قال اليهود إنه حدث رعدٌ، ورغم أنهم لا يؤمنون لأنهم لم يقبلوا عطية الحق، إلا أنهم اعترفوا بالسر بدون إرادتهم رغم جهلهم به، فشهدوا شهادةً عظيمةً عن الآب والابن. وفي سفر أيوب يقول: "ومَن يقدر أن يفهم رعد جبروته إذا جاء" (٢٦: ١٤ س). وبكل يقين إذا كانت هذه الكلمات تُفهَم على أنها رعود السموات في العواصف، لَكان قد قال إنها معروفةٌ، أما وأنه أشار إلى أنها ستحدث، فإنه كان يخبر بأمرٍ آتٍ.

٥٦- ولذلك كانت الرعود المقصودة هي كلمات الرب التي وصلت إلى أطراف المسكونة، وهكذا يمكننا أن نفسر كلمة "روح" في نبوة عاموس بالنفس الإنسانية التي أخذها، والتي لها عقلٌ كاملٌ؛ لأن الاسفار تصف نفس الإنسان أحياناً بالروح حسبما

منه وتجسد وصُلِب، وبعد ذلك عاد إليه وذاب فيه كما كان ذائباً فيه قبل صدوره من الآب (شرح الإيمان المسيحي ٥: ١٦٢).

نقرأ: "الذي يخلق روح الإنسان فيه" (زكريا ١٢: ١). وأوضح الرب أن نفسه هي روح عندما قال: "في يديك أستودع روحي" (لوقا ٢٣: ٤٦).

٥٧- ولكي تعلم أن نبوة عاموس هي عن نزول يسوع، أضاف النبي: "ومعلنٌ للإنسان مسيحه". وقد تم هذا في معموديته عندما أعلنه قائلاً: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" (متى ٣: ١٧). وأعلنه في آلامه عندما أخفت الشمس نفسها واضطربت الأرض والبحر. وأعلنه لقائد المئة عندما قال: "حقاً كان هذا ابن الله" (مرقس ١٥: ٣٩).

٥٨- وهكذا، علينا أن نأخذ هذه الفقرة من نبوة عاموس إما على أنها خاصة بما نحن فيه، أي الحياة التي نحياها والنفس التي تتنفس فينا، أو أنها عن سر جسد الرب. ولو كانت هنا أي إشارة إلى أن الروح القدس قد خُلِق، لوجدنا في الأسفار المقدسة ما يؤيد ذلك من نصوص أخرى، ومثلما نقرأ عن تجسد ابن الله الذي يُوصَف في مواضعَ أخرى بأنه صار وخُلِق، أي تجسد.

٥٩- ولكن من اللائق أن نؤمن أيضاً بعظمته الإلهية عندما نؤمن أيضاً بنفس حقيقة تجسده، لكي ندرك أن تجسده هو إعلانٌ عن قوته الإلهية. وكما نقرأ **أن الآب هو الذي خَلَق سر تجسد الرب وأن الروح خَلَق أيضاً ذات السر، وأيضاً المسيح نفسه خَلَق جسده**، وعن خلق الآب لجسده قيل: "الرب خلقني أول طريقه" (أمثال ٨: ٢٢) وفي موضع آخر: "أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة تحت الناموس" (غلا ٤: ٤)، والروح خلق السر كله حسبما نقرأ: "مريم وُجِدَت حبلى من الروح القدس" (متى ١: ١٨).

٦٠- وهكذا نجد أن الآب خَلَق، أما عن الابن فقد قيل إنه خَلَق جسده؛ لأن سليمان يقول: "الحكمة صَنَعَت (خلقت) بيتها" (أمثال ٩: ١)، فكيف يكون الروح القدس مخلوقاً، وهو خالق الكل وخالق سِرِّ تجسد ربنا؟

٦١- وكما شرحنا سابقاً (الفصل الخامس)، وبشكلٍ عام، فالروح القدس هو خالقنا وخالق إنساننا الخارجي، أي الجسد. وعلينا الآن أن نرى أنه هو خالق إنساننا الداخلي حسب سر النعمة. وكما أن الآب يخلق والابن يخلق، كذلك الروح القدس يخلق؛ لأننا نقرأ في كلمات بولس: "وهذه هي عطية الله، ليس بأعمالٍ لكي لا يفتخر أحد، لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة" (أف ٢: ٨).

الفصل السابع

الروح والإنسان الجديد

٦٢- وهكذا يخلق الآب أعمالاً صالحة، والابن أيضاً لأنه مكتوب: "وأما كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي الذين يؤمنون باسمه، الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله" (يو ١: ١٢ و١٣).

٦٣- وبنفس الأسلوب يشهد الرب نفسه بأننا نُولَد من جديد بالروح حسب النعمة قائلاً: "المولود من الجسد جسدٌ هو لأنه مولود من جسد، والمولود من الروح روح هو لأنه مولود من الروح؛ لأن الله روح، لا تتعجب لأنني قلت لك إنك يجب أن تولد مرةً ثانيةً، الروح يهب حيث يشاء، وتسمع صوته ولكنك لا تعرف من أين يأتي ولا إلى أين يذهب هكذا كل من ولد من الروح".

٦٤- وهكذا بكل وضوح يظهر أن الروح القدس هو مؤسِّس النعمة التي تُعطى لكل روح؛ لأننا خُلِقنا حسب صورة الله، ولكي نكون أبناء الله. وهكذا عندما أدخَلَنا إلى ملكوته بالتبني في الميلاد المقدس، فهل ننكر مَن له كل هذا؟ لقد جعلنا ورثة الميلاد الجديد من فوق، فهل نأخذ الميراث ونرفض صاحبه؟ ولكن الميراث لا يمكن أن يبقى إذا طُرد صاحبه خارجاً، فلا صاحب ميراث بلا عطية، ولا عطية بلا صاحبها. إذا نلت النعمة آمن بالقوة، إذا رفضت القوة لا تسأل عن النعمة. الذي ينكر الروح القدس قد أنكر في نفس الوقت النعمة، أما إذا كان صاحب النعمة لا شيء، فكيف تصبح عطاياه ذات قيمة أو ثمينة؟ لماذا تحتقرون النعمة التي تنالونها، وتقضون على رجائنا وتهينون كرامتنا. وتنكرون معزينا؟

٦٥- ولكننا نحن لا نقدر أن ننكره، لا يليق بنا أن ننكر ذاك الذي هو عظيم كإله لأن الرسول يقول: "ولكن أنتم أيها الأخوة مثل اسحق، أبناء الموعد، ولكن كما

حدث في ذلك الزمان أن المولود حسب الجسد اضطهد الذي حسب الروح" (غلا ٤: ٢٨ و٢٩). هكذا نفهم مما سبق وقلناه أن المولود من الروح مولودٌ من الله. ونحن نولد الآن مرةً ثانيةً عندما تتجدد حياتنا داخلياً ونطرح الإنسان العتيق الخارجي، والرسول يضيف إلى ذلك: "لكن تجدَّدوا بروح ذهنكم والبسوا الإنسان الجديد المخلوق حسب الله في الحق والبر والقداسة" (أف ٤: ٢٣ و٢٤)، وعليهم أن يعرفوا كيف تعلن الأسفار وحدة العمل الإلهي، فالذي يتجدد بروح ذهنه قد لبس الإنسان الجديد المخلوق حسب الله.

٦٦- وكيف يمكن لأيٍّ من الناس أن يشك في أن الميلاد الثاني هو عمل الروح القدس، **وأن الروح القدس هو خالق الإنسان الجديد المخلوق حسب صورة الله الذي هو أفضل بكثير من إنساننا الخارجي**. لقد كشف الرسول عن أن الأول سماوي والثاني أرضي بقوله: "وكما السمائيون هكذا السماوي" (١كو ١٥: ٤٨).

٦٧- فإذا كانت عطية الروح القدس تخلق ما هو سماوي، فهي تستطيع أن تخلق ما هو أرضي، وهذا ما يفرضه المنطق نفسه، دون أن تبرهن عليه. وفي موضعٍ معين يقول القديس أيوب: "حيٌّ هو الله الذي يقاضيني والقدير الذي أمر نفسي لأن روح الله في أنفي" (ايوب ٢٧: ١ و٢). وهنا كلمة "روح" لا تعني النَفَس الحيوي الذي نتنفسه والذي يقوم به الجسد بواسطة الأنف، وإنما أنف الإنسان الداخلي الذي جمع عطر الحياة وجذب له نعمة المسحة السماوية، وهذا له معنى مزدوج.

٦٨- وتوجد أنفٌ روحية عندما تقول عروس الكلمة له: "رائحة أنفك كالتفاح" (نشيد ٧: ٨). وفي موضعٍ آخر: "فتنسَّم الربُّ رائحة الرضا" (تك ٨: ٢١). **إذن توجد أعضاء داخلية للإنسان الداخلي، ويداه هما العمل، وأذناه الفهم، وقدماه هما النمو في العمل الصالح**. وهكذا من العمل الداخلي للروح القدس، نفهم ما هو شكل هذه الأعضاء، لأنه لا يجوز لنا أن نتصوَّر الإنسان الداخلي بشكل جسداني أرضي.

٦٩- وإذا تصوَّر البعضُ أن الله مكوَّنٌ من شكلٍ مادي جسداني عندما يقرأون

في الكتاب المقدس عن يديه وأصابعه، فهم لا يفهمون أن هذه الأمور لم تُكتَب لأن الله له جسد؛ لأنه لا توجد أعضاء في اللاهوت ولا أجزاء، وإنما هي تعبيرات إنسانية عن وحدة جوهر اللاهوت، وحتى نؤمن بأنه من المستحيل أن ينفصل الابن أو الروح القدس عن الله الآب، لأن ملء اللاهوت هو واحد في الثالوث مثل وحدة الجسد الواحد. ولذلك قيل إن الابن هو اليد اليمنى للآب، حسبما نقرأ: "يمين الرب صَنَعَت أعمالاً عجيبة. يمين الرب رفعتني" (مز ١١٨: ١٦).

الفصل الثامن

"في الروح القدس" = "مع الروح القدس"

٧٠- وماذا نفعل إذا كان الناس الأغبياء يجادلون في كلمة من الكلمات وأحياناً في مقطع من كلمة؟ البعض يفضِّلون التمييز بين "في" و"مع"، وأن الله يجب أن يُسبَّح في الروح القدس، وليس "مع" الروح القدس. وأن عظمة الله يمكن إثباتها بحرف جر مثل حرف "في"، وبالتالي إذا كان الله يُمجَّد "في" الروح القدس، فإن هذا يعطي وظيفةً خاصةً للروح القدس. أمَّا إذا كان المجد يقدَّم لله "مع" الروح القدس، فإنهم يقولون إن هذا يعني شركة واحدة للآب والابن والروح القدس.

٧١- ولكن مَن يمكنه أن يفصل ما لا يمكن فصله؟ ومَن يقسِّم ذاك الذي أعلن المسيحُ أنه لا يمكن تقسيمه؟ لقد قال: "اذهبوا وعمِّدوا كل الأمم باسم الآب والابن والروح القدس" (متى ٢٨: ١٩). فهل غيَّر كلمةً أو أضاف حرفَ جرٍ خاصٍّ بالآب والابن والروح القدس؟ بكل تأكيد لا. ولكنه يقول باسم الآب والابن والروح القدس. والتعبير واحد عن الروح، وهو بذاته عن الآب والابن. ومِن هذه الصيغة لا يبدو مطلقاً أنه توجد وظيفة خاصة بالروح القدس، وإنما شركة في ذات المجد، أو شركة في ذات العمل إذا استُخدِم حرف الجر "في" كما في "في الروح".

٧٢- وهكذا اعتبر أن كل من يعطي حروف الجر هذه الأهمية، إنما يجرح الإيمان بالآب والابن؛ لأن الابن لم يقل: "عمِّدوهم مع اسم الآب والابن والروح"، بل "باسم"، ولا يوجد هنا وظيفة خاصة بأقنوم معيَّن، وإنما قوة الثالوث الواحدة التي يعبِّر عنها حرف الجر الواحد المستخدم في صيغة التعميد.

٧٣- **وأخيراً، أن حرف الجر ليس هو الذي يحدد الإيمان، وإنما العكس، أي أن الإيمان هو الذي يحدد الاستعمال الصحيح لحرف الجر**، وعلى سبيل المثال يتكلم

بولس: "في المسيح"، وهذا لا يعني أن المسيح أقل لأن بولس يتكلم "في المسيح" حسبما تجد: "نتكلم أمام الله في المسيح" (٢كور ٢: ١٧). وكما قال هو نفسه إنه يتكلم في المسيح، فهو أيضاً يتكلم في الروح القدس عندما يتكلم في المسيح: "لا يقول أحد يسوع الرب إلا بالروح القدس" (١كور ١٢: ٣). وهنا لا نجد أي إشارة عن خضوع الروح القدس، بل عن وحدة النعمة.

٧٤- ولكي ما نتأكد **أن التمييز بين الأقانيم لا يعتمد على حروف الجر** يقول الرسول في موضعٍ آخر: "وهكذا كان أُناسٌ منكم. لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع المسيح وبروح إلهنا" (١كو ٦: ١١). وما أكثر النصوص التي تشير إلى هذه الحقيقة والتي أستطيع أن أقتبسها، ولكنني اكتفي بما هو مكتوب: "لأنكم واحدٌ في المسيح يسوع" (١كور ١: ٢)، وأيضاً: "لكي نكون بر الله فيه" (٢كو ٥: ٢١). وفي موضعٍ آخر: "لئلا تفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح" (٢كو ١١: ٣).

٧٥- ولكن ماذا أفعل الآن؟ لأنه بينما أُقدِّم النصوص التي توضح أن كل ما قيل عن الابن، قيل عن الروح القدس أيضاً، يظن الهراطقة أنني أتفق معهم في رأيهم؛ لأن إثبات هذه النقطة الخاصة بوحدة عمل الابن والروح القدس، يجعلهم يقولون إنهم يعتقدون بأن الابن أقل في الكرامة من الآب، وأنه أقل لأن ما قيل عن الابن قيل عن الروح القدس. ولذلك يسألون: هل ما قيل مكتوب عن الله الآب؟

٧٦- يا ليتهم يعرفون أن نفس الكلام يقال عن الله الآب أيضاً: "في الرب سوف أفتخر بكلامه" (مز ٥٦: ٤)، وأيضاً: "بالله نصنع ببأسٍ" (مز ٦٠: ١٢)، وأيضاً في موضعٍ آخر: "بك تسبيحي دائماً" (مز ٧١: ٦). وأيضاً: "باسمك يبتهجون اليوم كله" (مز ٨٩: ١٦). وأيضاً: "لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة" (يو ٣: ٢١)، وبولس يقول: "في الله خالق كل الأشياء" (أف ٣: ٩). وأيضاً: "بولس وسلوانس وتيموثاوس إلى كنيسة التسالونيكيين في الله الآب والرب يسوع المسيح" (٢ تسا ١: ٢).

وفي الإنجيل: "أنا في الآب والآب فيَّ، والآب الحال فيَّ" (يو ١٤: ٣٠). ومكتوبٌ أيضاً: "وأما من افتخر فليفتخر في الرب" (٢كو ١٠: ١٧). وفي موضعٍ آخر: "حياتنا مستترة مع المسيح في الله" (كول ٣: ٣)، وفي هذه الفقرة بالذات، هل أُعطيَ للابن أكثر مما أعطاه للآب عندما قال إننا: "مع المسيح في الله"؟ وهل حالتنا تكون أفضل بدون نعمة الروح القدس، فنكون مع المسيح في الله، ولا يكون الروح القدس في الله أيضاً؟

وعندما أراد المسيح أن يكون معنا كما قال هو نفسه: "أيها الآب أُريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا" (يو ١٧: ٢٤)، فهل كان يرفض أن يكون مع الروح القدس؟ مكتوبٌ: "باسم ربنا يسوع المسيح إذ أنتم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح" (١كو ٥: ٤)، فهل نجتمع بقوة ربنا يسوع المسيح ونتجاسر أن نقول إن الرب يسوع لا يشاء أن يكون حاضراً مع الروح القدس الذي لا يرفض أن يكون معنا عندما نجتمع؟

٧٧- **وهكذا يظهر أن الرسول لا يفكر كثيراً في حروف الجر التي يستعملها، بل أن واو العطف وحروف الجر لا تعني الانفصال، ولو كانت تعني الانفصال ما كانت قد سُمِّيَت واود العطف.**

٧٨- ما هي الدوافع الحقيقية التي تجعلكم **تقولون لله الآب أو للمسيح المجد والحياة والعظمة والقوة في الروح القدس، وترفضون أن تقولوا مع الروح القدس؟** هل أنتم تخافون من شركة الروح مع الآب والابن؟ ولكن اسمعوا ما هو مكتوب عن الروح: "لأن ناموس الروح في المسيح يسوع" (رو ٨: ٢). وفي موضعٍ آخر يقول الله الآب: "سيسجدون لك وفيك يقدمون التضرعات" (أشعياء ٤٥: ١٤س)، فالله الآب يقول إنه علينا أن نقدم تضرعاتنا في المسيح، فهل تظنون أنها إهانةٌ للروح القدس، إذا كان التمجيد للمسيح يقدم في الروح القدس؟

٧٩- اسمعوا، أنتم تخافون الاعتراف بالروح، أمَّا الرسول فهو لا يخاف من الاعتراف به، بل يتمناه لنفسه: "لي اشتهاء أن أكون مع المسيح ذاك أفضل" (فيلبي ١:

٢٣). فهل تنكرون الروح القدس مع المسيح وهو الذي جعل الرسول مستحقاً أن يكون مع المسيح؟

٨٠- ما هو سبب خوفكم من أن تقولوا إن الله أو المسيح يتمجد بالروح، وليس مع الروح؟ هل لأنكم لو قلتم بالروح يصبح الروح أقل من المسيح؟ ولكن ادعاءكم بأن الرب أقل أو أعظم هو مسألة يمكن تفنيدها لأننا نقرأ: "وقد صار المسيح لأجلنا خطيةً لكي نكون نحن بر الله فيه" (٢كو ٥: ٢١)، وبهذا قد صار هو الرأس، وقبله كنا نحن في أردأ حال. وهكذا أيضاً في موضعٍ آخر تقرأ: "فيه كل الأشياء تستمر في البقاء" (كول ١: ١٧)، أي تبقى بقوته. والأشياء التي تستمد بقاءها منه لا يمكن أن تكون أعظم منه، بل لا يمكن حتى مقارنتها به؛ لأن كل الكائنات تنال من قوته، جوهرها الذي به تحيا.

٨١- وبعد ما ذكرناه، هل يمكن أن يُفهَم أن الله يملك كل الأشياء في الروح القدس وأن قوة الروح القدس هي المصدر الذي منه يأخذ الله ملكوته؟ هذا كفرٌ. وهكذا كتب الذين سبقونا[١] عن وحدة قوة الآب والابن والروح القدس عندما أكَّدوا أن مجد المسيح هو مع الروح القدس، فأعلنوا بذلك وحدة الجوهر بلا انفصال.

٨٢- وكيف يمكن أن نفصل الروح القدس عن الابن، وقد قيل: "الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أبناء الله، وإن كنا أبناء، فنحن ورثة، بل ورثة الله ووارثون مع المسيح" (رو ٨: ١٦ و١٧)، فمن هو الأحمق الذي يتجاسر ويفصل وحدة الروح والمسيح، ونحن بالروح القدس نصير ورثةً مع المسيح، فهل نصير ورثةً بالذي قد فصل عنه؟

٨٣- يقول الرسول: "إن كنا نتألم معه فلكي نتمجد معه" (رو ٨: ١٦، ١٧)، فإن كنا نتمجد مع المسيح بالروح القدس، فكيف نسمح لأنفسنا بألا نمجِّد الروح القدس

---

(١) الروح القدس للقديس باسيليوس، ترجمة وتعريب دكتور جورج حبيب بباوي، ٣: ٢٩، جذور للنشر، القاهرة، ٢٠١٤.

مع المسيح؟ وهل نفصل حياة المسيح عن حياة الروح القدس، رغم أن الروح القدس يقول إننا سوف نحيا مع ابن الله؟ فالرسول يقول: "فإن كنا أمواتاً مع المسيح، فإننا نؤمن أننا نحيا معه"، وأيضاً يقول: "فإن كنا نتألم معه سوف نحيا معه، ولن نحيا معه فقط ولكن سوف نتمجد معه ولن نتمجد معه فقط بل أيضاً نملك معه أيضاً" (٢ تيمو ٢: ١١-١٢).

٨٤- لا انقسام يظهر في استعمالات حروف الجر وواو العطف في النصوص التي اقتبسناها. بل أحياناً نجد في الأسفار المقدسة أن أحد حروف الجر قد استُعمِل وحرفٌ آخر صار مضمراً حسبما هو مكتوب: "أدخل إلى بيتك ذبيحة محرقة" (مز ٦٦: ١٣)، أي أنه سوف يدخل "بذبيحة محرقة". وفي موضعٍ آخر: "واشتراهم بذهب وفضة"، أي "بذهب وبفضة" (مز ١٠٥: ٣٧). وفي موضعٍ آخر يقول: "هل لا تخرج معنا في جيوشنا"، والمقصود طبعاً هو "مع جيوشنا" (مز ٤٤: ١٠). وهكذا، في كل هذه التعبيرات والاستعمالات، لا يوجد إكثار أو إقلال من المجد، ولا يجب الاستدلال على قلة كرامة أو نقص في اللاهوت، بل يجب أن يؤمن الإنسان بقلبه للبر، ومن إيمان القلب يعترف الفم للخلاص. أمَّا الذين لا يؤمنون بقلوبهم، فهم ينشرون عدم الإيمان بأفواههم.

الفصل التاسع

استخدام حروف الجر "منه"، و"به"، و"فيه"

٨٥- وتوجد فقرة أخرى تشبه نبوة عاموس ويحاول الهراطقة أن يستدلوا منها على وجود فرق بين الروح القدس والآب والابن. وقد قيل في هذه الفقرة: "لكن لنا إلهٌ واحد الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له. وربٌّ واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به" (١كو ٨: ٦). وهم يدَّعون أن "منه" تعني المادة التي منها صُنِعت الأشياء، بينما "به" تعني أداة العمل أو الوظيفة، أما إذا قيل: "فيه"، فالمقصود هو المكان أو الزمان الذي فيه خلقت كل الكائنات المرئية.

٨٦- وهكذا صارت رغبتهم إثبات الفرق بين جوهر الآب والابن والروح القدس، وصاروا متشوقين إلى إثبات ذلك من الادعاء بالفرق بين "الأداة" و "الصانع"، وأيضاً بالفرق بين الزمان والمكان والأداة. ولكن حسب هذه الادعاء، هل تصبح طبيعة الابن غريبةً عن طبيعة الآب لأن الأداة لا تنتمي إلى طبيعة الصانع؟ وهل يصبح الابن غريباً عن الروح القدس لأن الزمان والمكان ليس من ذات طبيعة الأداة؟

٨٧- لنقارِن الآن هذه الادعاءات، إنهم يدعون أن المادة "منه"، أي من الله، أي كما لو كانت من طبيعة الله، فإذا صَنع دولاب ملابس من الخشب أو تمثالاً من الحجر، فحسب منطق هؤلاء يصبح الدولاب والتمثال من الله. وبقية الادعاء أن المادة صُنِعت بواسطة الابن، أي أن الابن أداة، وبذلك يدَّعون بأن الابن ليس هو الصانع، وأن كل الأشياء صُنعت في الروح القدس، كما لو أنه قد صار الروح القدس الزمان والمكان، وبذلك ينسبون كل شيء في الخليقة إلى كل أقنوم على حدة، كما لو كان كل أقنوم منفصل عن الآخر، وهم بذلك ينكرون وحدة الأقانيم.

٨٨- ولكننا سوف نبرهن أن كل شيء هو من الله الآب، وأن الله لم يفقد شيئاً

إذا كانت كل الأشياء به أو فيه مع أن كل الأشياء ليست منه، أي صادرة منه هو، **وكذلك أيضاً كل الأشياء هي بالرب الابن، حتى لا تُحرَم الكائنات من الابن، بل هي من الابن وفيه. وأيضاً نعلم أن كل الأشياء هي بالروح القدس ومن الروح القدس.**

٨٩- وحروف الجر السابقة التي أشرنا إليها كثيراً ما تُستَخدم ويحل واحدٌ منها محل الآخر دون أن يتغير المعنى. وندرك ذلك من قول الرسول نفسه، فهو يذكر أن كل الأشياء من الله، وأن كل الأشياء بالابن، لا لكي يعلّمنا أن جوهر الآب مختلف عن جوهر الابن، بل لكي يؤكد لنا تمايز الأقانيم وأن الآب أُقنوم غير أُقنوم الابن. **ومن ذلك ندرك أن حروف الجر لا تُستَعمل ضد بعضها، بل هي تخدم هدفاً واحداً، بل أحياناً تُستخدم حروف الجر متتابعة لأقنوم واحد كما هو مكتوب: "منه وبه وفيه كل الأشياء"** (رو ١١: ٣٦).

٩٠- ولكن إذا دققت النظر في هذه الفقرة، سوف تعرف من أين اقتُبِست وأنها قيلت عن الابن. فالرسول يقول حسب نبوة أشعياء: "من عرف فكر الرب أم من صار له مشيراً" (أشعياء ٤٠: ١٣)، وبعد ذلك يضيف: "لأن منه وفيه كل الأشياء". وقد قال أشعياء ذلك عن خالق كل الأشياء حسبما نقرأ: "مَن الذي قاس الماء بيده، وقاس السموات بالشبر، وكال بالكيل تراب الأرض، ووزن الجبال بالقبان، والآكام بميزان، مَن عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً" (أشعياء ٤٠: ١٢-١٣).

٩١- وبعد ذلك أضاف الرسول: "لأن منه وبه وفيه كل الأشياء". **وما معنى "منه"؟** إنها تعني أن طبيعة كل الأشياء بإرادته، وأنه خالق كل الأشياء التي جاءت من العدم. **وما معنى "به"؟** إنها تعني أن دوام الكائنات وثباتها في البقاء هو عطية منه. **وما معنى "فيه"؟** إنها تعني أن كل الكائنات باشتياقٍ شديدٍ لله، وبعطشٍ عجيبٍ ومحبةٍ لا يُنطق بها تتطلع نحو خالق حياتهم وواهب عطاياهم وطبيعتهم حسبما كُتِب: "أعين الكل إياك تترجى"، و: "أنت تفتح يديك وتشبع كل كائن حيٍّ من مسرتك الصالحة" (مز ١٤٥: ١٥، ١٦).

٩٢- وحقاً أيضاً نقول عن الآب: "منه"؛ لأن "منه" الحكمة الخالقة التي هي من جوهره والتي بإرادته خَلَقَت من العدم ما لا وجود له. وإذا قلنا "به"؛ فلأن كل الأشياء خُلِقَت بواسطة حكمته. أما "فيه"، فذلك واضحٌ لأنه هو ينبوع الحياة غير الفانية "الذي به نحيا ونتحرك ونوجد".

٩٣- وكل الكائنات تكونت أيضاً بالروح القدس، ومنه تنال القوة وتثبُت فيه، ولذلك "منه"، أي من الروح القدس ننال عطية الحياة الأبدية.

٩٤- وهكذا يتضح لنا أن حروف الجر يمكن استخدامها للآب أو الابن أو الروح القدس، دون أن يعني ذلك أن حرفاً معيناً يعني مكانةً أقل لأيٍّ من الأقانيم، بل لأننا نقول إن كل الكائنات من الابن وهي بالآب. ولذلك تجد أنه مكتوب عن الابن: "لكي ننمو في كل شيء فيه الذي هو الرأس المسيح الذي منه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصل ينمو نمواً في الله" (أف ٤: ١٥ و١٦). وقد قلنا سابقاً إن المسيح هو رأس الكنيسة، وفي مكان آخر قيل: "ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا" (يو ١: ٢٦)، والرب نفسه قال: "سوف يأخذ مني ويعلن لكم" (يو ١٦: ١٤)، وقبل ذلك قال: "علمت أن قوةً قد خرجت مني" (لوقا ٨: ٤٦).

٩٥- وفي إطار ما ذكرناه ولكي تدرك وحدة الأقانيم، قيل أيضاً عن الروح القدس: "الذي يزرع بالروح يحصد من الروح حياة أبدية" (غلا ٦: ٨). ويوحنا يقول: "بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه" (١يو ٤: ١٣). ويقول الملاك: "لأن الذي سيُولَد منها هو من الروح القدس" (متى ١: ٢٠) والرب يقول: "المولود من الروح هو روح" (يو ٣: ٦).

٩٦- وكما قرأنا أن كل الأشياء من الآب، هكذا أيضاً قيل إن كل الأشياء من الابن، الذي منه كل الأشياء. وتعلَّمنا من الأدلة السابقة أن كل الأشياء من الروح القدس الذي به كل الأشياء كائنة.

٩٧- يبقى علينا أن نبرهن أن كل الأشياء بالآب ومكتوب: "بولس عبد المسيح بإرادة الله" (١كو ١: ١)، وأيضاً: "إذاً لست بعد عبداً بل ابناً وإن كنت ابناً فوارث لله بالمسيح" (غلا ٤: ٧). وأيضاً: "وكما قام المسيح من الأموات بمجد الآب" (رو ٦: ٤). وفي موضعٍ آخر يقول الله الآب لابنه: "ها أنا أجعل الدخلاء يأتون إليك بواسطتي" (أشعياء ٤٤: ١٥س).

٩٨- وسوف تجد فقرات أخرى كثيرة عن الأشياء التي صُنِعَت بواسطة الآب، فهل هذا يعني أن الآب أقل من الابن والروح؛ لأن الكائنات بالابن ومن الابن؟ ألا نجد في الأسفار السماوية أن أشياءَ كثيرة قد صُنِعَت أو أُعطيت بواسطة الآب؟

٩٩- ولكن سوف تجد أشياء كثيرة نقرأ أنها صُنِعَت بواسطة الروح القدس، كما نقرأ: "ولكن الله أعلنها لنا بروحه" (١كو ٢: ١٠). وفي موضعٍ آخر: "احفظ الوديعة الصالحة بالروح القدس" (١تيمو ٦: ٢٠). وإلى الأفسسيين: "لكي تتقووا بروحه" (٣: ١٦). وإلى الكورنثيين: "لواحدٍ يعطى بالروح كلمة حكمة" (١كور ١٢: ٨)، وفي موضعٍ آخر: "ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فأنتم سوف تعيشون" (رو ٨: ١٣)، وكما ذكرنا سابقاً: "والذي أقام المسيح من الأموات سوف يحيي أجسادكم المائتة بروحه الساكن فيكم" (رو ٨: ١١).

١٠٠- وربما أراد البعض أن نبرهن من الاسفار الإلهية على أنه قيل إن كل الأشياء من الابن، أو أن كل الأشياء من الروح القدس. ولكنني أُجيب على هؤلاء قائلاً. ألم يقتنع هؤلاء بأن كل الأشياء خُلِقَت بواسطة الآب، وهو ما أثبتناه من النصوص السابقة التي أشرنا إليها والتي تؤكِّد **أن حروف الجر يمكن استخدامها للآب أو للابن أو للروح القدس. وأنه لا يمكن لأحد أن يبرهن على أنه يوجد اختلاف في القوة الإلهية بسبب استخدام حروف الجر، وأنه لا يوجد أيُّ شكٍ في أن الكائنات منه وبه وفيه، وأن اختلاف ترتيب حروف الجر "فيه وبه ومنه"، يعني أمراً واحداً، وهو أن الكائنات توجد وتبقى بواسطته.** وكل كائن يوجد بإرادة وبعمل وبقوة الثالوث، كما هو

مكتوب: "نخلق الإنسان كصورتنا وشبهنا" (تك ١: ٢٦)، وفي موضعٍ آخر: "بكلمة الرب خُلِقَت السموات وكل جنودها بروح فمه" (مز ٣٣: ٦).

الفصل العاشر

عملٌ واحدٌ للآب والابن والروح القدس

١٠١- وعمل الآب والابن والروح القدس في كل الخليقة ليس واحداً فقط، بل إرادة واحدة أيضاً هي التي تخلق وتأمر، وتعطي الوصايا، وهي ذات الإرادة الواحدة التي تراها في الأسرار العظيمة المعطية الخلاص في الكنيسة. وكما أن الآب دعا الأمم إلى الكنيسة قائلاً: "وسوف أدعو التي ليست شعبي، شعبي، ومحبوبتي وهي لم تكن محبوبتي" (هوشع ٢: ٢٣س)، وفي موضع آخر يقول: "بيتي يدعى بيت الصلاة لكل الشعوب" (أشعياء ٥٦: ٧). وهكذا أيضاً قال الرب يسوع إنه اختار بولس لكي يدعو ويجمع الكنيسة كما قال الرب لحنانيا: "اذهب لأن هذا إناء مختار لي لكي يحمل اسمي أمام الأمم" (أع ٩: ١٥).

الروح القدس يدعو:

١٠٢- وكما دعا الله الآب الكنيسة ودعاها المسيح، هكذا أيضاً يدعوها الروح القدس الذي يقول: "افرزوا ليس بولس وبرنابا للعمل الذي دعوتهما إليه"، وبعد ذلك نقرأ: "فصاموا وصلوا ووضعوا عليهما الأيادي وأرسلوهما. أما هذان إذ أُرسِلا من الروح القدس ذهبا إلى سلوكية" (أع ١٣: ٢-٤). وهكذا نال بولس وبرنابا رسوليتهما ليس فقط بإرادة المسيح، بل بإرادة الروح القدس أيضاً، وأسرعا لكي يجمعا الأمم.

١٠٣- ولم يَدعُ الروح القدس بولس فقط، بل دعا الرسول بطرس كما نقرأ في سفر الأعمال، فقد رأى أثناء صلاته السماءَ مفتوحةً وإناءً نازلاً مثل ملاءةٍ مربوطةٍ من أركانها الأربعة، وفيها كل الحيوانات من ذوات الأربع والوحوش وطيور السماء. "وصار إليه صوتٌ قم يا بطرس اذبح وكل. فقال بطرس كلا يا رب لأني لم آكل قط شيئاً دنساً

أو نجساً، فصار إليه أيضاً صوتٌ ثانيةً ما طهَّره الله لا تدنسه أنت. وكان هذا على ثلاث مرات ثم ارتفع الإناء أيضاً إلى السماء" (أع ١٠: ١١-١٦). وبينما بطرس يفكر في صمت في هذه الرؤيا، جاء خدم كرنيليوس الذين أرسلهم الملاك الذي ظهر لكرنيليوس. ولكن ماذا حدث بعد ذلك؟ لقد قال الروح القدس لبطرس: "هوذا ثلاثة رجال يطلبونك. لكن قم وانزل واذهب معهم غير مرتاب في شيء لأني أنا قد أرسلتهم" (أع ١٠: ١٩ و٢٠).

١٠٤- ما أوضح الطريقة التي أعلن بها الروح القدس قوته. أولاً لقد أوحى لبطرس بينما كان يصلي، فقد كان الروح حاضراً، كان بطرس يتوسل إلى الله، وعندما دعاه الروح أجاب: "يا رب"، ولذلك استحق رسالةً ثانيةً؛ لأنه اعترف بالروح كَرَبٍّ، ولكن الأسفار تعلن مَن هو هذا الرب، لأنه هو الذي كان يصلي له، وهو الذي استجاب له. والكلمات كافية لأن توضح كيف يُعلَن الروح القدس رباً، لأنه هو الذي دبَّر هذا السر، وهو الذي أعلنه بعد ذلك.

١٠٥- ولاحظ أيضاً أن ظهور الرؤيا له قد تكرر ثلاث مرات، وهذا يعبِّر عن الثالوث. ولذلك في أسرار الانضمام إلى الكنيسة، نسأل ثلاث مراتٍ، ونُجيبُ إجابةً كاملة ثلاث مرات، ولا يمكن لأحدٍ أن يتطهر إلا إذا اعترف ثلاث مرات. لذلك السبب أيضاً سُئِل بطرس ثلاث مرات إذا كان يحب الرب، لكي بإجاباته الثلاثة يزيل خطية الإنكار التي سقط فيها.

١٠٦- ولأن ملاكاً قد أُرسل إلى كرنيليوس، تكلم الروح القدس مع بطرس لأنه قيل: "عين الرب على أمناء الأرض" (مز ١٠١: ٦). ولم يكن بلا هدف أنه قال له: "ما طهَّره الله لا تدنسه أنت" (أع ١٠: ١٥). فقد حلَّ الروح القدس على الأمم لكي يطهرهم، وهكذا ظهر بوضوح أن عمل الروح القدس هو عملٌ إلهيٌّ. ولكن عندما أرسل الروح القدس بطرس لم يقل بطرس إنه سوف ينتظر أمر الله الآب، وإنما عَرِفَ أن هذه الرسالة من الروح نفسه، ولذلك قال بعد ذلك: "فإن كان الله قد أعطاهم نفس النعمة

التي أُعطيت لنا .. فمن أنا؟ أقادر أن أمنع الله؟" (أع ١١: ١٧).

١٠٧- إذن، إنه الروح القدس الذي خلَّصنا من دنس الأمم. **ولم تكن الحيوانات ذوات الأربع والوحوش والطيور إلا رمزاً لحالة الإنسان الذي يظهر مرتدياً افتراس الحيوانات والوحوش ما لم تتحول للوداعة وتنمو فيها بتقديس الروح القدس.** ما أعظم هذه النعمة التي تغيِّر من قساوة وافتراس الحيوانات إلى وداعة وبساطة الروح: "لأننا كنا نحن أيضاً أغبياء غير طائعين ضالين مستبعدين لشهوات ولذات مختلفة .. ولكن حين ظهر لطف الله وإحسانه لا بأعمالٍ في برٍّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس الذي سكبه علينا بغنى بيسوع المسيح مخلصنا" (تيطس ٣: ٣-٧)، وهكذا صرنا ورثة المسيح وورثةً مع الملائكة.

١٠٨- ولذلك، بعد أن رأى داود النبي بالروح القدس، أننا سوف نتغيَّر من وحوش إلى مواطنين في السماء قال: "انتهر وحوش الغابات" (مز ٦٨: ٣٠). وهو لا يعني الغابات التي تمرح فيها الوحوش وتضطرب أشجارها وتهتز من صوت زئير وصراخ الوحوش، وإنما الغابات التي كَتَبَ عنها: "وجدناه في حقول الغابات" (مز ١٣٢: ٦). هذه هي التي قال عنها النبي: "الصِّديق يزهو مثل النخلة كالأرز في لبنان ينمو" (مز ٩٢: ١١). ومن هذه الغابات أُخِذت الخشبة[١] التي نَمَت على قمم أشجار هذه الغابات، والتي تعنيها النبوة، والتي ترسل الغذاء، أي الكلمة السماوي. لقد دخل بولس هذه الغابة مثل ذئبٍ كاسرٍ، لكنه خرج منها راعٍ؛ لأنه مكتوبٌ: "خرجت أصواتهم إلى كل الأرض" (مز ١٩: ٤).

١٠٩- لقد كنا نحن وحوشاً مفترسةً، وقد حذَّرنا الرب من ذلك بقوله: "احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب حملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة" (متى ٧: ١٥). ولكن الآن -بالروح القدس- تلاشى تماماً من مشاعرنا توحش الأُسود

(١) الخشبة أو الصليب أو الشجرة، وهي ثلاث كلماتٍ مترادفات في العهد الجديد وآباء الكنيسة.

وغضب الفهود، ومكر الثعالب، وخداع الذئاب، **وما أعظم هذه النعمة التي غيَّرت الأرض إلى سماء، والتي، بها تم تجديدنا نحن الذين كنا نتجول مثل الوحوش الكاسرة في الغابات، ولكن صرنا الآن في السماء** (فيلبي ٣: ٣٠).

١١٠- ولم يعلِن الرسول بطرس في هذا الفصل من سفر الأعمال، فقط أن الكنيسة قد بُنِيَت بالروح القدس، بل في موضعٍ آخر نقرأ: "والله العارف القلوب شهد لهم معطياً لهم الروح القدس كما لنا أيضاً، ولم يميّز بيننا وبينهم بشيء إذ طهَّر بالإيمان قلوبهم" (أع ١٥: ٨-٩). وكما هو ظاهرٌ من هذه الكلمات أنه كما أن المسيح هو حجر الزاوية الذي جمع اليهود والأمم معاً، وجعلهم شعباً واحداً، هكذا الروح القدس لم يميّز بين قلوب اليهود والأمم، بل وحَّدهم وجعلهم واحداً في الكنيسة.

١١١- لا تكن مثل اليهودي، فتحتقر الابن الذي سبق الأنبياء وأخبرونا عنه؛ لأنك بذلك تحتقر الروح القدس أيضاً، وتحتقر أشعياء وأرميا الذي اختاره الرب وأقامه نبياً ورفعه من جُب الشعب اليهودي بملابس رثةٍ وحبال (أرميا ٣٨: ١١). ولأن شعب اليهود احتقر نبوة أرميا، فقد ألقوا أرميا في الجُّب ولم يوجد أحد من شعب اليهود يرغب في إخراج أرميا إلا الأثيوبي "عبد ملك" الذي أخرجه من الجُّبِ حسب شهادة السفر عنه (٣: ١٢-١٣).

١١٢- وشرحُ هذه الحادثة يقودنا إلى معنىً جميل، وهو أننا نحن الخطاة من الأمم الذي كان لنا لوناً أسودَ بسبب معاصينا والحياة الباطلة التي عشناها، رَفَعَنَا من الجُّبِ كلمةُ النبوة التي ألقاها اليهود فيه، أي في وحل فكرهم الجسداني، ولذلك كُتِب: "أثيوبيا سوف تمد يدها إلى الله" (مز ٦٨: ١١). وهذا يعني ظهور الكنيسة المقدسة التي يقول عنها سفر النشيد: "أنا سوداء ولكنني جميلة يا بنات صهيون" (نشيد ١: ٥)، **سوداء بسبب الخطية، وجميلة بسبب النعمة، سوداء بسبب الحالة الطبيعية، وجميلة بالفداء، أو جميلة بسبب ما لحقها من ترابٍ أثناء العمل الشاق.** وهكذا صارت سوداء خلال حروبها، وجميلة عندما تُوِّجَت بإكليل الظفر.

١١٣- وكان من المطلوب أن يُرفَع أرميا من الجُّبِ بحبالٍ؛ لأن الكاتب الأمين يقول: "الحِبال قد أُلقيت إليَّ في الأماكن الحسنة" (مز ١٦: ٦). وكان يليق به أيضاً أن يخرج بثيابٍ رَثَّةٍ لأن الربَّ أخبرنا عن الذين دُعُوا إلى وليمة العرس واعتذروا، فأرسل الربُّ عبيده إلى الطرقات والساحات حتى يجمعوا كل الموجودين من الأشرار والأبرار، ودعوهم إلى الوليمة. وهكذا، بهذه الثياب الرثة، رفع الربُّ كلمة النبوة من وحل الرفض والاعتذارات.

الفصل الحادي عشر

معرفةٌ واحدةٌ للثالوث

١١٤- وأنت أيضاً يمكنك أن تكون عبدَ ملكٍ (عبد الملك، أي الله)، أي المختار من الرب إذا رفعت كلمة الله من جُبِ جهلِ الأمم، إذا آمنت بأن ابن الله يعرف كل الأشياء وما سيحدث في المستقبل. وأيضاً الروح القدس الذي يعرف كل الأشياء، ولا يمكن خداعه، والذي يقول عنه الرب: "ولكن متى جاء روح الحق يُخبركم بكل الحق" (يو ١٦: ١٣). فالذي يُخبر بكل الحق لا يخفى عليه شيء سواء بالليل أو النهار أو الأمور الماضية أو الأمور الآتية أيضاً.

١١٥- ولكي تعلم أن الروح القدس يعرف كل الأشياء، ويُخبِر بما سيحدث، وأن هذه المعرفة هي ذات المعرفة الواحدة للآب والابن، اسمع ما يقوله الإله الحق عن الروح القدس: "إنه لا يتكلم من ذاته، بل بما يسمع ويخبركم بأمورٍ آتية" (يو ١٦: ١٣).

١١٦- ولكي تعلم أنه يعرف كل الأمور الآتية، لاحظ ما يقوله الابن: "أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفهما أحد ولا الملائكة الذين في السموات" (مرقس ١٣: ٣٢)، ومع ذلك، فقد فرَّق بين الروح القدس وميَّزه عن الملائكة، فهو يعرف كل الأسرار ولا يجهل شيئاً، فكيف يمكن أن نقول إن الابنَ لا يعرف؟

١١٧- ولكن قد يقول قائلٌ إن نص (مرقس ١٣: ٣٢)، قد حَسَبَ الابنَ ضمن الملائكة، وإذا جاز لنا أن نقول هذا، فإن الروح القدس لم يُحسَب ضمن الملائكة، فهل يعني هذا أن نعترف بأن الروح القدس أعظم من الابن، وهذا لا يجعلنا فقط أريوسيين، بل من الأريوسيين الذين يتبعون رأي فوتنيان Photinian، أو أن نصل إلى المستوى الأريوسي في الفكر الذي يعتبر أن الابن لا يعرف اليوم الأخير. والحقيقة هي أنه بسبب التجسد، يمكن أن نحسب الابن ضمن الخليقة التي خلقها الابن.

١١٨- ولكن إن كنت راغباً حقاً في الإيمان الصحيح، فأنت تستطيع أن تتعلم أن ابن الله يعرف كل الأمور التي ستحدث في المستقبل، وأن الأمور غير المعروفة لأحد من الخليقة يعرفها الابن. فكيف يوجد أمرٌ لا يعرفه الابن، وهو الذي منه يأخذ الروح القدس معرفته. فالروح يأخذ معرفته من الابن بسبب وحدة الجوهر، كما يأخذ الابن من الآب وأيضاً بسبب وحدة الجوهر. لذلك قال الابن: "ذاك يمجدني، لأنه يأخذ مما لي ويعلن لكم. كل ما هو للآب فهو لي، ولذلك قلت إنه يأخذ مما لي ويعلنها لكم" (يو ١٦: ١٤ و١٥). فهل يوجد أمرٌ أوضح من هذه الوحدة؟ **كل ما هو للآب هو للابن، وكل ما هو للابن هو للروح القدس، ويأخذه من الابن.**

١١٩- وأنت تعلم أن الابن يعرف يوم الدينونة، لأننا نقرأ في نبوة زكريا: "ويأتي إلهي وجميع القديسين معه، ويكون في ذلك اليوم أنه لا يكون نورٌ، وإنما صقيعٌ وبرد، ويكون يومٌ واحدٌ معروفٌ للرب" الذي سيأتي معه قديسوه لكي ينيرنا بظهوره الثاني.

١٢٠- ويبقى الآن أن نُكمِل الموضوع الخاص بالروح القدس الذي أشرنا إليه في الفقرة الخاصة به والتي يقول فيها الابن: "ذاك يمجدني". إذن، الروح يمجِّد الابن، كما أن الآب يمجِّد الابن، ولكن الابن بدوره يمجِّد الروح القدس كما سبق وأشرنا. فالابنُ ليس ضعيفاً، وهو سبب المجد الخاص بالثالوث الواحد بالجوهر، والذي له نورٌ واحدٌ، كما أنه ليس أقل من الروح القدس، الذي يمجِّده.

١٢٢- وإذا آمنت بأن الروح القدس يتكلم مثل الآب، وبنفس السلطان، فإن الله يكون قد اختارك كما اختار بولس الذي اختاره الله، فتكلم بما آمن به وكتب عن ذلك: "فأعلنه الله لنا بروحه. ما لم تره عين ولم تسمع أُذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه" (١كور ٢: ٩ و١٠). فالروح هنا يُدعى روح الاعلان، وكما نقرأ: "لأن الله يعطي للذين يقبلونه، روح الحكمة وروح الاعلان لأجل معرفته" (أف ١: ١٧).

١٢٣- إذن، معرفة الأقانيم بكل شيء هي معرفة واحدة، **فكما أن الآب يعطي روح الاعلان ويعلن، كذلك الابن يعطي روح الاعلان ويعلن**؛ لأنه مكتوبٌ: "لا أحد يعرف الابن إلا الآب، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن، ومَن أراد الابن أن يعلن له" (متى ١١: ٢٧) واذا كان الكثير قد كتب عن الابن فهذا لا يدعو إلى اعتبار الابن يعرف أكثر من الآب. ولم يكن عبثاً أن الابن هو الذي يعلن الآب وانما لأن الابن يعرف الآب كما يعرف الآب الابن.

١٢٤- وعلينا أن نتعلم الآن **أن الروح القدس يعرف الله الآب**، ومكتوبٌ: "ولا أحد يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الساكن فيه، وهكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله" (١كور ٢: ١١). وبقوله "لا أحد إلا روح الله"، فهل يعني هذا أن الابن محرومٌ من هذه المعرفة؟ بكل تأكيد لا؛ لأن الروح لم يُحرَم من هذه المعرفة بقول الابن: "ولا أحد يعرف الآب إلا الابن".

١٢٥- **إذن، الآب والابن والروح القدس لهم طبيعة واحدة ومعرفة واحدة.** والروح القدس لا يُحسَب ضمن المخلوقات التي خلقها الابن، لأنه يعرف الآب -الذي وُصِفَ في النص السابق- بأنه لا يعرفه إلا الابن، والروح القدس يعرف الآب، ولذلك فكل المخلوقات التي أشارت اليها النصوص السابقة، ليس لها ذات المعرفة الواحدة التي لأقانيم الثالوث، **وهذا يعني أن الروح القدس مثل الآب والابن يجب عدم حسبانه في عداد المخلوقات.**

١٢٦- وما أريد أن أسأله الآن وأن يجيبوا عليه هو: ما هو الذي في الإنسان ويعرف ما في الإنسان إلا العقل، وهو القوة الفائقة التي تفوق كل قوى النفس الإنسانية الأخرى، وهو أيضاً سبب احترام الإنسان وتقديره ككائنٍ عاقلٍ؟ وعلى هذا الأساس، ماذا يكون الروح القدس الذي يعرف أعماق الله، والذي به يعلن الله ضابط الكل؟ فهل هو أقل من الآب، رغم أنه كامل الألوهية ويعرف أعماق الله، أي **أنه واحدٌ في الجوهر مع الآب؟ وهل يمكن أن يكون جاهلاً بأيٍّ من أسرار الله، وهو الذي يعرف مشورة**

الله وأسراره الخفية الأزلية (١كو ٢: ٧)؟ وهل يوجد شيء لا يعرفه، وهو يعرف كل أمور الله حسبما قيل: "الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله" (١كو ٢: ١٠)؟

١٢٧- وحتى لا تظن أنه يفحص ما لا يعرفه لكي يعرفه إذا فحصه، فالثابت أنه قيل إن الله يعلن لنا كل شيء بالروح القدس، ولكي تدرك أن الروح القدس إنما يعلن لنا ما يعرفه، قيل فوراً: "ومَن يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه، هكذا أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله" (١كو ٢: ١١). فإذا كان روح الإنسان يعرف أمور الإنسان، ويعرفها قبل أن يعلنها، ويعرفها قبل أن يفحصها، وبالمقارنة نقول: هل توجد أُمور خاصة بالله لا يعرفها روح الله؟ وليس بدون قصد قال الرسول: "لا أحد يعرف أُمور الله إلا روح الله"، **فهو لا يعرف بالفحص، وإنما يعرف بالطبيعة، وليس لأن معرفة الأمور الإلهية معرفة عَرَضية، لا، إنها معرفة طبيعية.**

١٢٨- وإذا سألت عن معنى كلمة "يفحص" الخاصة بالروح القدس، فالله نفسه قيل إنه يفحص القلب والكُلى كما قيل: "أنا هو فاحص القلوب والكُلى" (أرميا ١٧: ١٠). ونفس الشيء قيل عن ابن الله في الرسالة إلى العبرانيين: "وفاحص أفكار القلب ونياته" (عب ٤: ١٢). وتبعاً لذلك، لا يوجد مَن هو أقل وأدنى ويقدر أن يفحص أعماق من هو أسمى وأعلا منه. **ومعرفة الأمور الخفية هو أمرٌ خاصٌّ بالطبيعة الإلهية وحدها. فالروح فاحص كل الأعماق مثل الآب والابن، والمعنى الدقيق لمعرفته بالأمور الخفية وقدرته على فحص كل الأشياء، هو أنه لا يوجد شيء لا يعرفه أو يخفى عنه.**

١٢٩- وأخيراً، لقد اختار المسيح (القديس بولس)، وأرسله الروح القدس الذي علَّمه الأسرار. **وقد شهد هو نفسه إنه تعلم الكثير بواسطة الروح القدس الذي يعرف أعماق الله ثم يعلنها لنا مثلما يعلنها لنا الابن أيضاً.** ولذلك أضاف: "ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله لنعرف الأشياء المعطاة لنا من الله التي نتكلم بها أيضاً لا بأقوالٍ تعلمها حكمة إنسانية، بل بما يعلمه الروح القدس وبقوة الله" (١كو ٢: ١٢-١٣).

الفصل الثاني عشر

إعلان الروح القدس هو إعلان الآب والابن

١٣٠- لقد برهنا على أن الله يعلن لنا أموره الخاصة، وكذلك الابن، وكذلك الروح القدس أيضاً. ومعرفتنا نابعةٌ من الروح الواحد بواسطة الابن الواحد، وتقودنا إلى الآب الواحد، ومن الآب الواحد بواسطة الابن إلى الروح الواحد، ننال الصلاح والتقديس والحق الملوكي للحياة الأبدية. وحيث يعلَن الروح القدس، فقوة الله كائنة؛ **لأنه لا يوجد انفصال بين الأقانيم في العمل الواحد.** ولذلك، كل ما يقوله الابن، يقوله الآب أيضاً، وما يقوله الآب يقوله الابن أيضاً. وما يقوله الآب والابن يقوله الروح القدس.

١٣١- لذلك قال ابن الله عن الروح القدس: **"لا يتكلم من نفسه" (يو ١٤: ١٣)، أي بدون شركته في الآب وفي الابن، لأن الروح لا ينفصل ولا ينقسم، بل يتكلم بما يسمع.** وهو يسمع -وهذا تعبيرٌ عن وحدة الجوهر، وعن صفة المعرفة. فهو يسمع ليس بعضو السمع الخارجي الموجود في الجسد، أي الأذن، ولا يخرج الصوت الإلهي إلى خارج ويصدر بشكلٍ محسوس. كما لا يسمع ما لا يعرفه، وهذا نحذِّر منه لأنه في الحياة الإنسانية عامةً السمعُ يولِّد معرفةً، ومع ذلك فأحياناً السمع ليس بالصوت المسموع؛ لأن الذي يتكلم بألسنة لا يكلم الناس، بل الله، لأنه لا أحد يسمع، ولكن الروح يتكلم بأسرارٍ" (١كو ١٤: ٢).

١٣٢- فإذا كان السمع عند البشر لا يتم دائماً بواسطة الأذن، فهل يسمع الله كما يسمع البشر الضعفاء بالأذن لكل ذي جسد عضوٌ خاصٌّ بالمعرفة الحسية، ولكن عندما يقال إننا نسمع، فإننا نعرف من السمع أننا قادرون على المعرفة، **وهكذا قيل إنه يسمع لكي نفهم من هذا أنه يعرف.** وفي الله الذي يعرف كل شيء، يمكن أن نقول إن

المعرفة تتقدم على السمع. وهكذا، لكي نؤكد أن الابن لا يجهل إرادة الآب، نقول إنه يعرف كل الأشياء. وفي الله لا توجد أصواتُ ألفاظٍ وجملٍ ومقاطعَ، وإنما الوحدة النابعة من الإرادة الواحدة تُدرِك كل الخفيات في الله، بما لا يمكن أن نصفه. أمَّا بالنسبة لنا، فكل الأمور تعلن لنا بعلامات.

١٣٣- إذن، **ما معنى القول: "لا يتكلم من نفسه"؟ المعنى هو أنه لن يتكلم بدوني؛ لأنه يتكلم الحق، وهو يبُثُّ الحكمةَ. إنه لا يتكلم بدون الآب؛ لأنه روح الله الآب، إنه لا يسمع منفرداً، وإنما يسمع ما في الله (الثالوث).**

١٣٤- لقد أخذ الابن كل شيء من الآب، وهو نفسه قال: "كل شيء قد دُفع إليَّ من أبي" (متى ١١: ٢٧)، وكل ما هو للآب هو أيضاً للابن، وهو يقول أيضاً: "كل ما هو للآب هو لي" (يو ١٦: ١٥). **وكل ما أخذه الابن من الآب هو بسبب وحدة الطبيعة الإلهية، ويعلن الرب يسوع نفسه أن الروح يأخذه منه وبسبب وحدة الطبيعة الإلهية أيضاً، فيقول عن روحه: "لذلك قلت إنه يأخذ مما لي ويعلن لكم" (يو ١٦: ١٥). ولذلك، ما يقول الروح إنه للابن، يقول الابن إنه للآب؛ لأن الروح أخذ من الابن، والابن أخذ من الآب.** وهكذا لا يتكلم الابن منفرداً، ولا الروح منفرداً، بل يتكلم الثالوث دون أن يستعين بآخر لا ينتمي إلى طبيعته.

١٣٥- ولكن إن اعتبرت أن الروح لا يتكلم من نفسه، أي منفرداً، من علامات الضعف، وإنه أقل من الابن، فهذه الفكرة سوف تؤدي في النهاية إلى التجديف على الابن نفسه؛ لأن الابن نفسه يقول: "وكما اسمع أُدين" (يو ٥: ٣٠). وأيضاً: "لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل" (يو ٥: ١٩). فإذا كان هذا هو الحق، فالابن يقول: "كل ما هو للآب هو لي" (يو ١٦: ١٥). والابن حسب وحدة الجوهر الإلهي هو واحدٌ مع الآب، واحد بالجوهر، أي من ذات الطبيعة، وليس كما يدعى سابيليوس زوراً. وما هو واحدٌ بالجوهر وله نفس الصفات، لا يمكن أن ينفصل. ولذلك، لا يقدر الابن أن يعمل من ذاته شيئاً إلا ما يسمعه من الآب، "لأن

كلمة الله باقية إلى الأبد" (مز ١١٩: ٨٩)، **وكما أن الابن لا ينفصل عما يعمله الآب، كذلك الآب لا ينفصل عما يعمله الابن، وما يعمله الابن، فهو يعرف أن الآب يريده، وما يريده الآب، فالابن يعرف كيف يعمله.**

١٣٦- وأخيراً وحتى لا نترك فرصةً لأي انسان أن يظن أنه يوجد فرق في العمل أو الوقت أو الترتيب بين الآب والابن، بل أن يعتقد أن العمل هو عملٌ واحدٌ للآب والابن، يقول الابن نفسه: "العمل الذي أعمله يعمله الآب" (يو ٥: ١٧ و١٩). وأيضاً **لكي لا يعتقد أحدٌ بأنه يوجد فرق بين ما يعمله الآب وما يعمله الابن، بل يميّز أن إرادة وعمل وقوة الآب والابن هي واحدة، يقول الحكمة الابن عن الآب: "لأنه مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك"** (يو ٥: ١٩). وهكذا عمل أي أُقنوم، ليس قبل ولا بعد عمل الأقنوم الآخر، بل عملٌ واحدٌ للثالوث. ولذلك السبب عينه يقول الابن إنه لا يقدر أن يعمل شيئاً من ذاته؛ لأن عمله لا يمكن فصله عن عمل الآب. وبنفس الطريقة لا يمكن فصل عمل الروح القدس؛ لأن كل ما يعمله الروح القدس، هو ما يسمعه من الآب، هو ما يعلنه ويتكلم به.

١٣٧- وماذا يبقى من اعتراضات إذا برهنت أيضاً على أنه كما أن الابن يسمع الآب كذلك الآب يسمع الابن؟ لأنه مكتوب في الإنجيل إن الابن يقول: "أشكرك أيها الآب لأنك سمعت لي" (يو ١١: ٤١). وكيف سمع الآبُ الابن، لأنه في الفقرة كلها التي ورد فيها هذا النص، لم يُشِر الابن إلى موضوع لعازر في حديثه مع الآب؟ ولكي لا نظن أن الابن سمعه الآب هذه المرة بالذات، أضاف الابن: "وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي" (يو ١١: ٤٢). فالسمع هنا ليس علاقة أعظم بأقل حيث تلزم الطاعة، بل علاقة الوحدة الأزلية.

١٣٨- وبنفس الطريقة يظهر لنا أن الروح القدس يسمع من الآب ويمجّد الابن. والروح يمجّد الابن لأنه علَّمنا أن الابن هو صورة الله غير المنظور (كول ١: ١٥)، وأنه بهاء مجده ورسم جوهره (عب ١: ٣). فقد تكلم الروح القدس أيضاً في البطاركة

والأنبياء، ثم أخيراً عندما بدأ يقود الرسل في حياة الكمال بعدما قبلوه. ولذلك، لا يوجد فرقٌ بين عمل القوة الإلهية والنعمة؛ لأنه مكتوب: "وأنواع عطايا ولكن الروح واحد وأنواع خِدَمٍ، ولكن الرب واحد، وأعمالٍ متنوعة، ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل" (١كو ١٢: ٤-٦). فالخِدَمُ متنوعةٌ، ولكن لا يوجد انقسام أو انفصال في الثالوث.

١٣٩- وأخيراً، فإن نفس الإله هو الذي يعمل الكل في الكل، لكي نعلم أنه لا يوجد تنوع في العمل بين الله الآب والروح القدس، بل هو عملٌ واحدٌ؛ لأن كل ما يعمله الروح القدس، يعمله الآب أيضاً الذي يعمل الكل في الكل" (١كو ١٢: ٦). ومع أنه قيل: "لواحدٍ يعطى بالروح كلام حكمة ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد، ولآخر إيمان بالروح الواحد، ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد. ولآخر عمل قوات ولآخر نبوة ولآخر تمييز الأرواح. ولآخر أنواع ألسنة ولآخر ترجمة ألسنة ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه موزِّعاً على كل واحد بمفرده كما يشاء" (١كو ١٢: ٨ – ١١).

الروح يعمل بإرادته كواهب:

١٤٠- **لا يوجد شك في أن كل هذه يعملها الآب ويعملها الروح القدس أيضاً**. والروح لا يعمل بأمرٍ مثل الخَدَم، وإنما يعمل بحرية بإرادته متطوعاً للعمل، وليس خادماً لما يأمر به آخر. فهو لا يطيع كَمَن يؤمن، وإنما كواهب عطايا ويوزِّعها لأنها عطاياه.

١٤١- وإذا وقفنا وقفةً قصيرةً، أمكننا أن نرى **أن الروح القدس يؤثر في كل الأشياء التي يؤثر فيها الآب، وهذا ما لا يمكن أن ينكره أحد**. وحيث أن الروح القدس يوزّع عطاياه حسب إرادته ويؤثر في كل الأشياء التي يؤثر فيها الآب، فإما أنه يعمل كل هذا ضد إرادة الله الآب، أو أنه يعمل حسب إرادة الآب، ويصبح كل ما يريده الآب ويعمله هو بذاته ما يريده الروح القدس ويعمله، وبالتالي يتعين أن نعترف

بوحدة الإرادة ووحدة العمل، وهكذا يرغمك البرهان على الاعتراف بفمك دون إيمان قلبك.

١٤٢- لكن إذا كان للروح القدس إرادةٌ واحدة، وعملٌ واحدٌ مع الله الآب، فهو أيضاً من جوهرٍ واحدٍ؛ لأن الخالق يُعرَفُ بأعماله الواحدة. إذن، هو نفسه الروح الواحد والرب الواحد والاله الواحد (١كو ١٢: ٥). **فإذا دعوته الروح أو الرب أو الله، فهو بذاته الواحد. وهذا لا يعني أنه هو بذاته الآب، وهو بذاته الابن، وهو بذاته الروح، بل هو واحدٌ مع الآب والابن، وله ذات القدرة الواحدة والجوهر الواحد.** وبالتالي لا يوجد في جوهر اللاهوت انفصال أريوس، ولا امتزاج سابليوس، أو التغيير الجسداني الأرضي الخاص بالمخلوقات.

الفصل الثالث عشر

مَن هو الروح القدس؟

١٤٣- أيها الامبراطور التقي، بعد كل ما ذكرناه، يبقى أن نجيب على سؤالٍ واحدٍ خاص بالموضوع الذي نشرحه، وهو كيف نفهم عمل الروح القدس الذي تشير إليه الكلمات التالية، هل هو عمل الخالق أم المخلوق؟ لقد كُتِبَ: "بأنواعٍ مختلفة وطرقٍ متنوعة تكلم الله مع الآباء بواسطة الأنبياء" (عب ١: ١). ويقول حكمة الله: "سوف أرسل لهم أنبياء ورسلاً" (لوقا ١: ٤٩)، وأيضاً: "لواحد يعطى بالروح كلام حكمة ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد ولآخر إيمان بالروح الواحد. ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد ولآخر علم قوات ولآخر نبوة" (١كو ١٢: ٨ – ١٠). ومَن يكون الروح القدس الذي يعطي النبوات حسب قول الرسول؟ ألم يعطِ الآبُ النبوات وكذلك الابن؟ فإذا كان الروح القدس يعطي النبوة مثل الآب والابن، فالعمل واحد، والنعمة واحدة، **والروح القدس الذي هو أيضاً مصدر النبوات، ليس إلا الله.**

١٤٤- وعن نفس النقطة قال الرسل: "لأنه قد سُرَّ الروح القدس ونحن" (أع ١٥: ٢٨) وعندما يقولون: "قد سُرَّ"، فهم يشيرون ليس فقط إلى فاعل النعمة، بل أيضاً إلى مصدر تنفيذ ما أوصى به. وما قرأناه عن الروح القدس إنه سُرَّ، كذلك قيل عن الله؛ لأننا نقرأ عن الله أنه سُرَّ، فالروح القدس هو الله الذي له مسرة خاصة وسيادة على قوته.

١٤٥- وكيف لا يكون هو رب عطاياه وسيد قوته، وهو الذي يعطي ما يشاء ويأمر بما يشاء مثل الآب والابن؟ وكما أن بولس سمع الصوت قائلاً له: "أنا هو يسوع الذي أنت تضطهده" (أع ٩: ٥)، كذلك منع الروح القدس بولس وسيلا من الذهاب إلى بيثنيا. وكما أن الآب تكلم بواسطة الأنبياء هكذا تكلم أغابوس بالروح القدس وقال: "هذا ما يقوله الروح القدس إنه هكذا سيربط اليهود الذين في أورشليم صاحب هذه

المنطقة" (أع ٢١: ١١). وكما أن الحكمة أرسل رسله قائلاً: "اذهبوا إلى العالم كله واكرزوا بالإنجيل" (مرقس ١٦: ١٥)، هكذا يقول الروح القدس: " افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه" (أع ١٣: ٢). وبعد أن أرسلهما الروح القدس حسبما ذكر سفر الأعمال، فإنهما لم ينقصا شيئاً عن باقي الرسل الذين أرسلهما الآب أو الابن، بل لأن العمل واحد، فقد أرسلهما الله الآب بالروح القدس.

١٤٦- وأخيراً، فإن بولس الذي أرسله الروح القدس، صار إناءً مختاراً للمسيح، وهو نفسه يشهد بما عمله الله معه ويقول: "فإن الذي عَمِل في بطرس لرسولية الختان، عمل فيَّ أيضاً للأمم" (غلا ٢: ٨). فإن كان الذي عَمِل في بطرس هو أيضاً الذي عمل في بولس، فهو الروح الواحد الذي عَمِل في بطرس وبولس. ولكن بطرس نفسه يشهد في سفر الأعمال أن الله الآب هو الذي عَمِل فيه، فقال سفر الأعمال إن بطرس وقف وقال: "أيها الرجال الأخوة أنتم تعملون أنه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا أنه بفمي يسمع الأمم كلمة الإنجيل ويؤمنون" (١٥: ٧). وهكذا عمل الله في بطرس هذه النعمة لكي يبشّر، ومَن يمكنه أن ينكر عمل المسيح في بطرس لكي يبشّر، وهو الذي بكل يقين اختاره المسيح عندما قال له الرب: "ارعَ حملاني" (يو ٢١: ١٥).

١٤٧- إذن، عمل الآب والابن والروح القدس هو عملٌ واحدٌ ظاهرٌ في حياة الرسول. ومَن ينكر هذا العمل، عليه أن يتأمل كيف عَمِلَ الآب والروح في بطرس، وهو أيضاً الذي عمل في المسيح. فهل كان عمل المسيح غير كاف حتى أنه احتاج لعمل الروح لكي ينال نعمة؟ ولكن قوة الآب والابن والروح القدس مرتبطة ومتحدة معاً، وعملهم كان متنوعاً حتى لا يظن أحدٌ أن عمل المسيح الذي عمله في بطرس هو عملٌ ضعيف.

١٤٨- ولم يكن هذا العمل الواحد للآب والابن والروح القدس في بطرس وحده، بل في كل الرسل، فهو الذي أعطاهم سلطان تدبير الأمور السماوية. والعمل الإلهي يتم بقوة الله وبأمره وليس بحاجة إلى خادم؛ لأن الله يعمل ليس بأداةٍ وبوسيط، بل

هو يأمر فقط، كما قيل: "إنه أَمَرض، فصار" (مز ٣٣: ٩). وقال: "ليكن نور، فكان نور" (تكوين ١: ٣)، وعمل الله يتم بالأمر الإلهي الواحد.

١٤٩- وإذا فحصنا الأسفار، نجد بسهولة، أن القوة الملوكية الإلهية تشهد الأسفار لها بأنها خاصة بالروح القدس أيضاً، بل سوف يتضح أن الرسل لم يكونوا تلاميذ المسيح فقط، بل خُدام الآب والابن والروح القدس. ومعلِّم الأمم (بولس) يخبرنا أن "الله وضع في الكنيسة أولاً رسلاً ثانياً أنبياء ثالثاً معلمين ثم قوات، وبعد ذلك مواهب شفاء، مواهب معونة وتدبير، مواهب ألسنة متنوعة" (١كو ١٢: ٢٨).

١٥٠- وها أنت ترى كيف أن الله أقام رسلاً ومعلمين وأعطى مواهب شفاء، وهذه بعينها وكما أشرنا يعطيها الروح القدس الذي يعطي أيضاً الألسنة المتنوعة. ولكن ليس لكل هؤلاء ذات الموهبة، فليس الكل رسلاً، وليس الكل أنبياء، وليس الكل معلمين، وليس للكل مواهب شفاء وليس الكل كما يقول يتكلمون بألسنة" (١كو ١٢: ٣٠). فالعطايا الإلهية لا تُوهَب كلها لإنسانٍ واحد، بل كلٌّ على قدر احتماله ينال ما يستحقه أو ما يشتهيه. ولكن قوة الثالوث التي تمنح كل هذه النِّعم بوفرةٍ، ليست مثل ضَعف الإنسان.

١٥١- وأخيراً إذا كان الله هو الذي أقام الرسل، فالمسيح هو الذي اختارهم وأقامهم رسلاً وأرسلهم للعالم قائلاً: "اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها مَن آمن واعتمد خَلُص، ومَن لم يؤمن يُدَن. وهذه الآيات تتبع المؤمنين بإسمي يخرجون الشياطين ويتكلمون بألسنة جديدة. يحملون حيات وإن شِربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون" (مرقس ١٦: ١٥-١٨). وهكذا ترى أن الآب والمسيح أقاما معلمين في الكنائس، وكما أن الآب يعطي مواهب الشفاء، هكذا أيضاً الابن، وكما أن الآب يعطي مواهب الألسنة كذلك أيضاً يمنحها الابن.

١٥٢- وكما سمعنا وقرأنا سابقاً أن الذي يمنح هذه المواهب أيضاً هو الروح القدس لأنه مكتوب: "فإنه لواحدٍ يعطى بالروح كلام حكمة .. مواهب شفاء" (١كو

١٢: ٨ و٩). فالروح يعطي نفس المواهب التي يعطيها الآب والابن، وهذا يكفي. وعلينا الآن أن نتعلم بكل وضوح ما لمسناه من قبل، **وهو أن الروح القدس هو الذي يعيّن في الوظائف، الخدام الذين يعيّنهم الآب والابن، وأنه هو بذاته الذي يعيّن نفس هؤلاء الأشخاص** لأن بولس يقول: "احترزوا لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله" (أع ٢٠: ٢٨).

١٥٣- إذن، نرى بوضوح، **الوحدةَ في السلطان، الوحدةَ في إقامة الخدام، الوحدةَ في العطية**. وإذا فصلنا السلطان عن إقامة الخدام، فما هو السبب في أن يصبح الذين أقامهم المسيح أساقفةً هم الذين أقامهم الآب والروح القدس، طالما أنهم يستمدون كل شيء من الآب والابن والروح القدس؟ هل يختلف الآب والابن والروح القدس مع بعضهم حتى أنهم يختلفون حول الحقوق الشرعية، وبذلك يتم تقسيم العمل، وتوزيع السلطة كما يحدث بين البشر المتنافسين.

١٥٤- إن التنافس بين البشر يصل أحياناً إلى اعتبار السلطة والعمل من الأمور الحقيرة والصغيرة، حتى أن البشر يتفقون مع بعضهم إرادياً رغم اختلافهم في توزيع العمل. وقد سُئل إنسانٌ مرةً: مَن هو الصديق، فأجاب إنه "ذاتي ثانيةً". فإذا حدَّد بشرٌ صديقه على هذا النحو، ووصفه بأنه ذاته الثانية، وذلك بسبب الوحدة في المحبة والإرادة الصالحة، فكم بالحري يجب أن يكون تقديرنا لوحدة العظمة الإلهية والعزة التي للآب والابن والروح القدس، وهم واحد في العمل والقوة والوحدة، وهو ما تعبِّر عنه الكلمة اليونانية Tautotis المشتقة من Tauta أي هو ذاته، وهو ما يجعلنا نقول إن الآب والابن والروح القدس كلٌّ له ما للآخر، بل كلٌّ منهم هو ذات الآخر؛ لأن لهم ذات القوة، وذات الإرادة، وهي لا تنبع من ميول الإرادة، وإنما نابعة من الجوهر الواحد الذي فيه إرادة واحدة ذاتية للثالوث.

١٥٥- هذا هو ميراثنا الرسولي، الإيمان والتقوى والخلاص، والذي يشهد له سفر الأعمال، وقد أشرنا إليه سابقاً. لقد أطاع بولس وبرنابا وصية الروح القدس، كما

أطاع أيضاً كل الرسل، وأقاموا الذين اختارهم الروح القدس وأفرزهم للخدمة وقال: "افرزوا لي برنابا وشاول" (أع ١٣: ٢). فهل ترى سلطان الذي يأمر؟ وهل ترى تقوى الذين يخضعون لهذا الأمر الإلهي؟

١٥٦- لقد آمن بولس بهذا السلطان الإلهي، فطرح عنه غيرة المضطهد ونال اكليل البر. لقد آمن ذلك الذي سبَّب اضطراب الكنائس، وعندما تحول إلى الايمان، كرز بالروح القدس وكل ما أمره به الروح القدس (أع ٩: ٢٠). لقد مَسَحَ الروح بطله (بولس)، فنفض عنه تراب عدم الإيمان وقدَّمه كفاتحٍ لا يُقهَر لكل جماعات غير المؤمنين على اختلاف أنواعها، بل درَّبه بواسطة الآلام المتنوعة، لكي ينال الجائزة الكبرى لدعوته العليا التي في المسيح يسوع.

١٥٧- برنابا أيضا آمن، وأطاع لأنه آمن. وبعد أن اختاره الروح القدس الذي حلَّ عليه بوفرةٍ، لكي يعلن بهذا تقوى برنابا وأنه يستحق يمين الشركة الرسولية. وهكذا ظهرت نعمة واحدة مضيئة في أولئك الذين اختارهم الروح القدس.

١٥٨- ولم يكن بولس أقل من بطرس، رغم أن بطرس هو أساس الكنيسة، إلا أن بولس كان البنَّاء الحكيم الذي بنى طريقاً ثابتاً تسير عليه الأمم التي آمنت بأقدامٍ ثابتة. ولم يكن بولس غير مستحق للشركة مع الرسل، بل يمكن مقارنة استحقاقه لهذه العطية مع بطرس نفسه، وبذلك لم يكن ترتيب بولس الثاني بالمرة. ومَن لا يُعرَف أنه أقل، فإنه يكون مساوياً للباقين.

الكتاب الثالث

الفصل الأول

حلول الروح القدس على المسيح

١- شرحنا في الكتاب السابق (ك ٢: ف ١٢) بأدلةٍ واضحة، أن الأسفار تشهد بأن الأنبياء والرسل قد أُقيموا للخدمة، فالأنبياء للنبوة والرسل للكرازة بالإنجيل بواسطة الروح القدس. وكل هؤلاء أقامهم الآب والابن، كما أقامهم الروح القدس أيضاً. وسوف نضيف إلى ما ذكرناه ما سوف يتعجب له البعض، وهو أمرٌ لا يقبل الشك في ان الروح القدس حلَّ على المسيح. وكما أن المسيح أرسل الروح القدس، كذلك أرسل الروح القدس المسيح ابن الله؛ لأنه يقول: "روح الرب عليَّ لأنه مسحني، أرسلني لأُبشِّر بالإنجيل للفقراء وأنادي بالحرية للمأسورين والبصر للعميان" (أشعياء ٥١: ١). وإذا كنا قد قرأنا هذه الفقرة من سفر أشعياء، إلا أنه مكتوب أيضاً في الإنجيل أن المسيح قال: "لقد تم اليوم في مسامعكم المكتوب في السفر" (لوقا ٤: ٢١). وبذلك أشار إلى أن هذا المكتوب كان يخصه هو.

٢- هل يمكن بعد ذلك أن نندهش إذا كان الروح القدس قد أرسل الأنبياء والرسل. والمسيح نفسه يقول: "روح الرب عليَّ"، وحسناً وحقاً يقول: "عليَّ" لأنه كان يتكلم كابن الإنسان، وهو كذلك فعلاً وكابن الإنسان أُقيم لكي يبشِّر بالإنجيل.

٣- ولكن إذا كانوا لا يؤمنون بما يقوله الابن، فليسمعوا الآب أيضاً يقول إن روح الرب يحل على المسيح. يقول الآب: "الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه، فهذا هو الذي يعمِّد بالروح القدس" (يو ١: ٣٣). لقد قال الله الآب هذا ليوحنا المعمدان. وسمع يوحنا ورأى وآمن. لقد سمع من الآب ورأى الرب وآمن بأن الروح القدس هو الذي نزل من السماء. ولم يكن الذي نزل من السماء حمامة، وإنما الروح القدس لأنه مكتوب: "رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء" (يو ١: ٣٢).

٤- وكما قال يوحنا المعمدان أنه رأى، فقد سجَّل مرقس ذلك أيضاً. أمَّا لوقا فقد أضاف أن الروح القدس نزل في هيئة جسمية في شكل حمامة. وهذا لم يكن تجسداً بل ظهوراً، وقد تم هذا الظهور لكي يعرف منه ويؤمن بأنه لم يَرَ الروح نفسه، فهو لا يُرى، ولكن من الظهور يدرك أن للروح القدس شركة مع الآب والابن في ذات الكرامة والسلطان وفي نفس العمل الواحد في السر[١]. وفي نفس النعمة الواحدة في الحميم، إلا إذا كان البعض يعتقد بأن الروح القدس الذي اعتمد به الرب أيضاً، ضعيفٌ ولا يليق بالعبيد من البشر أن يعتمدوا به.

٥- وحقاً قال يوحنا: "مستقراً عليه" (يو ١: ٣٣). لأن الروح كان يحل مؤقتاً على الأنبياء، فكانوا يتكلمون أو يعمِّلون بوحيٍ منه، وحسبما يشاء الروح القدس، ولكنه استقر بصفةٍ دائمةٍ في المسيح.

٦- ولا يضطرب أحدٌ إذا قيل إن الروح حلَّ على المسيح؛ لأن هذا قيل عن ابن الإنسان، الذي اعتمد أيضاً كابن الإنسان. فالروح لم يحل على المسيح بحسب أُلوهيته، وإنما حلَّ على المسيح وصار فيه كإنسان: "لأنه كما أن الآب هو في الابن والابن في الآب، هكذا روح الله أو روح المسيح هو في الآب وفي الابن؛ لأنه روح فم الله. والذي هو من الله إنما يستقر دائماً في الله، كما هو مكتوب: "ونحن لم نأخذ روح هذا العالم، بل الروح الذي من الله" (١كو ٢: ١٢). والروح يستقر في المسيح لأنه يأخذ من المسيح كما هو مكتوب أيضاً: "يأخذ مما لي" (يو ١٦: ١٤). وفي موضعٍ آخر: "ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت" (رو ٨: ٢)، فالروح لم يحل فوق المسيح بحسب لاهوته؛ لأنه في الثالوث لا يوجد أُقنوم فوق آخر، وإنما الثالوث فوق كل المخلوقات، فهو ليس فوق ذاته، بل هو في ذاته.

٧- ومَن يشك في أن الروح يرسل الأنبياء والرسل وهو يسمع ابن الله يقول:

---

(١) أي المعمودية (المعرب).

"روح الرب عليَّ" (لوقا ٤: ١٨)، وفي موضعٍ آخر يقول: "أنا هو، أنا الأول وأنا الآخر ويديَّ أسست الأرض ويميني نشرت السموات. أنا أدعوهن فيقفن معاً اجتمعوا كلكم واسمعوا. من منهم أخبر بهذه. قد أحبه الرب. يصنع مسرته ببابل ويكون ذراعه على الكلدانيين. أنا أنا تكلمت ودعوته. أتيت به فينجح طريقه. تقدموا إليَّ واسمعوا هذا. لم أتكلم من البدء في الخفاء. منذ وجوده أنا هناك والآن السيد الرب أرسلني وروحه" (أشعياء ٤٨: ١٢-١٦)، فمن هو الذي يقول: "السيد الرب أرسلني"؟ أليس هو الذي جاء من عند الآب لكي يعطي النجاة للخطاة؟ ها أنت تسمع أن الروح أرسله، حتى إذا قرأت أن الابن أرسل الروح، لا تظن أن الروح أقل من الابن في القوة.

٨- هكذا فإن الآب والروح القدس كليهما أرسلا الابن، وأيضاً الآب والابن أرسلا الروح القدس، لأنه قيل عن الآب: "أمَّا الباراكليت (المعزِّي)، الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي" (يو ١٤: ٢٦). والابن أيضاً أرسل الروح القدس لأنه قال: "أمَّا متى جاء الباراكليت، الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق" (يو ١٥: ٢٦). **فإذا كان الروح يرسل الابن والابن يرسل الروح، أي أن كلاهما يرسل الآخر، مثلما يرسلهما الآب، فلا يوجد مَن هو خاضعٌ للآخر كأقل، بل وحدة وشركة في القوة.**

الفصل الثاني

الابن والروح القدس كلاهما عطية

الآب أعطى ابنه لنا:

٩- والآب لم يرسل الابن فقط، بل أعطاه لنا، تماماً مثلما أعطى الابنُ نفسه لنا. وهكذا نقرأ: "نعمةٌ لكم وسلامٌ من الله الآب ومن ربنا يسوع المسيح الذي بذل ذاته عن خطايانا" (غلا ١: ٣ و٤). وإذا كانوا يظنون أن الابن خاضعٌ بسبب مجيئه وإرساليته، فلا يمكن لأحد أن ينكر أنه أُعطيَ لنا كنعمةٍ من الآب، كما يقول أشعياء: "يولد لنا ولد ونعطى ابناً" (٩: ٦).

بواسطة الروح القدس:

وأتجاسر وأقول إن الابن أُعطيَ لنا بواسطة الروح القدس الذي أرسله، لأن النبي لم يحدد لنا مَن الذي أعطى لنا الابن، فإنه يوضِّح أن الابن أُعطيَ لنا بنعمة الثالوث.

والابن أعطى ذاته:

ولكن حيث أن الابن أعطى ذاته، فبكل يقين لا يمكن أن يكون هذا العطاءُ لذاته بحسب لاهوته، خضوعاً من الابن، لذلك فكون الابن قد أُعطيَ، لا يمكن أن يكون علامةً على وجود الخضوع في جوهر اللاهوت.

وأعطانا الروح القدس أيضاً:

١٠- ولكن الروح القدس أيضاً أُعطيَ؛ لأننا نقرأ: "وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزِّياً آخر" (يو ١٤: ١٦). والرسول يقول: "إذن مَن يرذل لا يرذل إنساناً، بل الله الذي أعطانا أيضاً روحه القدوس" (١ تسا ٤: ٨). وأشعياء سبق ووضَّح لنا أن الروح والابن قد أُعطيا؛ لأنه يقول: "هكذا يقول الرب صانع السموات ومؤسسها والذي ثبَّت الأرض وكل ما فيها والذي يعطي نسمةً للناس الذين على الأرض وروحاً لكل الساكنين فيها" (أشعياء ٤٢: ٥). وعن الابن: "أنا الرب الإله الذي قد دعوتك بالبر. ها أنا أُمسك يديك وأُقويك وأُعطيك عهداً لشعبي ونوراً للأمم لكي تفتح أعين العميان وتحرر المأسورين في القيود" (أشعياء ٤٢: ٦، ٧)، فإذا كان الابن قد أُرسل وأُعطيَ والروح أيضاً قد أُرسل وأُعطيَ، فبكل يقين يكون لهما وحدة في جوهر اللاهوت؛ لأن لهما وحدة في العمل.

الفصل الثالث

أُصبع اللّه

١١- وأيضاً يُدعى الروح القدس أُصبع الله، وذلك بسبب وجود شركة لا تقبل الانفصال ولا الانقسام بين الآب والابن والروح القدس. وكما أن الأسفار تسمي ابن الله "يد الله اليمنى"، حسبما نقرأ: "يمينك يا رب تمجَّدت بالقوة، يمينك يا رب قد سحقت مقاومينا"، هكذا يدعى الروح القدس أُصبع الله، حسبما يقول الرب نفسه: "ولكن إن كنت بأُصبع الله أُخرج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله" (لوقا ١١: ٢٠). والروح هو المقصود بأُصبع الله لأننا نقرأ في إنجيل متى نفس القول حيث يقول الرب: "ولكن إن كنت أنا بروح الله أُخرِج الشياطين" (١٢: ٢٨).

١٢- فما الذي يمكن أن نقوله أكثر مما قلناه لكي نعبِّر بدقة عن وحدة جوهر اللاهوت أو وحدة عمل الأقانيم الآب والابن والروح القدس، وهي الوحدة التي تعني ملء اللاهوت والأزلية، سوى أنه ينبغي أن نفهم أن ملء اللاهوت الأزلي سيبدو وكأنه منقسم أكثر من جسدنا البشري، وذلك بالنسبة لمن يظن أنه يمكن أن يقسِّم وحدة الجوهر ويعدد قواته، بينما الحقيقة هي أن جوهر اللاهوت الأزلي هو واحد.

١٣- وحيث أنه من المناسب لنا أن نعبِّر عن الأمور السمائية التي هي أعلا منا باللغة الإنسانية الخاصة بنا، وحيث أننا لا يمكن أن نرى هذه الأمور، فإننا نملك أن نستدل على الأمور السمائية من الأمور التي نراها، والرسول يقول عن هذا: "إن أُموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم حتى أننا ندرك ما هو غير منظور بواسطة ما هو منظور" (رو ١: ٢٠). وقد أضاف الرسول وشرح أنه يعني: "قدرته الأزلية ولاهوته"، وهذه التعبيرات بعضها خاصٌّ بالابن، والبعض الآخر خاصٌّ بالروح القدس. وقبل أي شيء آخر علينا أن نتذكر أنه كما أن الابن يُدعى قوة الآب الأبدية، هكذا الروح القدس أيضاً

لأنه أُقنوم إلهي، ونحن نؤمن بأنه قوة الآب. وكما أن الابن حيٌّ إلى الأبد، فهو أبدي وإلهي، هكذا الروح القدس أيضاً، وأي شيء في الله لا يمكن أن يكون إلا أبدياً وإلهياً.

١٤- وإذا عُدنا إلى أُصبع الله، فإننا نعرف أن الله كتب بأُصبعه على لوحي الحجر اللذين أخذهما موسى" (خروج ٣١: ١٨)، ولم يكتب الله بأُصبعٍ من اللحم الحروف والكلمات التي نقرأها في الوصايا العشر، وإنما أعطى الناموس بروحه. وهذا ما يقوله الرسول: "الناموس روحي. والذي كتب ليس بحبر وإنما بروح الله الحي، لا في ألواحٍ حجريةٍ، بل في ألواحِ قلبٍ لحمية" (رو ٧: ١٤ مع ٢كور ٣: ٣). وإذا كانت رسائل الرسول كُتبت بالروح القدس، فما الذي يمنعنا من الإيمان بأن ناموس الله قد كُتِب بروح الله، وهو الذي يحرر قلوبنا من رغباتها الخفية وينيرها.

١٤- وبالإضافة إلى ذلك، فإننا نعرف أن الناموس كُتِبَ على ألواحٍ حجريةٍ؛ لأنه كان رمزاً، وحتى هذه الألواح الحجرية نفسها طرحها موسى بيديه فكسرها؛ لأن اليهود سقطوا وتركوا وصايا الأنبياء. وعندما كُسِرَت الألواح لم تمحَ الكتابة، وعليك أن تحترس لنفسك حتى لا تنكسر ألواحُ قلبك وتكون النتيجة أن ينقسم عقلك ونفسك. هل ينقسم المسيح؟ إنه لا ينقسم وإنما هو واحدٌ مع الآب، فلا تجعل الهراطقة يفصلونك عنه. إذا فشل إيمانك، فبكل تأكيد تكون ألواحُ قلبك قد كُسِرَت، وثباتُ نفسك قد تزعزع إذا فقدت الإيمان بوحدة جوهر اللاهوت في الثالوث. وإذا كان إيمانك مكتوباً، فإن خطاياك يمكن أن تُكتَب أيضاً كما يقول أرميا: "خطية يهوذا مكتوبة بقلم من حديد برأس من الماس منقوشة على لوح قلبهم" (١٧: ١). وحيث كثرت الخطية ازدادت النعمة، وإذا كانت الخطية مكتوبة بقلم، فإن النعمة أُعلنت وثَبُتَت بالروح القدس.

١٥- وعندما أحنى الرب يسوع رأسه، فقد كتب بأُصبعه على الأرض (يو ٨: ٦)، عندما قدَّموا له المرأة التي أمسكها اليهود في الزنى، فأعلن بشكلٍ رمزي أننا عندما نحكم وندين خطايا الآخرين، فعلينا أن ننتبه لخطايانا.

١٦- وحتى لا يتصور أحدٌ أنه عندما كتب الله الناموس بأُصبعه، أي بالروح القدس أن خدمة الروح أقل، وبالمقارنة بين الجسد كله والأصبع، نتصور أن الروح القدس جزءٌ ضئيل في الله. ولكن الرسول يقول في موضعٍ معين (١كور ٢: ١٣ - ١٦) إنه لا يتكلم بكلام الحكمة الإنسانية، وإنما بكلمات يعلِّمها الروح القدس لكي يمكن مقارنة الروحيات بالروحيات. هذا لأن الإنسان إذا عاش حسب الطبيعة الجسدانية، فقد عجز عن أن يتعلم الأمور التي لروح الله. وكان الرسول يعلم أن الذي يقارِن الأمور الإلهية ويقيسها بالأمور الجسدانية يعتبر من الجسدانيين وليس من الروحانيين؛ لأن الطبيعة الإنسانية بدون الروح القدس هي طبيعة لا تفهم السمائيات. ولأن الرسول سبق فعرف أن أسئلة الهراطقة هي أسئلة الإنسانية التي لا تعرف الله، قال: "مَن عَرِفَ فكر الرب حتى يرشد الرب؟" وأضاف: "أمَّا نحن فلنا فكر المسيح" (١كو ٢: ١٦).

الفصل الرابع

يمين اللّه – قوة اللّه – التقديس

الابن يُدعى يد الله اليمنى:

١٧– وإذا كان أحدٌ لا يزال يتمسك بالمقاييس الجسدانية التي تقود إلى الشكوك النابعة من المعرفة الحسية ومحاولة تطبيق مقاييس المعرفة الحسية على الأمور الإلهية، فعلى مثل هذا أن يعلم جيداً أنه لا يستطيع أن يتكلم أو يفكر بشكل صائب عن الابن، وفي نفس الوقت يفكر فكراً رديئاً عن الروح القدس. وإذا تصوَّر هؤلاء أن الروح القدس هو جزءٌ صغير من الله لأنه يشبَّه بالأُصبع، فهؤلاء إذا تصوَّروا ذلك، سوف يتصوَّرون أن الابن أيضاً هو جزءٌ صغيرٌ من الله لأنه يد الآب اليمنى.

يمين الله = قوة الله:

١٨– ولكن الابن لا يُدعى فقط يد الله اليمنى، بل أيضاً قوة الله. وإذا وزنَّا الكلام جيداً وأدركنا معناه، فهمنا أنه لا يمكن أن يكون الله كاملاً بدون قوةٍ، وعلى الهراطقة أن يحترسوا لئلا إذا تكلموا رديئاً على الابن، تكلموا رديئاً عن الآب ووصفوه بأن جوهره نصف كامل، وأنه يأخذ النصف الثاني من الابن، وهذا يجعلهم يكفُّون عن إنكار أن الابن أزلي مساوٍ للآب.

متى كان الله بلا قوة؟ وإذا تصوَّر الهراطقة أن الله كان في فترةٍ ما بلا قوة، فسوف يقعون في خطأٍ آخر هو أنه في نفس الوقت الذي كان فيه بلا قوة، كان الله الآب بلا ملء؛ لأنه عندما يكون الله بلا قوة، فهو بلا ملء، أي بلا أُلوهة.

وحدة جوهر اللاهوت ووحدة في العمل:

١٩- ولكن كما قلت سابقاً، إن هذه الأشياء قد كُتِبَت لكي يُشار بهذه الكلمات ذاتها إلى وحدة جوهر اللاهوت، ولكي نؤمن بما قاله الرسول إن "ملء اللاهوت حلَّ جسدياً في المسيح" (كول ٢: ٩). وهذا الملء هو ذاته الذي في الآب والذي في الروح القدس. وكما أن هناك وحدة في جوهر اللاهوت، كذلك فهناك أيضاً وحدة في العمل.

٢٠- والدليل على صحة ما نقوله هو ما ورد في تسبحة موسى؛ لأنه عندما قاد شعب اليهود في البحر اعترف موسى بالعمل الواحد الذي عمله الآب والابن والروح القدس في قوله: "يمينك يا رب معتزة بالقدرة، يمينك يا رب تحطِّم العدو" (خر ١٥: ٦)، وهنا اعترف بالآب وبالابن؛ لأن الابن هو يد الآب اليمنى، وبعد ذلك اعترف بالروح القدس عندما أضاف وقال: "أرسلت روحك فغطَّاهم البحر" (خر ١٥: ١٠)، وبهذا الاعتراف أعلن موسى وحدة جوهر اللاهوت، وليس عدم المساواة في الثالوث.

٢١- وهكذا نرى كيف عمل الروح القدس عملاً واحداً مع الآب والابن عندما جمَّد المياه في البحر الأحمر، فصارت المياه مثل السور، وعَبَرَ الشعبُ، ثم حرَّك الروح القدس الماء فَغَرِق المصريون. ومن ترتيب الأحداث نفهم أيضاً أن عمود السحاب الذي تقدَّم الشعب بالنهار، وعمود النار بالليل، إنما كان نعمة الروح القدس الذي خلَّص وفدى الشعب.

عمل الروح القدس:

٢٢- هذا العمل الإلهي الذي أدهش العالم كله، شرحه الرسول على أنه تم بعمل الروح القدس، وأخبرنا أنه في هذا المثال أُعلِن السِّرُّ الروحي، فكتب: "فإني لست أريد أيها الأخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة وجميعهم اجتازوا البحر

وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً" (١كور ١٠: ١-٤).

٢٣- كيف يكون مثالُ الأسرار خالٍ من عمل الروح القدس، وحقائق الأسرار كلها هي بالروح القدس؟ هذا ما علَّم به الرسول أيضاً حينما قال: "لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم ربنا يسوع المسيح وبروح إلهنا" (١كور ٦: ١١).

نشعر بعمل الروح القدس في المعمودية:

٢٤- فالآب يعمل بالابن، والابن يعمل بالروح القدس، وترتيب الأسفار هو الذي يعلِن الإيمان الصحيح. ولا نشك مطلقاً أن روح الحق يعلِن الحق كله بواسطة الرموز. وكيف ينكر الهراطقة عمله في جرن المعمودية الذي فيه نشعر بعمله ونعمته؟

الآب يقدِّس:

٢٥- وكما أن الآب يقدِّس، كذلك الابن يقدِّس، والروح القدس يقدِّس. الآب يقدِّس حسبما هو مكتوب: "وإله السلام نفسه يقدِّسكم بالتمام لتُحفَظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح" (١تسا ٥: ٢٣). وفي موضعٍ آخر يقول الابن: "أيها الآب قدِّسهم في حقك" (يو ١٧: ١٧).

الابن يقدِّس:

٢٦- وعن تقديس الابن لنا يقول نفس الرسول: "الذي صار لنا من الله حكمةً وبراً وتقديساً وفداء" (١كور ١: ٣٠). ألا ترى أن الابن صار تقديساً لنا؟ ولكنه صار تقديساً لنا ليس لأنه تغيَّر ونال شيئاً لم يكن له، وإنما صار تقديساً لكي يقدِّسنا في الجسد.

الروح القدس يقدِّس:

٢٧- ونفس الرسول يعلِّم بأن الروح القدس هو التقديس؛ لأنه يتكلم على هذا النحو: "ينبغي لنا أن نشكر الله كل حين لأجلكم أيها الأخوة المحبوبون من الرب أن الله اختاركم كباكورة ثمار للخلاص بتقديس الروح والإيمان بالحق" (٢تسا ٢: ١٣).

٢٨- **وهكذا، فالآب يقدِّس، والابن يقدِّس، والروح القدس يقدِّس، ولكن التقديس واحد؛ لأن المعمودية واحدة، ونعمة السر واحدة** (أف ٤: ٥).

الفصل الخامس

الابن والروح القدس كلاهما قوة اللّه

٢٩- وما هو العجب إذا كان الروح القدس لا يحتاج إلى تقديس، بل يفيض بالتقديس ويقدِّس كل أحد، حتى كما قلت إن عزته الإلهية عظيمة لأنه لا يمكن أن ينفصل عن عزة الله الآب مثلما لا يمكن فصل الأُصبع عن الجسد.

٣٠- ولكن إذا ظنَّ أحدٌ ما أن هذا معناه أن عمل الروح القدس هو عملٌ أقل قوة ولا ينتمي إلى القوة الواحدة لله، فهو سيسقط حتماً في جنون تصوُّر الآب والابن والروح القدس في هيئة جسد واحد، وأن الروح القدس مجرد أُصبع فيه، والأقنومين الآخرين ليسا إلا عضوين في هذا الجسد.

٣١- ولكن على الهراطقة أن يعرفوا -كما قلت سابقاً- أن المقصود ليس عدم المساواة، بل القوة الواحدة التي أخبرتنا بها هذه الشهادة. لأن كل أعمال الله التي يعملها بيده هي بذاتها التي يعملها بأُصبعه حسبما نقرأ: "السموات تخبر بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه"، وفي موضعٍ آخر: "أنت يا رب في البدء أسست الأرض والسموات هي عمل يديك" (مز ١٩: ١، ١٠٢: ٢٦). فإذا كانت السماء والأرض هي عمل يدي الله، وعمل يدي الله هو نفسه عمل الله، لذلك فلا يمكن أن يكون هناك أي تمييز بين عملٍ وآخر على حسب نوع العضو الجسدي، بل هناك وحدة في القوة.

٣٢- ولكن ما يُوصَف بأنه عمل يدي الله، هو بذاته الذي يوصف بأنه عمل أصابعه؛ لأنه مكتوب أيضاً: "لأنني أرى السموات أعمال أصابعك، القمر والنجوم أنت أسَّستها" (مز ٨: ٤). فما الذي تعمله اليد هنا ولا تعمله الأصابع؟ وما هو العمل الفائق الذي تعمله اليد وتعمل الأصابع أقل منه؟ إذ أن كل ما عملته اليد هو نفسه عملته الأصابع، كما هو مكتوب: "يا رب أعطيتني مسرة بأعمالك وابتهج بأعمال

يديك" (مز ٩٢: ٤).

٣٣- وعندما تقرأ أن الابن هو اليد، لأنه مكتوب: "ألم تصنع يدي كل الأشياء؟" وأيضاً: "أضعك في نقرة من الصخر وأسترك بيدي حتى أجتاز" (أش ٦٦: ٢ – خر ٣٣: ٢٢). فالإشارة هنا إلى سر التجسد؛ لأن قوة الله الأبدية قد أخذت الجسد كرداء، وحقاً أنها استطاعت أن تستر الإنسان من المجد الإلهي. وهكذا يتضح أن الأسفار تستعمل كلمة "يد" عن الابن، وعن الروح القدس.

٣٤- وأيضاً بما أننا نقر أن الروح هو أُصبع الله (لوقا ١١: ٢٠)، فإننا نفكر أن الأصابع (بالجمع في مز ٨: ٤) يُقصَد بها الإشارة إلى الابن والروح القدس. أخيراً يقول قديسٌ يعرف الله حق المعرفة، ومنه نال التقديس، أي من الابن والروح القدس: "يداك كونتاني وصنعتاني" (أيوب ١٠: ٨).

الفصل السادس

روح التوبيخ – روح القضاء

٣٥- ولماذا نرفض تشابُه الكلمات، وهو يشهد بأن القوة هي واحدة؟ ولأن القوة واحدة، فإن الروح القدس يوبّخ كما يوبّخ الآب والابن، وهكذا مكتوبٌ: "يا رب لا توبخني بغضبك ولا تؤدبني بسخطك" (مز ٦: ١). وفي مزمور ٥٠ يتكلم الرب هكذا قائلاً: "أُوبخك وأصف خطاياك أمام عينيك" (٥٠: ٢١). وهكذا قال الابن عن الروح القدس: "ولكن عندما أذهب أُرسل لكم الباراكليت. وعندما يأتي سوف يوبّخ العالم على خطية وبر ودينونة" (يو ١٦: ٧-٨).

٣٦- ولكن لماذا يقودنا جنون الناس عديمي الإيمان إلى الشك، كما لو كان علينا أن نبرهن على أن الروح القدس هو الذي يوبّخ، مع أن الذين يحكمون في أية قضية لا يمكنهم أن يحكموا إلا بالروح القدس؟ وأخيراً، فإن القضاء الذي نطق به سليمان، الذي عندما واجه صعوبات معينة، لا سيما وهو يواجه الأم التي خنقت طفلها الذي حبلت به وأرادت أن تأخذ طفلاً لأُمٍ أخرى، فإن هذه الأم أرادت أن تحمي ابنها فإن سليمان استطاع أن يكتشف الخدعة بمعرفة النية الصالحة للأم الحقيقية، واستطاع أن يصل إلى القرار الصحيح بواسطة عطية الروح القدس (١ملوك ٣: ١٦-٢٨). ولم يكن في قدرة أي سيف أن يصل إلى المشاعر الدفينة والخفية للمرأتين إلا الروح القدس الذي قال عنه الرب: "ما جئت لكي ألقي سلاماً بل سيفاً" (متى ١٠: ٣٤)؛ لأن العقل الداخلي العميق لا يمكن أن يخترقه السلاح أو الحديد، وإنما الروح القدس الذي قيل عنه: "روحُ الفهم قدوسٌ واحدٌ يعمل أعمالاً متنوعة ويرى كل الأشياء" (حكمة سليمان ٧: ٢٣).

٣٧- ماذا يقول النبي عن الروح القدس؟ إنه يرى كل الأشياء، ولولا ذلك ما

استطاع سليمان أن يرى الحقيقة غير المرئية، ولذلك طلب سيفاً وتظاهَر بأنه يريد تقسيم الطفل الواحد إلى قسمين، لأنه عَلِمَ أن الأم الحقيقية سوف تعتبر أن نجاة طفلها هو كل ما تتمناه، وأن حياته أفضل من تعزيتها به، أي أنها سوف تعتبر أن الرحمة أفضل من الناموس، أما التي تظاهرت بأنها أمه، فإنها سوف تعتبر أن الناموس أفضل من الرحمة، وأن القضاء على الطفل هو بمثابة انتصار لها لأنها عَميَت بشهواتها، ولأنها لم تكن تحبه كأُم. وهكذا، فإن ذلك الإنسان الروحي قادر أن يحكم في كل شيء "لأن الروحي يحكم في كل شيء" (١كو ٢: ١٥)، وقد وجد في المشاعر المستترة، الحق الذي لا يوجد أحياناً في الكلمات الظاهرة، وأن المحبة لابد وأن تعلن الحق. وهكذا غلبت الأم الحقيقية بواسطة مشاعر المحبة التي هي من ثمر الروح القدس.

٣٨- فالروح يحكم ويقضي بواسطة النبي؛ لأن كلمة الحكمة هي من الروح القدس (١كو ١٢: ٨)، فكيف يمكن أن ينكر أحدٌ أن الروح قادرٌ على أن يوبّخ العالم على الدينونة، وهو الذي يؤكد بكلمة الحكمة، حقيقة الدينونة ويظهر القضاء العادل؟

٣٩-٤٠- ولو لم يكن دانيال قد أخذ روح الله، لاستحال عليه أن يفهم شهوة الزنى التي قادت إلى الكذب، وعندما هجم الشيخان على سوسنة واتهامها بالزنى، وتحركت عواطف الناس مؤيِّدةً للشيخين، وصارت سوسنة بذلك عاجزةً أمام الذين يريدون أن ينالوا من عفتها، صَلَّت إلى الله كقاضٍ عادل، ولذلك قيل: "وسمع الرب صوتها عندما قادوها للموت وحرَّك الربُّ روح شاب صغير اسمه دانيال" (دانيال ١٣: ٤٤-٤٥). وهكذا تصرف دانيال حسب نعمة الروح القدس التي أخذها وأظهر اختلاف شهادتي الشيخين العديمين الإيمان. وهذا كان بالقوة الإلهية، فأعلن الأفكار الخفية وصار المستتر ظاهراً.

٤١- تأملوا المعجزة الإلهية المقدسة التي عملها الروح القدس. فإن التي فضَّلت أن تظل عفيفةً مهما كان، حَكَمَ الناسُ عليها، وفضَّلت أن تواجه الخطر الناجم عن براءتها وأن تتمسك بالاتضاع، فظلَّت صامتةً حتى أنه عندما حكِمَ عليها لم تقل شيئاً

حتى لا يُفزعها اللذين أرادا أن ينالا من عفتها، وصلَّت ودعت الرب، وبذلك استحقت أن يعلن الروح القدس ما في ضمائر الشيوخ.

٤٢- ليتعلم العفيف أن لا يخاف المصائب؛ لأن التي فضَّلت العفة على الحياة، لم تفقد الحياة، وإنما نالت مجد العفة مع الحياة. وهكذا أيضاً أمر الله إبراهيم أن يتغرب في أرضٍ غريبةٍ ولم يَخَف على طهارة زوجته وما ينتظره من موت. واحتفظ إبراهيم بالحياة وبطهارة زوجته، وهكذا لم يحدث أن ندم إنسانٌ على إيمانه بالله، وازدادت طهارة سارة وجعلتها تصلي بحرارة أكثر (تك ٢٠: ١ وبعده).

٤٣- ولا يجب أن يتصوَّر أحدٌ أن كلمات سفر دانيال: "وحرَّك الله روح شاب صغير" أن المقصود هنا هو أن الروح الذي في دانيال هو روح إنسان، وليس الروح القدس، ولكن مَن يكمل قراءة بقية النص، سوف يجد أن دانيال نال الروح القدس، ولذلك تنبأ. وأخيراً، إننا نجد أن الملك فضَّل دانيال على غيره؛ لأن دانيال كانت له نعمة روحية، وهكذا قال الملك: "إنك رجلٌ قادرٌ يا دانيال لأن روح الله القدوس فيك". وبعد ذلك يقول السفر: "ففاق دانيال على الوزراء لأن فيه روحاً فاضلة" (دانيال ٥: ١٤ – ٦: ٣). وهذا مثل ما حدث في عهد موسى، إذ وزَّع الله الروح الذي على موسى على القضاة (عدد ١١: ٢٥).

الفصل السابع

المسيح سيُعَاقِب بالروح القدس

٤٤- وماذا نقول عن بقية الأمور؟ إننا نعرف أن الرب يسوع لن يحكم فقط بالروح القدس، بل سوف يُعَاقِب به أيضاً.

لأنه لن يعاقِب فقط المسيح الدجال إلا بعد أن يحكم عليه أولاً؛ لأنه مكتوبٌ أن الرب يسوع سوف يُبيده بروح فمه (٢ تسا ٢: ٨). وهنا لا يحتاج الرب إلى النعمة، لأنه غير منفصل عن الوحدة في الجوهر مع الروح؛ لأن المسيح ليس بلا الروح القدس، ولا الروح القدس بلا المسيح. لأن وحدة الجوهر الإلهي لا يمكن أن تنقسم.

٤٥- وطالما قد ذكرنا هذه الحقيقة، فإننا نضيف إليها أيضاً أن الرب يسوع سوف يُبيد بروح فمه، أي أن الروح القدس هنا كما لو كان سيف الكلمة. وأخيراً، إن ما يؤكد هذا هو ما قاله الرب يسوع نفسه في الإنجيل: "ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً" (متى ١٠: ٣٤). وقد جاء لكي يعطي الروح، ولذلك فإن في فمه سيف ذو حدين (رؤيا ١٩: ١٥)، الذي هو في الحقيقة نعمة الروح. وهكذا يصبح الروح هو سيف الكلمة (الابن).

٤٦- ولكي تعلم أنه لا يوجد بالمرة أي نوع من عدم المساواة في الطبيعة الإلهية، نجد أن الكلمة هو سيف الروح القدس، لأنه مكتوب: "حاملين ترس الإيمان الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة. وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذي هو كلمة الله" (أف ٦: ١٦، ١٧).

٤٧- وبذلك يصبح سيف الكلمة هو الروح القدس، وسيف الروح القدس هو كلمة الله، وهذا يعني أنهما واحدٌ في القوة.

الفصل الثامن

وحدة الآب والابن والروح

٤٨- ويمكن أن نرى هذه الوحدة في فقرات أخرى من الأسفار. يقول حزقيال لشعب اليهود: "من أجل إنكِ لم تذكري أيام صباك، بل اسخطتني في كل هذه .. يقول السيد الرب" (١٦: ٤٣).

ويقول بولس للشعب الجديد في رسالته: "لا تحزنوا روح الله القدوس الذي به قد خُتمتم" (أف ٤: ٣٠). وأيضاً يقول أشعياء عن اليهود: "ولكنهم تمردوا وأحزنوا روح قدسه" (أش ٦٣: ١٠). ويقول داود عن الله: "ثم عادوا أيضاً ليخطئوا إليه لعصيان العلي في الأرض الناشفة. وجربوا الله في قلوبهم بسؤالهم طعاماً لشهواتهم" (مز ٧٨: ١٧-١٨).

٤٩- وتعلم من ذلك أنه بينما تقول الأسفار إن الذي جُرِّبَ هو الروح القدس فإنها تقول أيضاً إن الذي جُرِّبَ هو الله. ونفس الأسفار تقول أيضاً إن الذي جُرِّب هو المسيح؛ لأن الرسول يقول للكورنثيين: "ولا نجرِّب المسيح، كما جرَّبه أُناسٌ منهم، فأهلكتهم الحيَّات" (١كو ١٠: ٩). وهكذا كانت عقوبتهم، لعل الذين يقاومون الإيمان يشعرون بآثار السم لأنهم لم يعبدوا الخالق (الروح القدس).

٥٠- وحينما رُفِعَت الحيَّة النُحاسية (عدد ٢١: ٩)، أمر الرب بأن تشفي جروح الذين عضتهم الحيات، وكانت الحية النحاسية رمزاً للصليب. ومع أن المسيح عُلِّقَ على الصليب بالجسد إلا أن فيه صُلِبَ الرسول وصُلِبَ العالم أيضاً له؛ لأنه يقول: "العالم قد صُلِبَ لي وأنا للعالم" (غلا ٦: ١٤). فالعالم بإغراءاته قد صُلِب. ولم تُصلب الحية النحاسية، بل صُلِب الرب حقاً بالجسد؛ لأنه حقاً أخذ شكل الخطاة، وحتى أنه كما كانت الحية النحاسية تشبه الحية الحقيقية، كذلك كان جسد الرب يشبه أجسادنا دون أن تكون فيه خطية؛ لكي -وقد أخذ الطبيعة الإنسانية الضعيفة- يُبيد حمأة الخطية

بالجسد، ويُهلك خبث الحية الحقيقية. وهكذا بصليب الرب الذي جاء لمعونتنا في وطأة التجربة، أستطيع أنا، الذي قبلت دواء الثالوث، أن أكتشف مقاومة الأشرار للثالوث.

٥١- لذلك، حينما تقرأ كتاب موسى (عدد ٢١: ٦)، وتجد أن الرب جُرِّب، فأرسل الحيات على شعب اليهود. فإما أن تعترف بوحدة الجوهر الإلهي للآب والابن والروح القدس، أو يكون قول الرسول إن الروح القدس قد جُرِّب، هو إشارة لا شك فيها. إن الروح القدس هو المقصود بكلمة "الرب". ولكن الرسول عندما كتب إلى العبرانيين يقول إن الروح القدس هو الذي جُرِّب: "لكن يقول الروح القدس، اليوم أن سمعتم صوته، فلا تقسوا قلوبكم، كما في يوم الاسخاط، يوم التجربة في القفر، حيث جربني آباؤكم اِختبروني وأبصروا أعمالي أربعين سنةً، لذلك مَقَتُّ ذلك الجيل وقلت إنهم دائماً يضلون في قلوبهم، ولكنهم لم يعرفوا سبلي حتى أقسمت في غضبي لن يدخلوا راحتي" (عب ٣: ٧-١١).

٥٢- لذلك وحسبما ذكر الرسول، فالذي جُرِّب هو الروح القدس. فإذا كان الروح قد جُرِّب، صار من الواضح أنه هو الذي كان يقود اليهود إلى أرض كنعان، كما هو مكتوبٌ: "الذي سيَّرهم في اللجج كَفَرَسٍ في البرية، فلم يعثروا، كبهائم تنزل إلى وطاء، روح الرب أراحهم" (أشعياء ٦٣: ١٣ — ١٤). وكان الروح نفسه هو الذي يُمطِر عليهم مطر التعزية السماوية. هو نفسه أيضاً الذي أمطر عليهم المطر الغزير، وجعل الحصاد وفيراً لأرضٍ لم تُزرَع من قبل ولا غَرَسَ فيها فلاحٌ بذراً.

٥٣- والآن يبقى علينا أن ننظر إلى هذه الأحداث واحدة بعد الأخرى. لقد أوصى الله اليهود بالراحة، والروح القدس يقول إن هذه الراحة هي راحته هو. الله الآب يقول إنه هو الذي جُرِّب من عديمي الإيمان، والروح القدس يقول إنه هو الذي جُرِّب. إذن، الذي جُرِّب هو الله الواحد، وتجربةٌ واحدةٌ موجَّهةٌ ضد الواحد في الثالوث. وحَكَم الله على شعب إسرائيل بمنعهم من دخول الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً (عدد ١٤: ٨)، أي راحة القيامة. والروح القدس أيضاً يحكم بنفس الحكم قائلاً: "لن يدخلوا راحتي"

(مز ٩٥: ١١). إن الحكم هو حكمٌ واحدٌ صادرٌ من إرادة واحدة؛ لأن القوة الفائقة التي تحكم هي قوة واحدة.

الفصل التاسع

روح اللّه هو روح المسيح، وهو اللّه

٥٤- وربما اعترض أحدٌ وقال إن الفقرة المذكورة لا يمكن أن تُقتَبس للكلام عن الروح القدس، ولكن الرسول بطرس هو الذي علَّمنا أن الروح القدس يمكن أن يجرَّب بواسطة خطايانا. وهكذا قال بطرس لزوجة حنانيا: "لماذا اتفقتما على تجربة روح الرب" (أع ٥: ٩). وروح الرب هو نفسه روح الله؛ لأنه يوجد روح قدس واحد، كما علَّمنا الرسول بولس قائلاً: "أما أنتم فلستم في الجسد، ولكن في الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم. ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح، فهو ليس للمسيح" (رو ٨: ٩-١٠). فقد تكلم أولاً عن روح الله، وبعد ذلك مباشرة قال إنه هو نفسه روح المسيح، وعندما تكلم عن الروح القدس أراد أن يعلِّمنا أنه حيث يوجد الروح القدس، يوجد المسيح أيضاً، ولذلك السبب أضاف: "وإذا كان المسيح فيكم".

٥٥- إذن، كما رأينا هنا أنه حيث يوجد الروح القدس، يوجد المسيح أيضاً، فإن الرسول يوضِّح لنا أنه حيث يوجد المسيح، يوجد أيضاً الروح القدس. وهذا ظاهرٌ من قول الرسول: "هل تريدون برهاناً عن المسيح الذي يتكلم فيَّ"، وفي موضعٍ آخر يقول: "وأنا أعتقد أن عندي روح الله" (٢كو ١٣: ٣ – ١كو ٧: ٤٠). فالوحدة لا يمكن أن تنفصل؛ لأنه حسب شهادة الأسفار، حيثما يوجد الآب أو الابن أو الروح القدس، فإن الكائن هو ملء الثالوث.

٥٦- ولكن بطرس في الفقرة التي مرَّت بنا أشار أولاً إلى الروح القدس عندما وصفه بأنه روح الرب؛ لأنه مكتوب: "يا حنانيا لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس وتختلس من ثمن الحقل. أليس وهو باق كان يبقى لك. ولما بيع ألم يكن في سلطانك، فما بالك وضعت في قلبك هذا الأمر. أنت لم تكذب على الناس بل على

الله" (أع ٥: ٣-٤). وبعد ذلك يقول لزوجته: "ما بالكما اتفقتما على تجربة روح الرب" (أع ٥: ٩).

٥٧-٥٨- فإذا فهمنا أن الكلمات التي استُخدِمت هي عن الروح والآب، فإننا نرى في الله الآب، وفي الروح القدس وحدة الحق والمعرفة؛ لأن الكذب هو ضد الروح القدس، وهو أيضاً ضد الله الآب. وإذا كان هذا هو الحق، فلماذا تحاول أيها الإنسان العديم الإيمان أن تنكر ما تقرأه في سفر الأعمال؟ لم يبقى أمامك، إما أن تعترف بوحدة جوهر لاهوت الآب والابن والروح القدس، وإما أن تعترف بأُلوهية الروح القدس. وماذا تختار أن تقول سيكون هو الصواب لأن الاعتراف بوحدة جوهر اللاهوت هو الاعتراف بأُلوهية الروح القدس، والاعتراف بأُلوهية الروح القدس هو اعترافٌ بوحدة جوهر الآب والابن والروح القدس.

الفصل العاشر

الولادة من الروح

٥٩- ولا تشهد الأسفار بوضوح في هذه الفقرات فقط إلى أُلوهية الروح القدس، وإنما شَهِدَ الرب يسوع المسيح نفسه بأن "الروح هو الله". هذه الشهادة رفضها الأريوسيون حتى أنهم حذفوها بالمرة من كتاباتهم التي تقوم على شهادات خاصة يجمعونها، وليست شهادات الكنيسة. وهكذا حُذِفَت شهادة الرب يسوع المسيح عن الروح القدس عندما أخذ الأسقف الأريوسي أوكسينتوس[١] العديم الإيمان كنيسة ميلان بقوته العسكرية، أو ما حدث في كنيسة سيرميوم التي استولى عليها فالنس، ويورساتيوس مع كهنتهم، وكذلك أيضاً فعل الأريوسيون نفس الشيء في الشرق.

٦٠- ولقد كان في استطاعة هؤلاء أن يمنعوا كتاباتنا ورسائلنا، ولكنهم كانوا عاجزين عن أن يزيلوا الإيمان. وما حذفتموه من شهادات عن أُلوهية الروح القدس لم يهدم الإيمان، بل لقد عجزتم عن ذلك تماماً. ولكن، عندما حذفتم شهادات الحق، حُذِفَت أسمائكم من سفر الحياة. لماذا حذفتم هذه الشهادة "الروح هو الله"؟ ولماذا تريدون أن تعترفوا بأن الآب وحده هو الله كما لو كان من العسير أن نجد الفقرات والشهادات المناسبة التي تؤكد أن الروح القدس هو الله؟ إن عدم إيمانكم هو الذي يعمي عيونكم ويجعلكم مثل الوثنيين؛ لأن إنكارَ الروح هو إنكارٌ لله الآب أيضاً، وإذا استمر إنكاركم للإيمان على هذا النحو، فإنكم تكونون قد أنكرتم كل كلمة الله.

٦١- لقد محوتم حقاً من قلوبكم وعقولكم كلمة الله والروح القدس، ولكن هذا

---

(١) أوكسينتوس احد أقطاب الأريوسية رسمه كاهن غريغوريوس الكبادوكي الذي طرد القديس أثناسيوس من الإسكندرية واستولى على كرسي الإسكندرية. وهكذا صار أسقفاً على ميلان في ٣٥٥م حتى وفاته في عام ٣٧٤م.

لن يؤثر على الابن والروح القدس، وإنما يمنع الله نفسه عنكم وعن عقولكم الجاحدة، ولا يعطي لكم نعمةً. وإذا كان هو الذي يمحو الآثام كما هو مكتوب: "أنا هو، أنا الذي أمحو ذنوبكم" (أشعياء ٤٣: ٢٥). وعندما كان موسى يتوسل من أجل الشعب قال: "امحُني من كتابك، إذا لم تبقي على هذا الشعب" (خر ٣٢: ٣٢)، ولكن الله لم يشاء أن يمحوه لأنه لم يكن قد أخطأ بل أفاض عليه النعمة.

٦٢- إن ما تعترفون به هو الذي يحكم عليكم، وهو خالٍ من الحكمة ومملوءٌ من المكر. وأنتم تعرفون أن شهادات الأسفار عن الروح القدس تحكم عليكم، ولكن مكركم يخدعكم ويجعلكم غير قادرين على مواجهة شهادات الأسفار.

٦٣- وإذا أخذنا واحدة من هذه الشهادات، فهي تؤكد لنا أن نيقوديموس عندما سأل عن الميلاد الثاني، أجابه الرب: "الحق الحق أقول لك إن مَن لم يولد مرةً ثانية من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو ٣: ٥). وأعلن أنه يوجد ميلاد جسداني واحد، وميلاد آخر من الروح القدس، فأضاف: "المولود من الجسد هو جسد لأنه مولود من الجسد، والمولود من الروح هو روح لأن الروح هو الله"[١] (يو ٣: ٦). وإذا درسنا بعناية الفقرة كلها، سوف تجدون أن الرب قد قلع عدم إيمانكم من جذره، عندما أعلن التعليم كاملاً بقوله: "لا تتعجب لأني قلت لك يجب أن تولد ثانيةً. الروح يهب حيث يشاء وتسمع صوته، ولكنك لا تعلم من أين يأتي ولا إلى أين يذهب، هكذا كل مَن وُلِدَ من الروح" (يو ٣: ٧-٨).

٦٤- ومَن هو الذي يُولد من الروح؟ ومَن هو الذي يُخلَق ليكون روحاً إلا الذي يتجدد بروح ذهنه، وحقاً هذا يحدث في الماء والروح؛ لأننا بحميم الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، ننال رجاء الحياة الأبدية (أف ٤: ٢٣). وفي موضعٍ آخر يقول الرسول بطرس: "سوف تتعمدون بالروح القدس" (أع ١١: ١٦). ومَن الذي سيتعمَّد بالروح

---

(١) هذه هي الترجمة اللاتينية الشائعة في كنيسة ميلان وتؤيدها بعض المخطوطات اليونانية.

القدس إلا الذي يُولد مرةً ثانيةً من الماء والروح القدس؟ إذن، كان الرب يقصد الروح القدس عندما قال: "الحق الحق أقول لكم إن كان أحدٌ لا يُولد من الماء والروح .."، وهذا يعني أننا وُلِدنا منه من الروح القدس، وهو الذي دُعيَ "الروح" في الفقرة المأخوذة من الإنجيل ودُعيَ "الروح القدس" في حديث القديس بولس.

٦٥- ويبقى أن أسأل: هل لديكم شك في أننا نولد ثانيةً بواسطة الروح القدس، مع أن الرب يسوع نفسه قد وُلِد ووُلِد ثانيةً من الروح القدس؟ فإذا اعترفتم أنه وُلِد من الروح القدس (متى ١: ٢٠)، فإنكم لا تستطيعون أن تنكروا أنه وُلِد ثانيةً (متى ٣: ١٦)، وما أعظم غباوتكم التي تجعلكم تعترفون بما هو خاصٌّ بالله، وتنكرون ما هو معروفٌ عن الإنسان، وهكذا ينطبق عليكم ما قيل لليهود: "إن كنت قد قلت لكم الأرضيات، ولستم تؤمنون، فكيف تؤمنون إذا قلت لكم السمائيات" (يو ٣: ١٢).

٦٦- كما أنكم تجدون أنه مكتوبٌ في الأصل اليوناني أن الرب لم يقل بواسطة الروح القدس، بل من الروح القدس. وهذا لا يحمل أحداً على الشك في أن الروح القدس هو المقصود، وبالتالي لا يبقى شك في أن الروح القدس هو الله؛ لأنه مكتوب: "الروح هو الله".

٦٧- وفي موضعٍ آخر يقول نفس الإنجيل شارحاً ما كتبه ومؤكِّداً أنه عن الروح القدس: "المسيح يسوع بالماء والدم، وليس بالماء فقط، بل بالماء والدم. والروح يشهد لأن الروح هو الحق. لأن الذين يشهدون هم ثلاثة: الروح والماء والدم، وهؤلاء الثلاثة هم واحد" (١يو ٥: ٦-٨).

٦٨- واسمع كيف هم شهود: الروح يجدد العقل، والماء واهب الغُسل، والدم هو الفدية. فالروح جعلنا أبناء الله بالتبني، والماء هو ماء المعمودية المقدس الذي به اغتسلنا، ودم الرب هو الذي فدانا، وهكذا ننال شهادةً واحدةً غير منظورةٍ، وهي بذاتها منظورةً في شهادة الميلاد الروحي الجديد لأن الروح يشهد لأرواحنا (رو ٨: ١٦). ورغم أن كل ملء السر واحد في الكل، إلا أنه يوجد تمايز في الوظيفة (الماء والدم والروح)، حيث يوجد تمايز في الوظيفة فالشهادة متعددة.

الفصل الحادي عشر

العبادة بالروح والحق

٦٩- وربما قال أحدٌ إن الرب في إنجيل يوحنا عندما تكلم عن الله كروح، كان يقصد الله الآب، كما نجد في الإنجيل: "والآن الساجدون الحقيقيون للآب يسجدون بالروح والحق. لأن الآب يطلب هؤلاء الساجدين. الله روح والذين يسجدون له إنما يجب أن يسجدوا بالروح والحق" (يو ٤: ٢٣-٢٤). ومَن يفهم هذه الفقرة فهماً خاطئاً، فهو لا ينكر فقط أُلوهية الروح القدس، بل ينكر أن الله إنما يُعبَد بالروح محاولاً أن يجعل الروح القدس كأحد خدام الله.

٧٠- وعلى هذه النقطة بالذات، سوف أرد باختصار مؤكِّداً أن الروح القدس إنما يقدَّم في الأسفار الإلهية عادةً على أنه نعمة، كما يقول الرسول: "الروح يشفع فينا بأنَّاتٍ لا يُنطق بها" (رو ٨: ٢٦). وهذه هي نعمة الروح[١] إلا إذا كنت قادراً على أن تسمع أنَّات الروح القدس. وهنا يجب أن نقول إنه هكذا نعبد الله، ليس بنفاق الثعلب ولكن بنعمة الروح: "لأن الحكمة لا تدخل الثعلب المنافق" (سفر حكمة سليمان ١: ٤)، وهذا يعني أنه "لا يستطيع أحدٌ أن يقول إن يسوع هو ربٌّ إلا بالروح القدس"، وبعد ذلك يقول مباشرة: "ولكن أنواع المواهب متنوعة" (١كو ١٢: ٣-٤).

٧١- وهكذا نرى أن عمل الروح القدس الخاص في الموهبة، أو عمله الكامل هو فوق إدراك العقل؛ لأن العقل لا يُدرك ملئَهُ، ولا يستطيع أن يدرك حتى عمَلَهُ الخاص في المواهب المتنوعة التي لا تعني أن الروح ينقسم عندما يوزِّع عطاياه، ولكن الروح يسكب العطية التي تجعل الإنسان قادراً على أن يعبد الله بالروح كما يعبده بالحق. ولا

---

(١) المقصود هنا كما نرى من سياق الكلام ما يقدمه الروح كمعونة للإنسان.

يستطيع أحد أن يعبده إلا بواسطة الحق الذي يعطيه الله نفسه. وهذا لا يعني أننا نحيط تماماً بالمسيح أو بالروح القدس تمام الإحاطة عندما نعبد الله الآب.

٧٢- ولكن إن كنت تعتقد أننا نعبد الله حقاً بالروح القدس وفي المسيح، فإن هذه هي العبادة الحقيقية، وبالتالي إما أننا نعبد الله بالحق، وهذا يعني وحدة النعمة الإلهية، أو أننا نعبده فقط بدون الابن والروح القدس، وهذه عبادة غير حقيقية؛ لأننا لا نعرف الله ولا نستطيع أن نعبده حقاً بدون الابن والروح القدس.

٧٣- علينا أن نجمع ما يكفي من الأدلة لكي ننقض أسئلة الأريوسيين التي بلا تقوى؛ لأنهم إذا قالوا إن الروح القدس لا يُعبَد لأن الله هو الذي يُعبَد بالروح، فهل سيقولون أيضاً إن الحق لا يُعبَد لأن الله يُعبَد بالحق. ولكن إذا صحَّ هذا، فإن الحق (الله) لا يُصبح هو الذي يُعبَد؛ لأننا نعبد بالحق. ومع أن كلمة الحق لها معانٍ كثيرة إلا أننا نعرف ذلك المعنى الواحد المعروف لنا في الأسفار المقدسة، وهو المعنى الذي يتعارض مع الحق الذي يتوهَّمه البشر؛ لأن الحق هو الذي أُعلِن بواسطة المسيح: "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤: ٦). فإذا كان المسيح هو الحق، فإننا نعبده مع الله الآب، وبالتالي نعبد الروح القدس مع الآب والابن؛ لأنه هو الذي أعطانا نعمة العبادة الحقيقية.

٧٤- وأعمال القديسين والقديسات وأقوال الأسفار ترد على كفر الأريوسيين، فقد سجدت مريم المجدلية للمسيح؛ ولذلك اختارها كمبشِّرٍ برسالة القيامة للرسل (يو ٢٠: ١٧-١٨).

وبذلك حرَّر المرأةَ من الشك الموروث، ومن لعنة جنس النساء. لقد فعل الرب هذا في سِرٍّ لأنه حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً (رو ٥: ٢٠). وباستحقاقٍ، تم اختيار المرأة كرسولٍ للرجال، لأن التي أعلنت الخطية أولاً للرجل، صارت أول مَن يعلن نعمة الرب[١].

---

(١) هكذا شرح كل الآباء اختيار مريم المجدلية كأول مَن يبشِّر بالقيامة، وفي نفس الإطار أيضاً كوَّنت الكنائس الشرقية الأرثوذكسية تسابيح القيامة مبتهجةً بزوال لعنة المرأة القديمة وتحررها مما أخذته من حواء.

٧٥- وهكذا سجد الرسلُ أيضاً (متى ٢٨: ١٧)؛ لأنهم نالوا برهان الإيمان بالقيامة، وأخذوا سلطان الإيمان. والملائكة أيضاً سجدوا؛ لأنه كُتِب عنهم: "ولتسجد له كل ملائكة الله" (عب ١: ٦).

٧٦- وقد سجد هؤلاء، ليس للاهوته فقط، بل سجدوا أيضاً لموطئ قدميه كما هو مكتوب: "اسجدوا لموطئ قدميه لأنه قدوس" (مز ٩٩: ٥). أما إذا أنكروا أنه في المسيح تُعبَد أسرار التجسد، كما لاحظنا في الأقوال الإلهية التي تشير بعبارات واضحة إلى أُلوهية الكلمة السماوي، فإننا نوجِّه انظارهم إلى أن يقرأوا ما كُتِب عن الرسل الذين سجدوا له عندما قام بجسده ممجداً (متى ٢٨: ١٧).

٧٧- وإذا كان المسيح لا ينقص شيئاً عن الآب عندما نعبد الله الآب في المسيح، ولأننا عندما نفعل ذلك نعبُد المسيح أيضاً، فحقاً لا ينقص الروح القدس شيئاً عن الله الآب، لأننا نعبد الله الآب في الروح القدس، كما يقول الرسول بولس: "لأننا نحن نخدم روح الله" (فيلبي ٣: ٣). وكل مَن يخدم، هو في الواقع يعبُد لأنه مكتوب: "تعبُد الربَّ إلهك وإياه وحده تخدم" (تثنية ٦: ١٣).

٧٨- وحتى لا يخطئ أحدٌ في فهم معنى "اسجدوا لموطئ قدميه"، فإننا نقول إن هذه إشارةً إلى سر التجسد؛ لأن الوقوف على القدمين هي عادةٌ خاصةٌ بالبشر، والله ليس محسوساً ولا هو محصورٌ في مكان، وبالتالي لا نستطيع أن نفكر في أن لقدميه مكاناً يقف فيه، ونصُّ المزمور "اسجدوا لموطئ قدميه" نَطَقَ به مَن يعرف الشريعة، ولا يمكن أن يخالفها، والشريعة تقول: "للرب إلهك تسجد وإياه تخدم"، وبالتالي، فنصُّ المزمور يوجِّهنا لعبادة الله. وقيل أيضاً في موضعٍ آخر: "السماء هي عرشي والأرض موطئ قدمي" (أشعياء ٦٦: ١). **فما هو المقصود بموطئ قدميه؟** ليس طبعاً الأرض؛ لأننا لا نعبُد الأرض، ولا نسجد لها لأنها مثلنا، إحدى مخلوقات الله.

٧٩- ولكن إذا لاحظنا أن ما يدعوه النبي بالأرض، أي موطئ قدمي الله، والذي نسجد له، هو الطبيعة الإنسانية التي أخذها الرب يسوع، فهكذا نسجد

لموطئ قدميه، أي نسجد للطبيعة الإنسانية، أي جسد المسيح، والذي نعبُده الآن في الأسرار، وهو ما عبده الرسل كما ذكرنا سابقاً (متى ٢٨: ١٧)؛ لأن المسيح لا ينقسم إلى اثنين بل هو واحدٌ. وإذا سجدنا له كابن الله، لا يمكن أن ننكر أنه هو بذاته الذي وُلِدَ من العذراء. فإذا كنا نسجد لسر التجسد، وسر التجسد هو عمل الروح القدس، كما هو مكتوب: "الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك. لذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لوقا ١: ٣٥)، فإننا –بدون شك– نسجد للروح القدس عندما نسجد لمن وُلِد بالجسد من الروح القدس.

٨٠- ولا يجب أن يحوّل أحدٌ هذا الشرح إلى العذراء مريم؛ لأن مريم هي هيكل الله، وليست إله الهيكل الذي هو وحده يُعبَد؛ لأنه هو وحده الحال والعامل في الهيكل.

٨١- ولا يتعارض قولنا بأن الله يُعبَد بالروح القدس مع البراهين التي قدمناها، لأن الروح القدس يُعبَد عندما نَعبُد الله الآب، وإذا درسنا جيداً كلمات الأسفار، وجدنا أنه لا توجد سوى وحدة وقوة الآب والابن والروح القدس، وما هو معنى الكلمات: "يجب أن يسجدوا بالروح والحق" (يو ٤: ٢٤)؟ فكيف نفهم هذه الكلمات إلا في إطار الإيمان الصحيح؟ ألا تعطينا التعبير الدقيق عن أُلوهية المسيح والروح القدس؟

٨٢- كيف يمكن أن نَعبُد الآب في المسيح؟ أليس لأن الآب في المسيح، ويتكلم في المسيح، ويبقى في المسيح؟ وحقاً الآب ليس في المسيح كجسد في جسد؛ لأن اللاهوت ليس له جسم، ولا كواحدٍ يذوب في آخر، وإنما كإلهٍ حق في إلهٍ حق، ونورٍ في نور، وآبٍ أزليٍّ في ابنٍ أزلي. فالكلام هنا ليس عن علاقة جسدية، وإنما عن وحدة الجوهر ووحدة القوة. وهكذا بسبب وحدة قوة الآب والابن، نعبُد الله الآب في ابنه يسوع المسيح. وهكذا بسبب وحدة نفس القوة نعبُد الروح القدس عندما نعبُد الله الآب بالروح القدس.

الخلق بالابن والتجديد بالابن:

٨٣- وعلينا أن نفحص قوة هذه الكلمات وما فعلته لنا من حقائق، وأن نجمع معاني هذه الكلمات من الأسفار الأخرى. لقد قيل: "خلقت كلَّ شيءٍ بحكمةٍ" (مز ١٠٤: ٢٤)، فماذا نفهم من هذه الكلمات؟ هل الحكمة لم تشترك في خلق الكائنات؟ ولكن يقول مصدرٌ آخر "كلُّ شيء به خُلِق" (يو ١: ٣). وداود يقول: "بكلمة الرب تأسَّست السموات" (مز ٣٣: ٦). **وهكذا، فالذي يقول إن ابن الله هو خالق الكائنات السماوية، هو ذاته الذي يقول إنه هو خالق كل الأشياء، حتى إذا جاء ابن الله لتجديد الخليقة، لا ينفصل الابن من الآب في عمل التجديد بل يكون واحداً معه على الدوام.**

فيه وبه وله كل الاشياء:

٨٤- ويقول بولس أيضاً: "لأن فيه خُلِقت كل الأشياء ما في وما على الأرض ما يُرى وما لا يُرى" (كول ١: ١٦). وعندما يقول: "فيه"، فهل ينكر أنه هو خالقُ كل الأشياء؟ حقاً لم ينكر، وإنما يعلِن هذا بكل وضوح. وأخيراً يقول في موضعٍ آخر: "ربٌّ واحدٌ يسوع المسيح الذي به كل الأشياء" (١كو ٨: ٦). فإذا قال: "به"، هل أنكر أن كل الأشياء قد خُلِقَت بواسطته، وهو الذي يؤكِّد أن الكل خُلِق به؟ ولكن "فيه" و"به" لهما ذات المعنى أنه هو الخالق. وهذا ما أعلنه في فقرةٍ أخرى: "كل الأشياء قد خُلِقت به وفيه"؛ لأننا قلنا سابقاً[١] إن الأسفار تشهد بأن "فيه" و"به" و"معه" هي ذات دلالة واحدة، وتشهد بأن المسيحَ واحدٌ، وهو الذي به وله وفيه قد خُلِقَت كل الأشياء.

٨٥- تعلم إذا أن الآب مع الابن، وأن الابن مع الآب عندما خُلِقَت كل الأشياء بواسطة الابن. يقول الحكمة: "لما ثبَّت السموات كنتُ هناك أنا، لما رسم دائرةً

(١) راجع الكتاب الثاني عن الروح القدس لامبروسيوس فصل ٨، ٩.

على وجه القمر. لما أثبت السحاب من فوق" (أمثال ٨: ٢٧-٢٨). ويقول الآب أيضاً في العهد القديم: "لنخلق الإنسان" (تك ١: ٢٦)، **وبذلك يعلِن أن الابن كائنٌ معه وتقدَّم له العبادة مع الآب؛ لأنه مع الآب خالق كل الأشياء. وهكذا، فالأشياء التي تُوصَف بأنها قد خُلِقَت بواسطة الابن، تؤكِّد أن الابن هو خالقها. وهكذا على نفس القياس، إذ قيل إن الله يُعبَد بالحق، فإن المعنى الواضح لهذه الكلمات، هو أن الابن أيضاً يُعبَد عندما تقدَّم العبادة للآب. وعلى نفس القياس، يُعبَد الروح القدس أيضاً؛ لأن الذي يُعبَد هو الله في الروح القدس. لذلك، إذا قُدِّمت العبادة للابن، قُدِّمت للآب والروح. وإذا قُدِّمت للروح، قُدِّمت للآب والابن؛ لأن الثالوث الواحد هو الذي يُعبَد.**

الفصل الثاني عشر

الروح يُشرِق في قلوبنا، ويَحلُّ فينا

٨٦- هل ينكر أحدٌ أن أُلوهية الثالوث الأزلي هي التي تُعبَد، بينما الأسفار تقدِّم لنا العزةً غير المدركة للثالوث والتي يقول عنها الرسول في موضعٍ معيَّنٍ: "الله الذي قال أن يُشرِقَ نورٌ من ظلمةٍ، هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح"؟

٨٧- وحقاً عاين الرسل هذا المجد عندما تجلى الرب يسوع على الجبل بنور أُلوهيته، فقيل إن الرسل رأوا ذلك وسقطوا على وجوههم (متى ١٧: ٦). ألا ترى أنهم عندما سقطوا على وجوههم، أنهم سجدوا لأنهم لم يحتملوا بهاء النور الإلهي، ولا استطاعت عيونهم اللحمية أن ترى بهاء النور الأزلي الذي كان يمكن أن يعمي قوة البصر المائتة؟ وماذا قالوا في ذلك الزمان عندما رأوا مجده: "هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا" (مز ٩٥: ٦). لأنه في ذلك الزمان أشرق نور معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح (٢كو ٤: ٦).

٨٨- مَن الذي أشرق لكي نعرف الله في وجه يسوع المسيح؟ لقد قال الرسول: الله أشرق لكي نعرف مجد الله في وجه يسوع المسيح. ومَن ذا الذي أشرق إلا الروح القدس الذي أعطى هذا الاعلان؟ ومَن غير الروح القدس الذي أشارت إليه قوة اللاهوت؟ وبالتالي يصبح من الحتمي على الذين يبعدون الروح القدس، أن يقدموا آخر غيره ليكون له مع الآب والابن مجد اللاهوت.

٨٩- لنعيد نفس الكلمات: "الله الذي قال أن يُشرق نورٌ من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا نور معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح". هنا نجد إشارةً واضحةً للمسيح، ولكن مجد مَن هو الذي قيل عنه إنه يُشرق النور، سوى الروح القدس؟ هنا نرى

إنه يقدِّم الله نفسه؛ لأن الرسول يتكلم عن مجد الله، ولو كان يقصد الآب، فمِن الواضح أن الذي قيل عنه أشرَقَ في قلوبنا نور معرفة الله هو الروح القدس؛ لأننا لا يمكن أن نعبد آخر مع الآب والابن، فإذا كان الرسول قد تكلم عن الروح القدس كإلهٍ، فلماذا تنكره؟ يجب أن تعترف بأُلوهية الروح القدس.

٩٠- لكنكم بلا خجل تنكرون الروح القدس مع أنكم تقرأون أن الروح القدس هيكلٌ؟ لأنه مكتوب: "إنكم هيكل الله، وروح الله ساكن فيكم" (١كو ٣: ١٦). إذن، يوجد هيكلٌ لله، أما المخلوق فليس له هيكل حقيقي، لكن الروح يسكن فينا، أي يسكن في هيكلٍ؛ لأنه مكتوب: "جسدكم هو هيكلٌ للروح القدس" (١كو ٦: ١٥).

٩١- والروح القدس يسكن في الهيكل، ليس ككاهنٍ ولا خادمٍ، ولكن كإلهٍ؛ لأن الرب يسوع نفسه قال: "سوف أسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً" (لاويين ٢٦: ١٢). ويقول داود: "الله في هيكل قدسه" (مز ١١: ٤). وهكذا يسكن الروح القدس في هيكله المقدس، مثلما يسكن الآب ويسكن الابن الذي قال: "أنا والآب سنأتي إليه وعنده نصنع منزلاً" (يو ١٤: ٢٣).

- وهكذا نُلاحظ أن الآب والابن والروح القدس، يسكنون في مسكنٍ واحدٍ؛ لأنهم واحدٌ ولهم ذات الطبيعة الواحدة. وهكذا الروح له القوة الإلهية؛ لأنه يسكن في هيكل، وكما أننا هيكل الآب والابن، هكذا أيضاً نحن هيكل الروح القدس. وطبعاً لا يوجد عدة هياكل، بل هيكلٌ واحدٌ؛ لأنه لا توجد سوى قوةٌ واحدةٌ في هيكلٍ واحدٍ.

٩٢- وبالإضافة إلى ذلك نرى أن الآب يسكن فينا بالروح القدس الذي أعطاه لنا، فكيف يمكن لطبائع مختلفة أن تسكن معاً؟ طبعاً لا يمكن. ولكن الروح القدس يسكن مع الآب والابن. وهذا ما جعل الرسول يضم شركة الروح القدس إلى نعمة يسوع المسيح ومحبة الله الآب في قوله: "نعمة ربنا يسوع المسيح وشركة الروح القدس تكون مع جميعكم" (٢كو ١٣: ١٣).

الفصل الثالث عشر

وحدة جوهر اللاهوت تمنع تعدُّد الآلهة

٩٢ (أ)- ومِن ماذا تخاف؟ هل تخاف من الاتهام بأنك تؤمن بثلاثة آلهة؟ حاشا لله؛ لأنه طالما أننا نعتقد بإلهٍ واحدٍ، فهو هذا الواحد الذي نعترف به. ونحن لا نتكلم عن إلهين عندما نتكلم عن الابن كإله. وحتى عندما نعترف بأُلوهية الروح القدس، فلا تظن أن هذا يؤدي إلى الإيمان بثلاثة آلهة؛ لأننا عندما نعترف بأُلوهية الابن، وهو الحقيقة التي لا يمكن إنكارها، لا يؤدي هذا الاعتراف إلى الإيمان بإلهين. وهكذا حسب رأيك، إذا كان اسم الله هو اسمٌ لأُقنومٍ واحدٍ، وليس للطبيعة الإلهية، فإننا لا يمكن في هذه الحالة أن نتكلم عن إلهٍ واحدٍ، بل إلهين لأنك تعتقد أن الابنَ هو إلهٌ.

٩٣- وإذا عذرنا جهلك، فإننا لا نعفيك من مسئولية الجهل. لأنه حسب اعتقادنا، يوجد إلهٌ واحدٌ وجوهرٌ وقوةٌ واحدة. وكما قلنا إنه يوجد إلهٌ واحدٌ، فإننا نعترف بأن الآب بالطبيعة هو الله، وهذا الاعتراف يتضمن الاعتراف بالابن أيضاً، ولا يؤدي بنا إلى إنكار الروح القدس؛ لأن جوهر اللاهوت واحد.

وهذا لا يؤدِّي بنا إلى القول بثلاثة آلهة، وإنما نحن ننكر وجود ثلاثة آلهة. ووحدة جوهر اللاهوت لا تلغي تثليث الأقانيم؛ لأن وحدة جوهر اللاهوت تمنع تعدُّد الآلهة، لأن التعدُّد يعني الانفصال الذي يمكن حسابه بالأرقام، لكن الطبيعة الإلهية لا تسمح باستخدام الأرقام لأنها واحدة.

الفصل الرابع عشر

الروح القدس ربٌّ

٩٤- من أجل ذلك نحن نؤمن بأن الله واحدٌ، وأن عِزة الثالوث الأزلي هي عِزةٌ واحدةٌ، وهو ما نراه على الفور، ليس فقط في هذه الفقرة وحدها، بل في كل الفقرات حيث تعبِّر الأسفار عن الثالوث باسمٍ واحدٍ، وهو اسم "الجوهر الواحد"، وهو ما نراه في كل رسائل القديس بولس، لا سيما إلى التسالونيكيين، حيث أعلن وحدة الجوهر والسيادة الواحدة للآب والابن والروح القدس، وهكذا كتب: "والله نفسه أبونا وربنا يسوع المسيح يهدي طريقنا إليكم. والرب ينميكم ويزيدكم في المحبة بعضكم لبعض وللجميع كما نحن أيضاً لكم، لكي يثبِّت قلوبكم بلا لوم في القداسة أمام الله أبينا في مجيء ربنا يسوع المسيح مع جميع قديسيه" (١تسا ٣: ١١-١٣).

٩٥- فمَن هو الربُّ الذي ينمينا ويزيدنا في المحبة ويثبِّتنا أمام الله أبينا عند مجيء الرب يسوع؟ لقد ذكر الرسول الآب والابن، فمَن هو الذي مع الآب والابن إلا الروح القدس؟ مَن هو الرب الذي يثبِّت قلوبنا في القداسة؟ أليست القداسة عطية الروح القدس، وهي التي أشار إليها الرسول في قوله مباشرةً: "بلا لوم في القداسة".

٩٦- مَن الذي دُعيَ "الربُّ" في هذه الفقرة، سوى الروح القدس؟ ألم يعلِّمنا الله الآب بقوله: "الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه هو الذي يعمِّد بالروح القدس" (يو ١: ٣٣). والروح نزل بشكل حمامة (لوقا ٣: ٢٢)؛ لكي يشهد بهذا عن حكمته، ولكي يكمِّل سر الحميم الروحي، ولكي يعلن أنه يعمل ذات العمل مع الآب والابن.

٩٧- فهل كان الرسول يجهل ما يقول، وهو الحادُّ البصيرة، الذي ألهمه الروح القدس، فدعا الروح القدس "الرب"؛ لأنه عَرِفَ أنه هو الله، فكرر نفس التعليم في رسالته الثانية إلى تسالونيكي: "والرب يهدي قلوبكم إلى محبة الله وإلى صبر المسيح" (٢ تسا ٣:

٥). فإذا كانت المحبة هي لله، والصبر هو للمسيح، يصبح من الواضح أن الرب الذي يهدي قلوبنا هو الروح القدس، إلا إذا كنا نريد أن ننكر عمل الروح القدس.

٩٨- أمَّا نحن، فلا نستطيع أن ننكره لأن عنه قال الرب: "إن لي أمورٌ كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق .." (يو ١٦: ١٢-١٣). ويقول داود عنه: "روحك الصالح يهديني في الطريق المستقيم" (مز ١٤٣: ١٠).

٩٩- وهكذا كان صوت الرب هو صدى ما قيل في العهد القديم عن الروح القدس، فقد جاء ابن الله، ولأنه لم يكن قد سكب الروح القدس علينا، أعلن أننا لا نزال أطفالاً صغاراً؛ لأننا بدون الروح القدس. ولكنه قال إن الروح القدس سوف يأتي، وسوف يجعل من الأطفال الصغار رجالاً أقوياء، أي بنمو العمر الروحي، فأسَّس هذه القاعدة، وليس لكي يضع قوة الروح في المركز الأول، بل لكي يعلن أن ملء القوة هو في معرفة الثالوث.

١٠٠- ومِن الضروري بعد كل ما ذكرناه، إما أن تتكلم عن الروح القدس كربٍّ، أو تبحث عن أُقنومٍ رابعٍ تنسب إليه هذه الأقوال والأعمال. ولكن بكل يقين أنت قادرٌ على أن تثق أنه لا يوجد آخر غير الروح القدس يُوصَف بأنه الرب.

١٠١- ولكن إذا كنت تطلب عبارةً واضحةً من الأسفار، يُدعى فيها الروح القدس "الرب"، فإن هذه العبارة لا يمكن أن تفوتك: "وأما الرب فهو الروح" (٢كو ٣: ١٧). ومن سياق الفقرة كلها يمكنك أن تحكم أن المقصود هو الروح القدس، ومع ذلك يجب علينا أن نفحص كلمات الرسول: "لكن حتى الآن حين يُقرأ موسى، البرقعُ موضوعٌ على قلبهم، ولكن عندما يرجع إلى الرب، يُرفَع البرقع. وأما الرب فهو الروح، وحيث روح الرب هناك حرية" (٢كو ٣: ١٥-١٧).

١٠٢- وهكذا لم يتكلم فقط عن الروح كربٍّ، ولكنه أضاف: "وحيث روح الرب هناك حرية". "ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح" (٢كو ٣: ١٨). أي أننا قد تغيَّرنا إلى الرب أولاً، وبعد ذلك بالفهم الروحي سوف نرى مجد الرب في مرآةٍ، هي الأسفار، ثم نتحول من هذا المجد الذي غيَّرنا للرب، إلى المجد السماوي. ومَن هو الرب الذي تغيَّرنا به إلا الروح الذي به سوف نتغير، وذلك لأن الذي يقبل الذين يتغيرون هو الروح الذي يغيّرهم. وإلا كيف يغيّر الروح القدس الذين لم يقبلهم؟

١٠٣- ويبقى السؤال: لماذا تبني إيمانك على مفردات، بينما يجب أن تبحث عن التعبيرات التي تؤكد وحدة الأقانيم؟ ومع أنك تميّز بين الرب والروح، إلا أنك لا تستطيع أن تنكر أنه أينما كان الرب، فهناك الروح القدس أيضاً، وأن مَن يتغيَّر إلى الرب قد تغيَّر أيضاً إلى الروح القدس. وإذا لم تفهم الحروف، فأنت لا تُسيء فهم وحدة الأقانيم، وإذا اعترفت بأن الأقانيم وحدة لا تنفصل، فأنت بإيمانك تعترف بأن الروح القدس هو رب القوة.

الفصل الخامس عشر

الثالوث ربٌّ واحدٌ، وليس ثلاثة أرباب

١٠٤- ولكن ربما تقول: إذا قلت إن الروح هو الرب، فإنني بذلك أُعلن إيماني بثلاثة أرباب. ومع ذلك نسألك: هل عندما تدعو الابن الرب، هل هذا إنكارٌ للابن، أم اعترافٌ بأنه ربٌّ، وهل هذا اعترافٌ بربَّين؟ حاشا لله، لقد قال الابن نفسه: "لا تخدموا ربَّين" (متى ٦: ٢٤)، ولكنه لم ينكر أنه هو والآب ربٌّ؛ لأنه دعي الآب ربَّاً حسبما تقرأ: "أشكرك أيها الآب ربُّ السموات والأرض" (متى ١١: ٢٥). ودَعى نفسه ربَّاً حسبما نقرأ: "أنتم تدعونني سيداً ورباً وحسناً تقولون لأنني أنا كذلك" (يو ١٣: ١٣)، ومع ذلك، لم يدعونا للإيمان بربَّين، لأنه حذَّرنا قائلاً: "لا تخدموا ربَّين"، ولا يوجد ربَّين؛ لأن الربوبية واحدة، والآب في الابن والابن في الآب، ولذلك لدينا ربٌّ واحد.

١٠٥- وهذا ذاته ما يعلِّمنا إياه الناموس: "اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا ربٌّ واحد" (تثنية ٦: ٤)، أي أنه ربٌّ واحدٌ غير متغيِّرٍ له ذات القوة الواحدة، وهو نفسه بلا تغيير، لأنه لا يتغير بالزيادة والنقص، ولذلك تكلم عنه موسى كواحدٍ، ومع ذلك قال: "وأمطر الرب ناراً وكبريتاً من الرب" (تك ١٩: ٢٤). وأيضاً يقول الرسول: "ليعطِه الربُّ أن يجد رحمةً مِن الرب" (٢تيمو ١: ١٨). فالربُّ الذي أمطر ناراً من الربِّ، والربُّ الذي يعطي رحمةً من الربِّ، هو الربُّ الذي لا ينقسم إلى ربَّين، عندما يمطر أو يرحم، وإنما وحدة الربوبية دائمة لا تنقسم.

١٠٦- وفي المزمور أيضاً نقرأ: "قال الربُّ لربِّي" (مز ١١٠: ١)، فهل أنكر الآبَ كَرَبِّه لأنه دعا الابن ربَّه؟ ولكن كما هو واضحٌ، فقد دعا الابن ربَّه، حتى نؤمن بأنه ليس مجرد ابن، بل ربُّ الانبياء وهذا ما جعله الرب واضحاً عندما قال في الإنجيل: "فإذا كان داود يدعوه بالروح ربَّاً، فكيف يكون ابنه" (متى ٢٢: ٤٣). بالروح يدعوه داود

ربَّاً له، وليس الروح هو الذي يدعو الابن ربَّاً له. ولكن إذا كنت تظن أن الروح هو المتكلم، فهذا الفهم الخاطئ يقودك إلى أن تعتبر ابن الله هو ابنٌ للروح القدس.

١٠٧- وكما أننا نقول إنه لا يوجد ربَّين عندما نتكلم عن الآب والابن، كذلك فإننا لا نعترف بثلاثة آلهة عندما نعترف بأن الروح القدس هو ربٌّ. وكما أنه يعتبر كفراً أن نتكلم عن ربَّين أو إلهين لأنه يوجد إلهٌ واحدٌ، وربٌّ واحدٌ وروح قدس واحد، وهو الإله والرب، ولأن مَن هو الرب هو الإله؛ لأن جوهر اللاهوت هو الربوبية، والربوبية هي جوهر اللاهوت.

١٠٨- وأخيراً، لقد قرأت أن الآب هو ربٌّ وإلهٌ: "أيها الرب إلهي إليك أصرخ فاستمعني" (مز ٢٩: ٢٢)، كذلك الابن ربٌّ وإلهٌ كما نقرأ في الإنجيل إنه لما لمس توما جنب المسيح قال: "ربي وإلهي" (يو ٢٠: ٢٨). وهكذا، كما أن الآب هو إلهٌ، والابن هو ربٌّ، كذلك أيضاً الابن إلهٌ والآب ربٌّ. ويمكن تبادل كلمة "رب" مع كلمة "إله" دون أن تتغير الطبيعة الإلهية، وإنما تظل كما هي غير متغيرة. والصفات الإلهية ليست عطية مقدمة من الخليقة لله، وإنما هي صفات اللاهوت الطبيعية التي تشترك فيها أقانيم الثالوث بسبب المحبة الطبيعية؛ لأن وحدة الجوهر لها صفات خاصة، واحدى هذه الصفات هي الوحدة نفسها.

الفصل السادس عشر

"قدوس، قدوس، قدوس"

١٠٩- وهكذا، الآبُ قدوسٌ، والابنُ قدوسٌ، والروح القدس قدوسٌ، ولكنهم ليسوا ثلاثة قدوسين، وإنما إلهٌ واحدٌ قدوسٌ وربٌّ واحدٌ. والقداسة الحقيقية هي واحدة، وجوهر اللاهوت واحد، ولذلك فالقداسة الحقيقية الخاصة بالطبيعة الإلهية هي واحدة.

١١٠- أيضاً نؤمن بأن الله قدوسٌ، وله قداسةٌ واحدة. فالشاروبيم والسارافيم يسبِّحونه بأصواتٍ لا تتعب قائلين: "قدوس. قدوس. قدوس رب الجنود" (أش ٦: ٣). وهم لا يقولون قدوس مرةً واحدةً، حتى لا نؤمن بأن الله واحدٌ قدوسٌ فقط، ولا مرتين حتى لا يرفض أحدٌ الروح القدس. ولا يقولوا "قدوسِين" لئلا تظن أن الله جماعةٌ، وإنما ثلاث مرات فقط، ويقولون نفس الكلمة، حتى يمكن -من هذه الترنيمة- أن نفهم تمايز أقانيم الثالوث، وأن نعترف في نفس الوقت بإلهٍ واحدٍ.

١١١- فهل نجد شيئاً ثميناً أكثر من أن ندعو الله "قدوسٌ"، لأن كل الأشياء الأخرى أقل من الرب الاله؟ ولذلك السبب، علينا أن نعتبر كيف أن مقام الروح القدس الإلهي لا ينقص عن مقام الله؛ لأن اسمه "الروح القدس"، إنما يقود إلى تقديس الله. وهكذا يتقدس الآب والابن كلما ذكرنا اسم الروح القدس. فالسارافيم وكل خورس القوات المقدسة يسبِّحونه لأنهم يقولون التقديسات الثلاثة: قدوس، قدوس، قدوس، أي الآب والابن والروح القدس.

١١٢- فكيف لا يملك الروح القدس كل ما يملكه الله، وهو الذي يدعوه الكهنة في المعمودية مع الآب والابن؟ وأيضاً في الصعيدة (الإفخارستيا)، ندعوه مع السارافيم في السماء، مع الآب والابن، وهو يسكن في القديسين مع الآب والابن، ويُسكَبُ على الأبرار وعلى الأنبياء، ولذلك السبب يدعى كلُّ نبيٍّ "اللابس الروح"؛ لأن

الله يسكب الروح القدس فيتنبأ الأنبياء (٢تيمو ٣: ١٦).

١١٣- وإذا قالوا إن الروح القدس لا يملك كل قوة الله، صار من الضروري أن يقولوا ما هي القوة التي يملكها الروح القدس.

ولكن كما أن الابن يملك كل الأشياء مثل الآب؛ لأن الآب لا يضن على الابن بشيء، بل يَهَب له كل الأشياء، وأعطاه أعظم الأشياء، حسب كلمات الإنجيل: "الذي أعطاني إياه الآب هو أعظم من الكل" (يو ١٠: ٢٩). كذلك أيضاً الروح القدس أخذ من المسيح أعظم الأشياء؛ لأن البر لا يعرف الحسد.

١١٤- وإذا لاحظنا بدقة ما نحن بصدده الآن، وجدنا على الفور وحدة القوة الإلهية، يقول الابن: "الذي أعطاني إياها الآب هو أعظم من الكل، أنا والآب واحد" (يو ١٠: ٢٩-٣٠). وإذا كنا قد أثبتنا سابقاً (الكتاب الثالث: ٣) أن الروح القدس هو يدُ الله، فنفس الكلام ينطبق أيضاً على الابن؛ لأن الروح القدس هو روح الآب والابن. ولذلك نحن أخذنا الحياة الأبدية باسم الثالوث، ولا يقدر أحدٌ أن يأخذنا من يد الآب أو يد الابن أو يد الروح القدس.

١١٥- ولكن من الحقيقة أن الآب أعطى للابن، والروح القدس أيضاً يأخذ من الابن كما هو مكتوب: "ذاك يمجّدني لأنه يأخذ مما لي ويعلن لكم" (يو ١٦: ١٤). ويبدو لي أن الابن قال هذا التصريح الخاص عن الروح القدس مؤكّداً وظيفة التوزيع، وليس الحق الإلهي والقوة الإلهية، وبذلك يصبح أن مَن يفتديه الابن، يقدّسُه الروح القدس. لكن هذه الكلمات (يو ١٦: ١٤)، يفهمها الهراطقة بشكلٍ خاطئ، فلا يفهمون منها وحدة الجوهر الإلهي، رغم أنها تؤكد وحدة الجوهر، وليس حاجة الروح القدس إلى نعمة.

١١٦- لقد أعطى الآب الابن بالولادة وليس بالتبني، فأعطاه كل ما يخص الطبيعة الإلهية بسبب ولادته، وليس لأن الابن كان ينقص شيئاً فاحتاج إلى عطاء الله.

وكما أن الابن يأخذ لنفسه البشر الذين يفتديهم مثلما يفعل الآب، ويحيي مثل الآب؛ لذلك أعلن مساواته للآب في القوة بقوله: "أنا والآب واحد". وعندما يقول أنا والآب، فالمساواة ظاهرةٌ. وإذا قال: "واحدٌ"، فوحدة الجوهر هي المعنية، والمساواة تعني التمايز بين الآب والابن، أما الوحدة فهي تعني عدم الانفصال بين الآب والابن.

١١٧- وعندما يقول: "أنا والآب"، فهو يرفض بدعة سابيليوس؛ لأنه ميَّز نفسه كأُقنومٍ متمايزٍ عن أقنوم الآب. ويرفض أيضاً بدعة فوتنيان[١] لأن الابنَ واحدٌ مع الله الآب. وهكذا، بالكلمات السابقة، يرفض أولئك الذين يقولون هذه الآراء. وبقوله أنا والآب، يدحض جنون أتباع أريوس وأتباع سابليوس؛ لأنه عندما قال "أنا والآب واحد"، فقد كان يعني تمايز الأقانيم ووحدة الجوهر. وأسكت جنون الأريوسيين لأنه قال: "أنا والآب"، وليس "الآب وأنا"، ولم يكن هذا القول هو نوعٌ من التفاخر، بل تعبيرٌ دقيق؛ حتى لا نخطئ ونظن أنه يوجد ترتيب في الكلمات، يجعل الابن أقل من الآب، إذا ذُكِرَ بعد الآب.

ولكن الوحدة لا تعرف الترتيب، والمساواة لا تسمح بمنزلةٍ أقل. ولا يمكن أن نتصوَّر أن ابن الله مُعلِّم الدقة والحكمة، يسمح بغير التفكير الحكيم والدقيق، أو يسيء إلى الدقة الواجبة، بالتفاخر.

---

(١) بدعة اعتقدت بانفصال الابن عن الآب، شاعت في القرنين الثالث والرابع وماتت بسرعة.

الفصل السابع عشر

في رواق الحكمة

١١٨- من النافع لنا أن ندرس ونلاحظ في أي مكان صرَّح الربُّ وأعلن حديثه هذا، لا سيما المواقف والأماكن التي يظهر فيها عمل الروح القدس. فعندما شرع في الصوم قادة الروح القدس -كما نقرأ- إلى البرية (متى ٤: ١)، لكي يواجه تجارب الشيطان. ومع أن الحياة المترفة الناعمة مقبولة ومحبوبة من الناس، إلا أن موجات التجارب تصعد بشكل منتظم بسبب الثراء والملذات. ولكن في البرية، يجد المجرِّب فرصةً أوسع للتجارب، لأنه يعد بالغنى وبالثروة، والربُّ غَلَبَه بالجوع، وأنا لا أنكر أن الاعتدال يمكن أن ينشأ في النفس، رغم وجود الثروة، لكن الذي يتعلم الملاحة في البحر يواجه الأخطار أكثر من الذي يهرب من الملاحة.

١١٩- ونقطةٌ أخرى ذات أهمية. عندما كان الرب على وشك أن يَعِد بملكوت السموات، صعد يسوع إلى الجبل (متى ٥: ١). أما عندما كان يعلِّم فقط، سار مع التلاميذ في وسط حقل قمح (متى ١٢: ١)؛ لأنه كان يتهيأ لأن يزرع في قلوبهم زرع الوصايا السماوية لكي يثمر حصاداً وفيراً من الأرواح المستعدة. وعندما كان على وشك أن يكمل عمل تدبير تجسده، وبعد أن رأى النمو والاكتمال في تلاميذه الذين أسَّسهم على أساس كلمته، دخل إلى بستان (يو ١٨: ١) لكي يزرع شتلة أشجار الزيتون في بيت الرب، ولكي يسقي الأبرار، فينمون مثل نخلةٍ باسقةٍ (مز ٩٢: ١٢)، ويسقى الكرمة المخصبة بنهرٍ من دمه (مز ١٢٨: ٣).

١٢٠- وفي هذه الفقرة نقرأ أنه كان يسير في رواق سليمان في عيد التجديد، أي أنه كان يسير في رواق الحكمة لكي يهيئ طريق السلام، ولكي يؤسِّس التزام المؤمنين بمحبته. وماذا يكون هذا الرواق؟ يعلِّمنا النبي بقوله: "أسير بنقاوة قلبي في وسط بيتك"

(مز ١٠٠: ٢)، ونحن لنا في نفوسنا بيت الرب، أي الأسوار والأروقة. وعن الأروقة قال النبي أشرب مياهاً من حبك .. ولتجري المياه في أروقتك (أمثال ٥: ١٥-١٦). افتح هذا الرواق، أي قلبك لكلمة الله؛ لأنه قال: "افغر فاك وأنا أملأه" (مز ٨٠: ١١).

١٢١- لنسمع ما يقوله كلمة الله وهو يسير في الرواق، أي قلب الحكيم وصانع السلام: "أنا والآب واحد" (يو ١٠: ٣٠)، وهو لن يقول هذه الكلمات في قلب صانع الشقاق والغبي؛ لأنه مكتوبٌ: "الانسان الجسداني لا يقبل ما لروح الله لأنها جهالة بالنسبة له" (١كو ٢: ١٤). وصدر الكافر ضيّقٌ لا يتحمل اتساع الإيمان. وهذا ما حدث لليهود الذين عندما سمعوه يقول: "أنا والآب واحد، أخذوا حجارة لكي يرجموه" (يو ١٠: ٣١).

١٢٢- مَن لا يسمع ويقبل الأقوال الإنجيلية ليس إلا يهودياً؛ لأنه عندما يسمع أقوال الرب، يرفع ليس حجارةً فقط، بل يرجم المسيح بصخور الخيانة الأقسى من حجارة اليهود، وهذا يجرح المسيح، ومع أنه لا يمكن لأحد أن يجرح المسيح لأننا "لا نعرف المسيح حسب الجسد" (٢كو ٥: ١٦)، إلا أن كل من يفرح بلذةٍ فرحَ الكنيسةِ، إنما يناله رجم كُفر الأريوسيين.

١٢٣- لقد قلت يا رب في المزمور: "شريعة فمك يا رب خيرٌ لي من ألوف ذهب وفضة" (مز ١١٩: ٧٢). وقلت يا رب إنك أنت والآب واحد، وعندما آمن بطرس بذلك، نال مفاتيح ملكوت السموات (متى ١٦: ١٩). أما يهوذا الذي لم يؤمن فقد خنق نفسه بحبل خطاياه (متى ٢٧: ٥) ما أقسى أحجار كلمات عدم الإيمان، وما أبشع حبل الخائن الذي يشنق، أما الأكثر بشاعةً، فهو مال خيانة اليهود. وما أشر الفضة أو الذهب الذي به يباع أو يُشترى البار لكي يُذبح.

لقد بيع يوسف (تك ٣٧: ٢٨)، وكذلك بيع يسوع المسيح (متى ٢٦: ١٥). ولكن الأول بيع عبداً، والآخر بيع للموت. يا للميراث المشؤوم، والبيع الحرام؛ لأنه إما يبيع أخاً ويسلمه للقتل، أو يقدِّم الرب والفادي ومخلص الكل إلى الموت من أجل ثمنٍ!

١٢٤- وهكذا كَسَرَ اليهودُ الناموس مرتين، وأخطأوا ضد الناموس والمسيح. تم الاعتداء على الناموس، المرة الأولى عندما باعوا يوسف وهو رمزٌ للمسيح، وفي المرة الثانية عندما تحقق الرمز، أي عندما تم الاعتداء على الحقيقة، أي على المسيح الذي "لم يحسب مساواته لله اختلاساً ولكنه أخذ صورة عبد" (فيلبي ٢: ٦-٧)، وفعل ذلك بسبب سقوطنا جميعاً، فأخذ صورة العبودية ولم يرفض الآلام.

١٢٥- وفي المرة الأولى كان ثمن البيع ٢٠ قطعة من الفضة، وفي المرة الثانية كان ٣٠ قطعة من الفضة. وهل يمكن تقدير ثمن بيع المخلص، الذي لا يمكن تقدير قيمته الفائقة؟ لقد وقع الخطأ في تقدير الثمن؛ لأن الذين قدَّروا الثمن أخطأوا في إيمانهم. وكان ثمن البيع ٢٠ قطعة في العهد القديم، وهذا ثمن الرمز. أما ثمن الحقيقة، فقد كان ٣٠ قطعة لأن الحقيقة أغلى من الرمز، والنعمة أكثر كرماً من المؤدِّب (الناموس)، وحضور الرب أكثر قيمة من الناموس؛ لأن الناموس وعد بمجيء المخلص، ومجيئه أكمل الناموس.

١٢٦- اشترى الإسماعيليون يوسف بعشرين قطعة من الفضة، واليهود دفعوا ثلاثين قطعةً، وليس هذا ثمناً زهيداً لأن غير المؤمنين يندفعون نحو الشر أكثر من اندفاع المؤمنين نحو الخلاص. وهذا يدعونا إلى أن ندرس الثمن ككل. عشرون قطعةً من الفضة ثمن العبودية، وثلاثون ثمن الصليب، ومع أن أسرار التجسد والآلام هي على قدر واحد من الإعجاب، إلا أن الذي أكمل الإيمان هو سر الآلام، مع أنني لا اعتبر ميلاد المخلص من العذراء أقل من الصليب، ولذلك أقبل بكل شكرٍ سر تجسده. وهل يوجد ما هو أكثر رحمة من أنه وهبني جراحه؟ إلا أن ما هو أكمل حقاً، هو ما فعله لأجلنا، لأنه وهو غير المائت كإلهٍ، مات موتنا نحن لكي نحيا نحن بروحه.

١٢٧- وأخيراً، بدون اهتمام، قدَّر يهوذا الاسخريوطي ثمن الطيب الناردين بحوالي ٣٠٠ قطعة (يو ١٢: ٥)، وهو ما يشير إلى الصليب من واقع كلمات الرب نفسه الذي قال: "لقد سَكَبَت هذا الطيب على جسدي وفعلت ذلك لدفني" (متى ٢٦: ١٢). ولماذا رفع يهوذا ثمن الطيب إلى هذا التقدير الفائق؟ أليس لأن غفران الخطايا

بالنسبة للخاطئ هو ثمنٌ عالٍ جداً؟ وأليس هذا ما هو مكتوب: "إن مَن يُغفر له أكثر يحب أكثر" (لوقا ٧: ٤٧)؟ من أجل ذلك السبب، يعترف الخطاة بنعمة آلام الرب التي كانوا قد فقدوها، وأنهم يشهدون للمسيح بعد أن اضطهدوه.

١٢٨- أم أن السبب هو أن "الحكمة لا تدخل النفس التي تدنست" (حكمة ١: ٤)، وهكذا قدَّر الخائنُ آلام الرب بثمنٍ مرتفع لكي يترك الإيمان ويبتعد عنه بسبب كثرة المال؟ لذلك السبب قدَّم الربُّ نفسه بلا مقابل وبلا ثمن، حتى لا يُبعِد الفقرُ أحداً عن الإيمان بالمسيح. لقد باع البطاركة سِرَّه بلا مقابل، لكي يتقدم الكل ويشتروا، وهذا ما يقوله أشعياء: "أنتم الذين ليس لديكم أموال اذهبوا ابتاعوا واشربوا وكلوا بلا ثمن" (٥٥: ١)، لكي يناله كل مَن ليس له أموال.

أيها الخائن يهوذا، لقد قدَّرت ثمن طيب آلامه بثلاثمائة، ومع ذلك لقد بعته للآلام بثلاثين، فما أعظم الثمن، وما أبخس الشر؟

١٢٩- ولكن لا يشتري الكلُّ المسيحَ بنفس الثمن، فوتينوس يشتريه بثمنٍ، وأريوس بثمنٍ آخر، الأول يشتريه للموت، والثاني للجراح. أما الذين للكنيسة الجامعة، فيشترونه لكي يمجِّدونه، ولذلك يأخذونه بلا أموالٍ حسبما هو مكتوب: "الذين ليس لديكم أموال اذهبوا وابتاعوا" (أشعياء ٥٥: ١).

١٣٠- يقول الرب عن كل هذا: "ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات" (متى ٧: ٢١). ومع أن كثيرين يدعون أنفسهم مسيحيين، إلا أنهم يدنِّسون هذا الاسم، ولا ينالون المكافأة. لقد قدَّم قايين ذبيحةً، ويهوذا قَبَّله، ورُفِضَت ذبيحة الأول، والثاني قيل له: "يا يهوذا هل تسلم ابن الإنسان بقُبلةٍ؟" هل تكمِّل الشر بعربون المحبة (القبلة)؟ وتزرع الكراهية بوسيلة السلام، وتغرس الموت بواسطة علامة المحبة.

١٣١- لقد اغتصب الأريوسيون اسم "المسيحيين" لأنهم يدَّعون أنهم "مسيحيون"، وهم ليسوا كذلك، وسوف يقول الرب لهم: إنكم تتمسكون ظاهرياً باسمي

ولكنكم تنكرون جوهري، وأنا لا أجد اسمي عندكم، لأن جوهري الأزلي غيرُ معروفٍ عندكم، واسمي لا ينفصل عن الآب ولا عن الروح القدس. إني لا أجد اسمي عندكم؛ لأنني لا أجد تعليمي. أنا لا أجد اسمي؛ لأنكم لا تعترفون بروحي. وعدم الاعتراف بروحي يعني اعتبار الروح القدس كأحد العبيد، أي من المخلوقات، وقد ناقشنا هذه النقطة من قبل (الكتاب الأول: ١).

الفصل الثامن عشر

علامات ألُوهية الروح القدس

١٣٢- وأخيراً، وفي إيجازٍ شديد، ونحن نقترب من نهاية الكتاب، علينا أن نقول بكل وضوح إن مجد الله ظاهرٌ، ليس بما قدَّمناه من أدلةٍ سابقةٍ فقط، بل بأربعة أدلة تضاف إلى ما ذكرناه وهي:

١- إنه وحده بلا خطية.

٢- يغفر الخطايا.

٣- لأنه ليس مخلوقاً، بل الخالق.

٤- تقدَّم له العبادة دون أن يعبُد أحداً.

١٣٣- وهكذا لا يوجد أحدٌ بلا خطية، سوى واحدٌ فقط، وهو الله (متى ١٩: ١٧). وأيضاً لا يغفر أحدٌ الخطيةَ سوى واحدٌ، وهو الله؛ لأنه أيضاً مكتوبٌ: "مَن يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده؟" (لوقا ٥: ٢١)، وكذلك لا يمكن أن يكون واحدٌ بعينه خالقاً ومخلوقاً؛ لأن خالق كل الأشياء، لا يمكن أن يكون أحد المخلوقات، بل الله لأنه مكتوبٌ: "وعبدوا المخلوق دون الخالق الذي هو مباركٌ إلى الأبد" (رو ١: ٢٥). وأيضاً لا يعبُد اللهُ مخلوقاته، وإنما المخلوقات هي التي تَعبُد الله لأنه مكتوبٌ: "للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" (تثنية ٦: ١٣).

١٣٤- ويبقى أن ندرس الآن: هل يملك الروح القدس علامات الأُلوهية التي تشهد لأُلوهيته؟ وهذا يعني أن نبدأ بالنقاط السابقة، وأولها إن الله وحده بلا خطية، وبالتالي علينا أن نطلب هل سُجِّلت للروح القدس خطيةٌ؟!!

١٣٥- وإذ عجز هؤلاء عن إثبات أن للروح القدس خطية، فقد يطلب هؤلاء منا أن نبرهن لهم من الأسفار المقدسة أن الروح القدس بلا خطية مثل الابن (١بط ٢: ٢٢). ومن إعلان الأسفار نفسه، نحن نعلم بما هو مكتوب: "الحكمة هي روح الفهم مقدسةٌ، أسرعُ حركةً من كل متحرّكٍ، وهي لطهارتها تلج وتنفذ في كل شيء" (حكمة ٧: ٢٢). وإذا قالت الأسفار إن الابن بلا دنسٍ، فهل كانت تكذب، حتى نعتقد بأنها تكذب إذا قالت بأن الروح القدس بلا دنس؟ فقد قال النبي في هذه الفقرة إن الحكمة، أي الروح القدس مقدَّسٌ وطاهرٌ، بل أضاف إن أي شيء دنسٍ لا يمكن أن يمس الروح القدس الذي هو الحكمة. فإذا كان الروح القدس بلا خطية، إذن فهو الله.

١٣٦- ولكن كيف يكون الروح القدس مذنباً بالخطية، وهو الذي يغفر الخطايا؟ فإذا كان لم يخطئ، فهو ليس مخلوقاً لأن كل مخلوق معرَّضٌ للخطية، أما الله الأزلي وحده، فهو بلا خطية وحُرٌّ بلا دنس.

١٣٧- وإذا سألت: هل الروح القدس يغفر الخطايا؟ فإننا نجد أنه لا يوجد شكٌّ بالمرة في صحة هذه النقطة؛ لأن الرب نفسه قال: "اقبلوا الروح القدس. مَن غفرتم خطاياه تغفر له" (يو ٢٠: ٢٢). وهذا يعني أن الخطايا تُغفَر بواسطة الروح القدس. وإذا كان البشر يستخدمون هذا في خدمتهم، أي يغفرون الخطايا، فهذا يعني أنهم لا يستخدمون حقاً أو قوةً خاصةً بهم؛ لأنهم لا يغفرون الخطايا باسمهم، ولكن باسم الآب والابن والروح القدس. إنهم يسألون الله، والله هو الذي يستجيب، والخدمة هي خدمة البشر. أما العطية، فهي من القوة التي من الأعالي.

١٣٨- ولا يوجد شكٌّ في أن الخطية تُغفَر بواسطة المعمودية، ولكن العمل الذي يتم في المعمودية هو عمل الآب والابن والروح القدس. فإذا غفر الروح القدس، ومكتوبٌ: "مَن يغفر الخطايا إلا الله وحده" (مرقس ٢: ٧)، فحقاً كما أن الروح القدس لا يمكن فصله عن الوحدة في الاسم والطبيعة، كذلك أيضاً لا يمكن فصله عن القوة العاملة الخاصة بالله. فإذا كان لا يمكن فصله عن قوة الله، فكيف يمكن فصله عن اسم الله؟

١٣٩- ويمكننا أن نرى الآن هل هو خالق أم مخلوق؟ وقد سبق لنا وقلنا سابقاً إنه خالق (الكتاب الثاني ٥، ٦)، ولأنه مكتوبٌ: "روح الرب الذي خلقني" (أيوب ٣٣: ٤)، ومكتوبٌ أيضاً أن وجه الأرض يتجدد بواسطة الروح، وأن كل الأشياء المخلوقة تتبدد بدون الروح القدس، فيتضح من هذا أن الروح القدس هو الخالق. ولكن مَن يمكنه أن يشك في ذلك، لأننا كما شرحنا سابقاً، أنه حتى ميلاد الرب من العذراء، وهو عملٌ يفوق كلَّ ما نعرفه عن كل المخلوقات، لم يتم بدون عمل الروح القدس.

١٤٠- لذلك، فإن الروح القدس ليس مخلوقاً، ولكنه خالقٌ، فهو بكل يقين لا يمكن أن يكون مخلوقاً. وإذا لم يكن مخلوقاً، فبكل يقين هو خالقٌ يخلق كلَّ الأشياء مع الآب والابن. إذا كان الروح خالقاً، فان حكم الرسول على الأمم بأنهم عبدوا المخلوق دون الخالق الذي هو الله المبارك إلى الأبد" (رو ١: ٢٥)، هو بدوره حكمٌ وإنذارٌ موجَّهٌ إلى الذين ينكرون عبادة الروح القدس كخالق، إنه ينبغي ان يُعبَد كخالقٍ، ولذلك فينبغي أن يُدعى الله. ويلخِّص الرسول هذا كله في رسالته إلى العبرانيين بقوله: "وخالق الكل هو الله" (عب ٣: ٤). وعلى هؤلاء أن يقولوا لنا ما هي الأشياء التي خُلِقَت بدون الآب والابن والروح القدس، أو أن يعترفوا بأن الروح القدس واحدٌ في الجوهر مع الآب والابن.

١٤١- وعلَّم الرسولُ أيضاً بأننا يجب أن نسجد للروح القدس؛ لأنه الله والرب، إذ هو إله ورب الكون الذي قيل عنه: "للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" (تثنية ٦: ١٣).

١٤٢- وهل يمكن لهؤلاء أن يقولوا لنا أين قيل إن الروح القدس يسجد لله؟ لقد قيل عن الابن: "ولتسجد له كل ملائكة الله" (عب ١: ٦)، فكيف يسجد الروح القدس، وهو ليس من الخدام والعبيد، وإنما هو مع الآب والابن يسجد له ويخدمه كل الخدام الأبرار الذين كُتِبَ عنهم: "نعبد روح الله" (فيلبي ٣: ٣)؟ إذن، نحن نعبد الروح القدس كما علَّمنا الرسول، ونخدمه كما هو مكتوب، وأنا هنا أكرر هذه الكلمات: "للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد".

١٤٣- ولم يهمل الرسول أن يعلِّمنا أن نسجد ونعبد الروح القدس، وقد سبق وبرهَنَّا على أن الروح القدس هو روح الانبياء، وأن النبوة قد أُعطيت بواسطة الروح القدس، وهذا يعني أن الانبياء إنما يعبدون الروح الذي فيهم، أي الروح القدس نفسه، ولذلك تجد أن الرسول بولس يقول: "فإن اجتمعت الكنيسة كلها في مكان واحد وكان الجميع يتكلمون بألسنة فدخل عاميون أو غير مؤمنين أفلا يقولون إنكم تهذون. ولكن إن كان الجميع يتنبأون فدخل أحد غير مؤمن أو عامي فإنه يوبَّخ من الجميع، يُحكَم عليه من الجميع، وهكذا تصير خفايا قلبه ظاهرةً، وهكذا يخرُّ على وجهه ويسجد لله منادياً إن الله بالحقيقة فيكم" (١كو ١٤: ٢٣-٢٥). وهكذا يعبد الحاضرون الله الحال في الأنبياء؛ لأن الروح هو الذي يحل ويتكلم، وهكذا تُقدَّم العبادة للروح القدس.

الفصل التاسع عشر

الروح القدس له كل ما للآب والابن

١٤٤- وكما أن الآب والابن واحدٌ؛ لأن الابن له كل ما للآب، هكذا الروح القدس هو أيضاً واحدٌ مع الآب والابن؛ لأنه يعرف ما يخص الله. ولم يحصل الروح القدس على هذه المعرفة قسراً لأنها كانت ناقصةً فيه وبالتالي انتزعها، ولكنه لم يحصل عليها بالمرة لأنه كان محتاجاً إليها، ولا لأن قوته أكبر من قوة الله فاستطاع أن ينتزعها، وإنما هذه المعرفة هي كائنةٌ فيه بسبب امتلاكه لذات القوة الواحدة التي للآب والابن. وإذا كان يعمل كل هذه؛ لأنه هو الروح الواحد الذي يعمل كل هذه المواهب المتنوعة (١كو ١٢: ١١)، فكيف لا يكون هو الله الذي له كل ما لله؟

١٤٥- يبقى علينا أن نسأل: ما هي الأشياء التي يملكها الله، ولا يملكها الروح القدس؟ فالله الآب له ذات الجوهر الإلهي الذي للابن أيضاً، لأن الابن يحل فيه كل ملء جوهر اللاهوت، وهكذا أيضاً الروح القدس الذي كُتِبَ عنه إنه هو روح الرب مانح الحياة "روح الله في أنفي" (أيوب ٢٧: ٣).

١٤٦- فالله هو فاحص القلوب كما هو مكتوب: "فاحص القلوب والكُلى" (مز ٧: ٩)، والابن له ذات القوة لأنه قال: "لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم" (متى ٩: ٤) لأن يسوع عَرِفَ أفكارهم. وأيضاً الروح القدس له ذات القوة؛ لأنه يعلن للأنبياء أفكار قلوب الآخرين، كما أشار الرسول إلى ذلك بقوله: "وتصير خفايا قلبه مُعلَنةً" ولماذا نندهش من قدرته على معرفة خفايا قلب الإنسان، وهو يفحص أعماق الله نفسه؟

١٤٧- يُوصَف الله بالصدق لأنه قيل: "ليكن الله صادقاً وكل إنسانٍ كاذباً (رو ٣: ٤)، فهل روح الحق الروح القدس يكذب؟ أليس هو الذي يُوصَف بأنه الحق، وهو ذات الاسم الذي استعمله يوحنا الإنجيلي للابن أيضاً؟ ويقول داود في المزمور: "ارسل

نورك وحقك لكي يصعداني إلى جبلك المقدس ومسكنك" (٤٣: ٣). فإذا أدركت من هذه الفقرة أن الابن هو النور، فالروح القدس هو الحق، أو ان الابن هو الحق والروح القدس هو النور.

١٤٨- الله له اسمٌ فوق كلَّ اسمٍ، وأعطى الابن هذا الاسم، كما نقرأ أنه "باسم يسوع تجثو كل ركبةٍ". وعلينا أن نرى هل هذا الاسم هو للروح القدس أيضاً؟ مكتوبٌ: "اذهبوا وعمِّدوا جميع الأُمم باسم الاب والابن والروح القدس" (متى ٢٨: ١٩)، فللروح القدس الاسم الذي هو فوق كلَّ اسمٍ؛ لأن ما للروح القدس هو ما للآب والابن أيضاً، أي الاسم الواحد الخاص بطبيعة واحدة.

١٤٩- إقامة الموتى هو امتيازٌ خاصٌّ بالله وحده: "الآب يقيم الأموات ويحيي كذلك الابن يحيي مَن يشاء" (يو ٥: ٢٢)، ولكن الروح القدس هو الذي به يحيي الله الأموات لأنه مكتوبٌ: "إنه سوف يحيي أجسادكم المائتة بروحه الساكن فيكم" (رو ٨: ١١). ولئلا نظن أن هذه نعمةً رخيصةً، يمكنك أن تتعلم من النبي حزقيال الذي يقول: "تعال أيها الروح من الرياح الأربع وهُب على هؤلاء الموتى فيحيوا. فتنبأت كما أمرني فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أرجلهم جيشاً عظيماً جداً .." (حزقيال ٣٧: ٩-١٠)، وبعد ذلك يقول الله: "لكي تعرف أنني أنا الرب الذي أفتح قبوركم وأعطيكم روحي فتحيون" (حزقيال ٣٧: ١٣-١٤).

١٥٠- وحينما تكلم الله عن الروح القدس، فهل تكلم عن روحٍ آخر غيره؟ مِن المستحيل أن يكون الله يعني روحاً آخر يمكنه أن يهُبَّ من الرياح الأربع (أربع جهات المسكونة)، أي أنه كائنٌ في كل مكان، وليس مثل الرياح التي تهُب في أوقاتٍ معيَّنةٍ وأماكن محدودةٍ، أما الروح الذي فينا، فهو روحٌ بشريٌّ خاصٌّ لكل واحدٍ منا على حدة، وليس الروح الحاضر في كل مكان والمالئ الكل، أي الروح القدس. ومن كلمات النبي حزقيال يمكننا أن نتصور كيف تتحلل أجساد الموتى وتتبعثر العظام وتنفصل الأعضاء، ولكن كل هذا يوضع في جسدٍ واحدٍ حتى عندما يُحيي الروح القدس هذه الأجساد، حتى

تلك التي تحولت إلى رماد، فإنها تُبعَثُ حيَّةً وتتحول إلى أجسادٍ حيَّةٍ كاملةٍ.

١٥١- هل بعد هذا لا يمكنك أن تتعرف على القوة الإلهية الواحدة لأقانيم الثالوث؟ فالروح يقيم الموتى مثل الرب الذي في زمان تجسده وآلامه أقام الموتى. وكما سوف يحدث عندما تُفتح القبور في طرفة عين ويحيا الراقدون ويقومون من قبورهم بعد أن تُباد رائحةُ الموت، ويتعطر الكل برائحة الحياة، وحتى الذين تحولوا إلى رماد يعودون إلى الحياة.

١٥٢- وهكذا نرى أن الروح القدس له كل ما للمسيح، وما لله الآب؛ لأن كل ما للآب فهو أيضاً للابن كما قال الابن: "كل ما للآب فهو لي" (يو ١٦: ١٥).

الفصل العشرون

النهر الخارج من عرش اللّه

١٥٣- وما نقرأ عنه كنهرٍ يخرج من عرش الله، ليس شيئاً صغيراً يُحتَقَر؛ لأننا نقرأ في كلمات يوحنا الإنجيلي: "وأراني نهر ماء حي لامعاً مثل البللور نابعاً من عرش الله والحمل. في وسط شارعها وعلى النهر من هنا ومن هناك شجرة حياة تصنع اثنتي عشرة ثمرة وتعطي كل شهر ثمرها. وورق الشجرة لشفاء الأمم" (رؤ ٢٢: ١-٢).

١٥٤- وهذا النهر الذي ينبع من عرش الله هو الروح القدس بكل تأكيد؛ لأن مَن يشرب منه هو مَن يؤمن بالمسيح كما قال هو نفسه: "مَن يعطش فليُقبِل إليَّ ويشرب ومَن آمن بي كما يقول الكتاب تخرج من جوفه أنهار ماء حيٍّ، قال هذا عن الروح القدس" (يو ٧: ٣٧-٣٨)، لذلك فالروح هو نهر ماء الحياة.

١٥٥- وهذا الذي ينبع من عرش الله لا يغسل عرش الله، بل يغسل الخليقة. ومهما تصوَّرنا عرش الله، فإننا يجب أن نفهم أن الماء الذي يتكلم عنه داود هو فوق السماوات لأنه مكتوبٌ: "المياه التي فوق السموات فليسبحوا اسم الرب" (١٤٨: ٤). ويقول داود بصيغة الجمع: "فليسبحوا اسم الرب"، ولو كان يقصد عنصر الماء لاستخدم صيغة المفرد، ولكنه كان يقصد القوى المتعددة التي يملكها الروح القدس الواحد.

١٥٦- وما هو وجه الغرابة إذا كان الروح القدس هو الذي ينبع من عرش الله، ما دام ملكوت الله نفسه هو عمل الروح القدس؛ لأنه مكتوبٌ: "لأن ملكوت الله ليس أكلاً وشرباً، بل بر سلام وفرح في الروح القدس" (رو ١٤: ١٧). وعندما قال المخلص نفسه: "كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب" (متى ١٢: ٢٥)، وأضاف بعد ذلك مباشرةً: "ولكن إذا كنتُ بروح الله أُخرِج الشياطين فبلا شك قد أقبل عليكم ملكوت الله" (متى ١٢: ٢٧)، وبذلك أعلن الرب أن ملكوت الله غير منقسمٍ بسبب عمل الروح القدس وعمل الابن.

١٥٧- ولكن هل يوجد ما هو أكثر حماقة من أن ينكر أحدٌ أن الروح القدس يملك مع المسيح؛ لأن الرسول يقول إننا نحن أنفسنا سوف نملك مع المسيح في ملكوت المسيح: "إننا إذا متنا معه سوف نحيا معه. وإن كنا نصبر فسوف نملك أيضاً معه" (٢تيموثاوس ٢: ١١-١٢)؟

أما نحن، فسوف نملك بنعمة التبني. أما الروح القدس، فهو يملك بقوته. نحن بالنعمة، أما هو فبالطبيعة.

١٥٨- إذاً، يشترك الروح القدس في الملكوت (المملكة) مع الآب والابن؛ لأنه واحدٌ معهم في الطبيعة وفي الربوبية وفي القوة.

الفصل الحادي والعشرون

الروح القدس ربٌّ الجنود

١٥٩- وطالما أن الروح القدس شريك المملكة، فماذا يمنعنا من أن ندرك أن الروح القدس هو الذي أرسل النبي أشعياء؟ وحُجتنا في ذلك هي السلطان الرسولي الذي يعلِّم به بولس، والذي سجَّله الإنجيلي لوقا في سفر الأعمال، فكتب ذات كلمات بولس: "حسناً تكلم الروح القدس بواسطة أشعياء النبي لآبائكم قائلاً: "اذهب وقل لهذا الشعب سوف تسمعون بآذانكم ولكن لن تفهموا، سوف ترون بعيونكم، ولكنكم لن تدركوا" (أع ٢٨: ٢٥-٢٦).

١٦٠- إذن، الروح القدس هو الذي أرسل أشعياء، وإذا كان هو الذي أرسله، فهو حقاً الروح القدس نفسه الذي رآه النبي في سنة وفاة الملك عُزّيا عندما قال أشعياء: "رأيت رب الجنود جالساً على عرشٍ عالٍ ومرتفعٍ، وقد امتلأ البيت من عظمته وقد وقف السيرافيم حوله وكل واحد منهم له ستة أجنحة .. ونادى كلُّ واحدٍ الآخر وقال: "قدوس. قدوس. قدوس رب الجنود. السماء والأرض مملوءة من عظمته" (٦: ١-٣).

١٦١- فإذا كان السارافيم واقفين، فكيف يطيرون؟ وإذا كانوا يطيرون، فكيف يقفون؟ وإذا كنا لا نفهم، فكيف نفهم الله الذي لا نراه؟

١٦٢- ولكن لما رأى النبي حزقيال أن كل بَكَرة في داخلها بَكَرةٌ (١: ١٦)، وهو ما يؤكِّد أنه لم يرَ منظراً مادياً، بل إلى نعمة العهدين القديم والجديد، لأن حياة القديسين قد صُقِلَت حتى أنها صارت واحدةً، مما جعل حياة السابقين في انسجامٍ تامٍ مع حياة اللاحقين. فالبَكَرةُ التي في داخلها بكرةٌ هي الحياة تحت الشريعة والحياة تحت النعمة؛ لأن اليهود دخلوا الكنيسة، وهكذا صارت النعمة تحتوي الشريعة، وصار ختان

القلب هو سِرٌّ في الكنيسة[١] وعن دخول اليهود إلى الكنيسة: "الله في يهوذا اسمه معروفٌ" (مز ٧١: ١)، وكما أن بَكَرَةً في داخل بَكَرةٍ وكلاهما يتحرك، فكذلك توجد أجنحة ساكنة تتحرك.

١٦٣- وأيضاً يستر الساروفيم وجوههم، كلٌّ يستر وجهه بجناحين، ويغطي قدميه باثنين ويطير باثنين، وهنا يوجد سِرٌّ وحكمةٌ روحيةٌ. أزمنةٌ تبقى وأزمنةٌ تَعبُر. فالزمان يقف، بينما المستقبل يطير، آتياً مثل جناحي السارافيم الذين يغطُّون وجوههم وأرجلهم؛ لأن الله ليس له بداية وليس له نهاية. وهكذا تعبُر دورة الأزمنة والأوقات الكائنة في معرفة الله بلا نهاية وبلا بداية، وإنما هي مستقرةٌ أمامه. وإذا كان الزمانُ يمر ويصبح في الماضي، فإن المستقبل يقف والحاضر يعبُر ويطير. فلا تسأل عن سِرِّ بداية الله ولا عن نهايته؛ لأنه لا توجد بداية ولا نهاية لهذا الحاضر، وتستطيع أن تسبِّح الله فيه دون أن تسأل كيف هو بلا نهاية أو بداية.

١٦٤- وبأصواتٍ لا تسكت يسبِّح السارافيم الله، فلا تسأل كيف؟ لأن التسبيح الدائم يرينا أننا أحياناً يجب ألا نسأل عن الله، بل نسبِّحه دائماً.

فإذا كان الروح القدس هو رب الجنود، فمَن يقدر أن ينكر هذا الحق الذي علَّمه المعلِّم الذي سُرَّ المسيحُ أن يختاره لكي لا يرضى الكافرون بالحق، أي الذين ينكرون أن الروح القدس هو ربُّ القوات الذي يعطي القوات لمن يشاء.

---

(١) أي المعمودية (المعرب).

الفصل الثاني والعشرون

رؤيةٌ واحدةٌ، وقدرةٌ واحدةٌ، ومجدٌ واحدٌ

١٦٥- هل من الممكن الآن أن نعترف بعظمة ومُلك ووحدة الآب والابن والروح القدس؟! فإن البعض يقولون إن الذي ظهر لأشعياء هو الله الآب، وبولس يقول إنه الروح القدس، ولوقا يؤكِّد ذلك. أما يوحنا الإنجيلي، فإنه يشير إلى الابن؛ لأنه هكذا كتب مؤكِّداً إن الابن هو الذي ظهر لأشعياء: "تكلم يسوع بهذا ثم مضى واختفى عنهم ومع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها، إلا أنهم لم يؤمنوا به لكي يتم قول أشعياء النبي: "يا رب مَن صدَّق خبرنا ولمن استُعلِنت ذراع الرب. لهذا لم يقدروا أن يؤمنوا لأن أشعياء قال أيضاً قد أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم لئلا يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم"، قال أشعياء هذا حين رأى مجده وتكلم عنه" (يو ١٢: ٣٦-٤١).

١٦٦- يقول يوحنا الإنجيلي إن أشعياء تكلم بهذه الكلمات وأعلن أن مجد الابن قد ظهر له، بينما بولس ينسب هذا للروح القدس. فما هو الفرق؟

١٦٧- يوجد حقاً فرقٌ بين الكلمات، وليس في معناها؛ لأن الكلمات تختلف، إلا أن الاختلاف لا يؤدِّي إلى خطأٍ، لأن الآب يُعلَن ويُرى بواسطة الابن الذي قال: "الذي رآني فقد رأى الآب" (يو ١٤: ٩). والابن يُرى بواسطة الروح القدس لأنه "لا يستطيع أحد أن يقول إن يسوع ربٌّ إلا بالروح القدس" (١كو ١٢: ٤)، وهكذا يعني أننا لا نرى المسيح بعيني الجسد، وإنما بواسطة نعمة الروح القدس، لذلك يقول الكتاب أيضاً أيها النائم، استيقِظ من بين الأموات، والمسيح سوف يضيء لك (أف ٥: ١٤). وعندما فَقَدَ بولس بصره، كيف رأى المسيح؟ أليس بالروح القدس؟ (أع ٩: ٨)، من أجل ذلك يقول الرب: لأني لهذا ظهرت لك لانتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت، وبما سأظهر لك به (أع ٢٦: ١٦)، هكذا أيضاً نال الأنبياء الروح القدس، وبه عاينوا المسيح.

١٦٨- إذن، الرؤية واحدة، والقدرة واحدة، والمجد واحد. وهل بعد كل ما ذكرناه يمكن أن ننكر أن الروح القدس هو رب المجد، مثل رب المجد الذي صُلِب، والذي وُلِد من العذراء مريم بالروح القدس؟ لأن المسيح ليس اثنين، بل المسيح واحدٌ، وهو الذي وُلِد كابن الله من الآب قبل كل الدهور، ووُلِد في العالم كإنسانٍ له جسد.

١٦٩- ولماذا أكتفي بهذا، أليس الآب والابن مثل الروح القدس في كل شيء؟ لأن الروح بلا دنسٍ، وضابط الكل، وقادر على كل شيء، وهكذا دعاه سليمان النبي Pantodunamon أي "الكلي القدرة" Panepiskopon أي "الذي يحتوي كل الأشياء"؛ لأنه القدير وضابط الكل وحامل كل الأشياء (حكمة ٧: ٢٢). وقد ذكرنا سابقاً (الكتاب الثالث: ١٨) أن هذا هو الإيمان الذي يؤكِّده سفر الحكمة. لذلك الروح القدس له ذات الكرامة والمجد التي للآب والابن.

١٧٠- وإذا كان ما ذكرناه لا يرضي الأريوسيين، فماذا ستفعل أيها الأريوسي؟ هل تريد أن تُنزِل الروح القدس من شركته مع الآب والابن؟ وإذا حاولت أن تفعل ذلك، فإن السماء سوف تضطرب؛ لأن كل القوات السمائية تنال قوتها من الروح القدس.

وإذا أردت أن تُنزِل الروح القدس إلى أسفل، أي إلى مرتبة المخلوقات، فعليك أولاً أن تمسك بالله؛ لأن الروح القدس هو الله.

وكيف يمكنك أن تُنزِل الروح القدس إلى أسفل، وهو الذي يفحص كل شيء، حتى أعماق الله؟

(انتهى الكتاب)